AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

الهدف - فلسطين - العدد 76 (1550) - أكتوبر / تشرين أول 2025

قد أقبلوا فلا مساومة
المجد لشعب المقاومة

الذكرى السنوية الثانية على ملحمة السابع من أكتوبر

الافتتاحية

كل الحقيقة للجماهير

بعد وقف النار:
الوحدة خيار البقاء
والمقاومة أساس المشروع الوطني

مع إعلان وقف إطلاق النار واستئناف عملية تبادل الأسرى، دخل المشهد الفلسطيني مرحلة حرجة، تنتقل فيها الجبهة من الاشتباك العسكري إلى الاشتباك السياسي والتفاوض غير المباشر. هذه المرحلة لا يمكن أن تنجح إلا بالاستناد إلى العمل الوطني المشترك، وإرادة الشعب المقاوم المتجذرة في أرضه.

ما جرى في القاهرة لم يكن مجرد نقاش حول ترتيبات ما بعد الحرب، بل امتحانًا حقيقيًا لقدرة القوى الفلسطينية على التعامل مع نتائج الحرب بما يحافظ على المشروع الوطني. للأسف، تحوّلت القضية الفلسطينية في كثير من الأحيان من مشروع تحرري جامع إلى إدارة أزمة مستمرة تُدار من خارجها، تتصارع فيها ذهنيتان: منطق التحرر الذي يرى في المقاومة نواة الفعل السياسي، ومنطق الإدارة الذي يختزل الصراع في ترتيبات إجرائية وأمنية، أو نزاعات سلطوية على الفراغ.

برزت محاولات إعادة تشكيل النظام السياسي الفلسطيني وفق شروط إقليمية ودولية، ربطت الإعمار بشروط أمنية صارمة، وفرضت صيغًا مؤقتة تحت إشراف لجان دولية، لتبقى السيطرة على القرار الوطني مرتهنة بالمصالح الخارجية، فيما رأس السلطة ينأى بنفسه يعرقل استعادة المشروع الوطني ووحدة مؤسسات المنظمة ويتعامل معها كحق حصري له.

الاحتجاج على غياب منظمة التحرير الفلسطينية عن هذه اللقاءات امر مشروع ولكنه يفضح مأزقًا أعمق: غياب المرجعية الوطنية الجامعة. المنظمة، التي تعامل مع سنتين من الحرب، من موقع الحياد وأحيانا العجز، بينما المنظمة تجسد في تجربتها الطويلة الرمز لكفاح شعبنا وقضيته وعليه نالت الشرعية وحملت المشروع التحرري، ولكنها تحوّلت إلى إطار شكلي، بينما السلطة استولت على القرار دون مقومات الشرعية، لتصبح إدارة بلا مشروع ودولة بلا سيادة.

في هذا السياق، تقدمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مقدمة فصائل المقاومة بموقف متماسك يرتكز على رؤية واضحة: الحل السياسي لا يمكن أن ينفصل عن منطق التحرر. الإعمار دون سيادة وانسحاب هو إعادة بناء للسجن والحصار، والمصالحة دون مشروع وطني ليست سوى هدنة بين سلطتين متنازعتين على الفراغ. ربطت الجبهة بين إعادة بناء النظام السياسي وإعادة تعريف الشرعية، بحيث تكون المقاومة ركيزة المؤسسة الوطنية، وتصبح المنظمة إطارًا جامعًا لا مجرد واجهة رمزية.

تجربة المقاومة تثبت أن الإنجاز يظل نسبياً والنصر مؤجلاً، ويكون قريباً أو بعيدًا، بالقياس إلى قدرة حركة التحرر ان تحشد طاقاتها وتبني عناصر القوة، ولا تهدر الإنجاز مهما كان بسيطاً ولا التضحيات وهي عظيمة وثمينة، ولكن ان تستمر لتجعل مشروع العدو خاسرًا، وتحقيق كرامة الشعب الفلسطيني وحقوقه غير المنقوصة. الخطة الأخيرة، التي أدت الى وقف إطلاق النار وتثبيته ورغم سياق العدو العدواني، يؤكد ان ثبات المقاومة والتزامها بالثوابت: وقف العدوان، انسحاب كامل، تبادل عادل للأسرى، فتح المعابر، وإعادة الإعمار.

اليوم، الرهان على المسار الوطني الفلسطيني، الذي يقوم على أساس الوحدة الوطنية، لأنها ليست خيارًا، بل ضرورة حتمية. ورص الصفوف، توحيد الجهود، واستكمال الحوار الوطني هي شروط حماية الحقوق وإنجاز الاستحقاقات، وهي الضمانة الحقيقية لمستقبل فلسطيني حر، مقاوم، ومتمسك بأرضه ومشروعه الوطني.

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منير الرفاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المدقق اللغوي
أيمن الحسن

الإدارة
حسن شتيوي

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف
يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة بجوار مشفى الشفاء -
نهاية شارع الثورة
الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الهدف
AL-HADAF
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية
العدد رقم (76) - (1550) - تشرين الأول (أكتوبر) 2025

الافتتاحية

• بعد وقف النار: الوحدة خيار البقاء والمقاومة أساس المشروع الوطني — 1

شؤون فلسطينية

• بيان الجبهة الشعبية بمناسبة الذكرى الثانية لـ «طوفان الأقصى».. — 3
• بيان صادر عن «لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال» — 4
• في الذكرى الثانية لطوفان الأقصى مواصلة إسناد الشّعب الفلسطينيّ لإفشال المخطّط الصهيو- امبريالي — حمة الهمامي — 5
• طوفان الأقصى بين الانجازات الاستراتيجية والاخفاقات الآنية — حسين موسى — 8
• في الهدف: عائد إلى غزة.. عائد إلى فلسطين — 9
• سنوات الضياع: دوامة التصفية تطحن أطفال غزّة! — إلهام الحكيم — 10
• السابع من أكتوبر وضرورة الكفاح المسلح — اسحق أبو الوليد — 12
• السردية الفلسطينية في ظل معطيات التحول العالمي تجاه فلسطين — حمدان الضميري — 14
• هل أخطأت المقاومة في السابع من أكتوبر تشرين الأول؟ — د. محمد عياش — 15
• معركة طوفان الأقصى: استراتيجية المقاومة ورؤية السنوار — حمزة البشتاوي — 17
• غزة تسد الطريق على مخطط الإبادة والتهجير — محمد صوان — 18
• غزّة انتصرت انتصار الحياة على الموت — د. انتصار الدنّان — 20

ملف العدد حوار الأسر والحرية: حوارات مع:
• باسم خندقجي
• كميل أبو حنيش
• السامري النادر الحر
لمى الشطلي
شذى عبد العال
مجدولين أبو ناموس — 21

شؤون عربية

• عامان على الطوفان.. كيف نستثمر في المقاطعة بوصفها استمرار للمقاومة — رضي الموسوي — 31
• في رحيل المصطفى براهمة، مسار ثائر نحو اقتحام السماء — معاد الجحري. — 34
• سوريا تحت وطأة العقوبات: الفرص المحدودة والتحديات المتصاعدة — عزيز موسى — 36

شؤون دولية

• منعطف استراتيجي للقضية الفلسطينية: القانون الدولي يتحدى الكنيست — د. سعيد سلّام — 38
• ترامب: وقف الحرب حماس: قبلة الحياة — مروة محمد — 40
• المقاومة لم تنكسر في الميدان والشياطين تسكن في تفاصيل خطة ترامب — عليان عليان — 41
• على خطى الطوفان: نحو تعزيز التضامن العالمي ومحاصرة السردية الصهيونية — د. وائل الزريعي — 44
• السلام الذي تصنعه «الأسلحة التي لم يحلم بها أحد «!! — محمد العبد الله — 48

شؤون العدو

• معضلة نتنياهو: اقتلاع الفلسطينيين والحسم على صعيد الوعي — إبراهيم أبو ليل — 50
• معركة طوفان الأقصى في ميزان الصراع الوجودي مع المشروع الصهيوني — نعيم ابراهيم — 52
• قراءة في السلوك الصهيوني الفاشي في الضفة الفلسطينية في زمن الطوفان» — د. محمد عبد القادر — 54

• **دراسات الهدف:** قراءة لمفهوم اليسار وبنيته ودوره — **حاتم إستنابولي** — 56
• **تحقيق الهدف:** طوفان الأقصى في عيون المخيم — **وفاء حميد** — 61
• **ترجمات الهدف:** جيل زد ينتفض: النضال من أجل الاشتراكية الدولية — **ترجمة: نور نوارة** — 63

شؤون ثقافية

• الروائية كفى الزعبي — حوار: أمينة عباس — 64
• «طوفان الأقصى.. هل كان انفجارًا في الميدان أم يقظةً في الوعي الجمعي؟»: قراءة ثقافية — تغريد بومرعي — 68
• الفنان المسرحي الفلسطيني زياتي قدسية رائد المونودراما العربية — جوان جان — 70
• التحولات في الكتابة الإبداعية بعد طوفان الأقصى — د. ثائر يوسف عودة — 73
• فخ الدولتين لممدوح حبشي — بسام سفر — 75
• الثالوث الفلسطيني المقدس — غرز الدين جازي — 78
• فلسفة العقلانية والتنوير في فكر عبد الله النديم — د. سامي الشّيخ محمّد — 81
• مطالعة في كتاب «السياسة الثقافية الثالثة» — د. سمير عبد الرحمن الشميري — 83
• عامان على طوفان الأقصى قرن على طوفان الوعي — أحمد علي هلال — 86
• فعاليات أكاديمية دار الثقافة في بيروت ودمشق — 87

بمناسبة الذكرى الثانية لـ «طوفان الأقصى»..

الجبهة الشعبية:

عملية السابع من أكتوبر صرخةً مدوية في وجه الطغيان الصهيوني أعادت القضية الفلسطينية إلى الوعي العالمي

أكدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أنّه في الذكرى السنوية الثانية لعملية السابع من أكتوبر، تستحضر لحظة فاصلة في مسيرة شعب لم يعرف الاستسلام أو الخضوع، وأكدت المقاومة في ذلك اليوم أنها جوهر الوجود الفلسطيني وروحه الحيّة، وكانت صرخةً مدوّيةً في وجه الظلم والطغيان وجبروت الاحتلال، وإعلاناً مدوياً وجريئاً للعالم بأن الشعب الفلسطيني حيّ، ثابت في أرضه وهويته، ومتمسك بحقه في الحرية والكرامة.

وأضافت الجبهة في بيانها الصادر اليوم الثلاثاء أنّ «عملية السابع من أكتوبر شَكّلت منعطفاً إستراتيجياً غيّر معادلات الصراع وأعاد القضية الفلسطينية إلى قلب الوعي العالمي، وأثبتت أن الإرادة الحرة قادرة على زلزلة منظومات القوة المتغطرسة مهما بلغ تفوقها التقني، وكشفت هشاشة الكيان الصهيوني أمام مقاتلين يمتلكون عزيمةً صلبة وإيماناً بعدالة قضيتهم».

وبينت الجبهة، أنّ المعركة تجاوزت بُعدها العسكري لتؤكد أن المقاومة منهجٌ ثابت وأن الشعوب التي تتشبث بحقها قادرة على كسر حدود الخوف وصناعة التاريخ من جديد.

وتابعت: «غير أن الردّ الصهيوني، المدعوم مباشرةً من الإمبريالية الأمريكية واللوبيات الغربية، لم يكن مجرد هجوم عسكري، بل تجسيدًا صارخًا لإرهاب الدولة المنظم كأداة استعمارية بامتياز. في غزة، شهد العالم إبادة ممنهجة لم تعرفها الإنسانية منذ عقود، ليس فقط من حيث الوحشية، بل من حيث عقلية الاستعمار التي تبرر المجاعة كسلاح، والحصار كأداة خنق جماعي، وتدمير البنى التحتية الحيوية كجزء من مشروع إبادة منظّم. المستشفيات والمدارس والجامعات ومصادر المياه والكهرباء لم تُستهدف فحسب، بل سويت المنازل فوق رؤوس سكانها، وفُقدت مقومات الحياة الأساسية، وهُجّر مئات الآلاف مرارًا وتكرارًا، كل ذلك يكشف الوجه الحقيقي للمنظومة الاستعمارية «منظومة ترى حياة الإنسان الفلسطيني مجرد عقبة في طريق الهيمنة، ومنتهكة للحقوق، ومصممة على إبادة الإرادة الوطنية».

وبينت الجبهة أنّ انضمام قوى المقاومة في لبنان واليمن وإيران والعراق إلى جبهة الإسناد لغزة يعكس وحدة المصير وعمق التضامن، مؤكداً أن فلسطين ليست وحدها في مواجهة الاحتلال. لقد برهنت المقاومة اللبنانية واليمنية على قدرة الصمود والمواجهة المستمرة، ورغم التضحيات الجسيمة، فإن نهج المقاومة يثبت أنه الطريق لتوحيد الشعوب العربية واستعادة كرامتها وبناء مستقبل حرّ ومستقل بعيداً عن الهيمنة والاستسلام.

وبينت أنّ الحراك العالمي غير المسبوق ضد الاحتلال، والضغط الدولي على الإدارة الأمريكية وقادة الدول الغربية أثبت أن الوعي الإنساني بدأ يستعيد بوصلته الأخلاقية تجاه فلسطين.

وقالت الجبهة: «قد مثّل مشهدُ العلم الفلسطينيّ وهو يرفرف في أصقاع المعمورة، ويحمله الأحرارُ في العالم خلال مسيراتٍ عارمةٍ وتظاهراتٍ تاريخيّةٍ غير مسبوقةٍ في العواصم والميادين والشوارع، خصوصاً في الدول الغربية، إنجازاً رمزيّاً وإنسانيّاً عظيماً أعاد الاعتبار لقضيةٍ حاول الاحتلال طمسها لعقود. بينما بات الكيانُ الصهيونيّ كياناً منبوذاً ومارقاً على القانون الدوليّ والضمير الإنسانيّ، محاصراً بالغضب الشعبيّ وبعزلةٍ أخلاقيةٍ متنامية تكشف هشاشة سرديّته وزيف ادّعائه بالديمقراطية والإنسانية».

كما حيت الجبهة بكل فخر «شهداء شعبنا الأبطال، لا سيما القادة والمقاتلين في غزة والضفّة وفي سائر ساحات المواجهة، الذين امتزجت دماؤهم لتؤكد صمود غزة، ونوجه التحية لأسرانا وجرحانا، مؤكّدين أن تضحياتهم ستظل خالدة ومصدر فخر وإلهام».

وشددت الشعبية أنّ «عملية السابع من أكتوبر شَكّلت محطةً مهمةً من محطات شعبنا النضالية المستمرة منذ احتلال فلسطين، وكانت رداً طبيعيّاً على جرائم الاحتلال المتواصلة في غزة والضفّة والقدس، وضدّ الحصار والاستيطان والتهويد. ومن حاول تصوير هذه العملية على أنها بداية الصراع أو سبب المشكلة، نذكره بأن جرائم الاحتلال لم تتوقف منذ احتلال فلسطين وحتى اليوم، بينما المقاومة كانت دائماً فاعلة ومستمرّة ومشتعلة في كل ساحات النضال، تؤكد صمود شعبنا وإرادته في مواجهة العدوان».

وأوضحت الجبهة أنّه «في ظل تصعيد الاحتلال حرب الإبادة خصوصاً في مدينة غزة، وتقديم المقاومة ردوداً على المقترح الأمريكي، فإن أولوياتنا تَتمّثل في الوصول إلى اتفاق لوقف فوري وشامل للحرب، ورفع الحصار، وإدخال المساعدات، وإعادة الإعمار. وإن هذه مطالب ثابتة سنتعامل فيها بكل مسؤولية ومرونة من أجل إنهاء معاناة شعبنا».

وحملت الجبهة الإدارة الأمريكية المسؤولية عن أي محاولات الاحتلال لإفشال المفاوضات أو الاستمرار في حرب الإبادة، وهو ما يستدعي ضغوطاً عربية ودولية واستمرار الحراك العالمي لمنع أي انقلاب على الاتفاق في أي مرحلة.

ورفضت الجبهة الوصايا الأجنبية، مؤكدةً أنّ إدارة قطاع غزة شأن فلسطيني داخلي، وقد تم الاتفاق برعاية مصرية على لجنة إدارية مؤقتة من التكنوقراط لحين تشكيل حكومة وحدة وطنية تتحمّل مسؤولياتها في الضفّة وغزة، ويستلزم ذلك لقاءً وطنياً عاجلاً لترتيب البيت الفلسطيني وإعادة بناء المؤسسات، ومواجهة التحديات الهائلة التي تحدق بالقضية الفلسطينية.

كما جددت تأكيدها أنّ «حق شعبنا في المقاومة المشروعة بكل أشكالها وعلى رأسها المقاومة المسلحة، وضرورة تصعيد المقاومة في الضفّة لمواجهة مخططات الضم وسياسات الاستيطان والتهويد ومحاولات الاحتلال لحسم الصراع».

ودعت الجبهة إلى موقف عربي وإسلامي ضاغط ومركزي من أجل تثبيت وقف حرب الإبادة بشكل شامل، ويستثمر كل أوراق القوة العربية والإسلامية، ويُفعّل دور الجماهير والأحرار، ومواجهة كل أشكال التطبيع مع الاحتلال.

كما طالبت باستمرار الحراك العالمي للضغط على الاحتلال وداعميه، ومساءلة مجرمي الحرب دولياً وعلى رأسهم نتنياهو، وفرض تدابير رادعة لإنهاء الإفلات من العقاب، وتوسيع قوافل الحرية البحرية والبرية نحو غزة لكسر الحصار وكشف جرائم الاحتلال.

وختمت الجبهة بالتأكيد على أنّه «في هذه الذكرى الخالدة، وأمام استمرار حرب الإبادة الصهيونية، أن صمود شعبنا ومشروعية قضيته سيظلان راسخين وثابتين، وأن دماء الشهداء وعزيمة الأبطال هي منارنا الذي يضيء الطريق نحو العودة والحرية، وصوت شعبنا الحر سيبقى أعلى من كل آلة القتل والإجرام الصهيوني، مشددة على أن فلسطين ستعود إلى سكانها الأصليين عاجلاً أم آجلاً من نهرها إلى بحرها بفضل مقاومة وتضحيات أبنائها، ووقوف وتكاتف وتضامن أحرار العالم.

بيان صادر عن «لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال»

تتقدم «لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال «بأسمى تحياتها النضالية والجهادية العظيمة لجميع الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين الذين فرضت المقاومة الفلسطينية على الكيان الإسرائيلي تحريرهم من الأسر الإسرائيلي في 14 تشرين الأول 2025, وتتقدم برسالة التقدير والاعتزاز من جميع المقاومين في الأراضي الفلسطينية المحتلة وفصائلهم الوطنية والإسلامية التي قادت عملية التبادل، وتعاهدهم على غرار جميع الأسرى المحررين من سجون الاحتلال بالسير على طريق المقاومة لتحقيق أهداف الشعب الفلسطيني في التحرير والعودة كما تعاهد لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين الشعب الفلسطيني بأن لا تذهب دماء الشهداء الذين ارتقوا أثناء وبعد عملية طوفان الأقصى في قطاع غزة وفي الضفة الغربية وبقية الأراضي المحتلة هدراً وهم الذين تصدوا بأرواحهم مقاومين وأطفالاً ونساء وحققوا بصمودهم العظيم فوق ترابهم الوطني وتضحياتهم هذا الإنجاز بل الانتصار الكبير على إسرائيل ومخططاتها التي هدفت إلى تهجير شعبنا ومنع تحرير الأسرى. وإن لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين تعاهد جميع الأسرى الذين تحرروا والصامدين في معتقلات الاحتلال على الاستمرار في النضال الدائم واليومي من أجل تحرير جميع الأسرى وتحقيق أهداف شعبنا بالتحرير والعودة.

لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين
في سجون الاحتلال
أكتوبر2025

في الذكّرى الثانية لطوفان الأقصى
مواصلة إسناد الشّعب الفلسطينيّ لإفشال المخطّط الصهيو- امبريالي في صيغته «الترامبيّة» الجديدة

حمة الهمامي – أمين عام حزب العمال التونسي

عامان بالكامل مرّا يوم 7 أكتوبر/تشرين الأوّل 2025 على انطلاق معركة طوفان الأقصى. وأكاد أجزم أنّ قلّة قليلة جدًا من النّاس قد تكون توقّعت أن تستمرّ هذه المعركة كلّ هذا الوقت وأن تصمد غزّة كلّ هذا الوقت في وجه الآلة الحربية الصهيونيّة المدعومة مباشرة من أكبر القوى الاستعماريّة في العالم وعلى رأسها الولايات المتّحدة الأمريكيّة التي لم تترك شيئا لم تفعله لمساعدة الكيان النّازي على حسم المعركة لصالحه لا مع المقاومة فحسب وإنما مع «شعب» غزّة أيضا عبر حرب إبادة استعملت فيها كلّ وسائل القتل الوحشيّة العسكريّة وغير العسكريّة من حصار وتجويع وتعطيش وحرمان من الدّواء والعلاج وتدمير كلّ معالم الحياة الماديّة (مساكن، طرقات، ورشات صناعيّة، متاجر...) والاجتماعيّة (مستشفيات، صيدليّات، دور حضانة ورياض أطفال...) والثقافيّة (مدارس، جامعات، معالم أثريّة...) والدينيّة (مساجد، كنائس...) كما استعملت فيها كلّ أدوات التّضليل الإعلامي والسياسي والخداع الدبلوماسي بهدف فرض الاستسلام على غزّة مقاومة وأهالي وانتزاعهم من أرضهم وتهجيرهم.

لكن حصل ما لم يكن في حسبان عتاة الوحشيّة فقد تغلّبت إرادة الشعب المتمسّك بالأرض والحياة على إرادتهم ومخطّطاتهم وعلى إرادة عملائهم الأنذال من حكّام العرب والمسلمين الذين لم يتركوا، بدورهم، شيئا قذرا إلّا وفعلوه لمساعدة أولئك الوحوش على تحقيق أهدافهم التي هي في نفس الوقت أهداف عملائهم الذين يستعجلون قبر القضية الفلسطينية ليخلو لهم الجوّ، حسب اعتقادهم، للمضي قدما في التّطبيع مع الكيان النازي خدمة لمصالحهم الدنيئة وحفاظا على عروشهم

لقد صمدت المقاومة وصمد «شعب» غزّة بالقدر الذي أعاد القضيّة الفلسطينيّة إلى صدارة الأحداث والاهتمامات بعد أن كان يخطّط إقليميّا ودوليّا لقبرها كما صمدت المقاومة وصمد «شعب» غزّة بالقدر الذي حرّك شعوب العالم وفي مقدّمتها شعوب البلدان الاستعماريّة كي تدرك كما لم تدرك من قبل: أوّلا طبيعة الكيان العنصرية الوحشيّة، هذا الكيان الذي ظلّ يتخفّى طوال عقود وراء دعاية مضلّلة تقدّمه على أنّه «ممثّل الحضارة» في مواجهة «الوحشيّة»، وثانيا عدالة قضيّة الشعب الفلسطيني المنتزع من أرضه والمشرّد والمعرّض باستمرار للإبادة ومشروعيّة كفاحه التحرّري الوطني، وثالثا نفاق حكوماتها الرجعيّة

وتورّطها في حرب الإبادة هذه منذ عقود دفاعا عن مصالح الاحتكارات الرأسمالية الكبرى. وهذا المكسب السياسي والمعنوي، الذي خلق للقضية الفلسطينيّة حاضنة أمميّة، يكتسي بكلّ تأكيد أهميّة استراتيجيّة عظيمة فالمعارك التحرّرية الكبرى تُكسب في البداية سياسيّا ومعنويّا ثم يفتح لها طريق الانتصارات العسكريّة الحاسمة لاحقا. «الحرية لفلسطين» (فري بالسطاين) هذا الشّعار السّحري الذي لهجت به مئات الملايين من الحناجر في مختلف أنحاء العالم، وخاصّة في البلدان الغربيّة، وزنُه أقوى بكثير في ميزان السياسة والتاريخ من وزن مئات الأطنان من المتفجّرات التي ألقاها الهمّج على غزّة رغم ما أحدثته من أضرار فادحة بشريّة وماديّة. لقد كسبت المقاومة ومعها الشعب الفلسطيني نقطة هامّة في معركة الوعي التي تخوضها ضدّ الكيان وراعيه الامبريالي الأمريكي الغربي المتوحّش والموغل في العدوانيّة وضدّ آلتهما الدعائية الرهيبة التي تتحكّم فيها كبريات الشركات الاحتكاريّة الرأسماليّة لتأبيد سيطرتها على عقول الناس ومشاعرهم وسلوكياتهم لتوجّههم الوجهة التي تخدم مصالحها. وهذا المكسب الذي حقّقته المقاومة تترجمه أيضا العزلة التي أصبح عليها الكيان في الساحة الدولية بشهادة العديد من وجوهه البارزة ووسائل إعلامه المؤثّرة كما يترجمه استفحال الأزمة الداخلية للكيان والتي تشمل كافة المجالات السياسية والاقتصادية والمالية والاجتماعية والدبلوماسيّة. وهو ما يترجمه أيضا الحرج الذي أصبح يشعر به داعمو الكيان من قادة الدول الاستعمارية الذين باتوا في مرمى نيران رأيهم العام الضاغط عليهم والذي يطالب بمحاسبتهم لتورّطهم في حرب الإبادة كما يطالب بوقف المدد العسكري والمالي الموجّه إلى الكيان الغاصب وهذا الأمر أصبحنا نلمسه في البلدان الأوروبيّة بما فيها بريطانيا التي صار فيها جزء من الرّأي العام يطالب حتّى بالاعتذار للشّعب الفلسطيني عن وعد بلفور المشؤوم كما نلمسه في الولايات المتّحدة الأمريكية ذاتها وحتى في الأوساط اليهودية من القارتين التي عقد بعضها مؤتمرا تأسيسيّا في شهر جوان/يونيو 2025 في عاصمة النّمسا، فيينا، باسم «المؤتمر اليهودي المعادي للصهيونيّة».

ما من شكّ في أنّ كل هذه العوامل وفي مقدّمتها صمود المقاومة وأهالي غزة والضفّة أيضا هي التي دفعت مجرم البيت الأبيض دونالد ترامب إلى إعلان خطته يوم 29 سبتمبر/أيلول 2025 وهي التي تم التوقيع عليها في شرم الشيخ يوم الاثنين 13 أكتوبر 2025 وقد سُمّيت بخطّة ترامب للسلام. وليس غائبا عن كل متابع للأحداث الخيط الرّابط بين كل ما جاء في هذه الخطة من بنود وبين كلّ ما قاله ترامب عنها سواء قبل توقيعها أو أثناءه أو بعده، سواء كان ذلك في البيت الأبيض عند استقباله نتنياهو أو أمام الكنيست أو في شرم الشيخ. ففي كل هذه الكلمات اقتصر الحديث عن غزّة وعن اشتراط وقف الحرب بإعادة الرهائن ونزع سلاح المقاومة وإبعاد حركة حماس من الحكم ووضع غزّة تحت وصاية دولية عربيّة إسلاميّة. أمّا الحديث عن فلسطين وعن «الدولة الفلسطينيّة» ولو بتلك الصيغة الفضفاضة والهلامية التي تحدّث بها قادة دول غربية آخرون لاحتواء ضغط رأيهم العام، فقد غاب بالكامل في مداخلات ترامب الثلاث. كما أنّه لا حديث في خطة ترامب وكلماته عن الضفة الغربيّة وعن القدس. ولم يكن ذلك من باب السّهو فقد سبق له أن تفاخر في واشنطن عند استقبال نتنياهو وفي خطابه أمام الكنيست يوم توقيع الاتفاقية بما اتخذه من خطوات منذ ولايته الأولى (2016-2020) تقضي بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية للكيان كما تقضي بالاعتراف بـ»حقّه» في ضمّ الضفة الغربية (يهودا وسامرة) إضافة إلى الاعتراف بضم هضبة الجولان. وهو ما شكره عليه نتنياهو أمام الكنيست إلى جانب شكره له على ما وفّره له من سلاح في حربه على غزة وعلى بلدان المنطقة مؤكّدا له أنّه «أعظم صديق لإسرائيل في تاريخ الولايات المتحدة». وهكذا يمكن القول إنّ الولايات المتحدة بقيادة الفاشي، التوسّعي، العدواني، ترامب، مصرّة على المضيّ قدما في تحقيق مخطط «الشرق الأوسط الجديد» الذي يمثّل الكيان الصهيوني أحد أضلعه الأساسيّة لتأبيد الهيمنة على كامل المنطقة بثرواتها الضخمة وأسواقها الواسعة ومواقعها الاستراتيجية الحيوية تجاريا وعسكريا وقطع الطريق أمام تمدد النفوذ الصيني الروسي حتى وإن اقتضى ذلك حربا جديدة على إيران .

إن الحلف الصهيو أمريكي الذي فشل عسكريّا في تحقيق أهدافه يحاول اليوم تحقيقها عبر الضغط السياسي والدبلوماسي والعسكري بتواطؤ من أنظمة العمالة والخيانة العربيّة والإسلاميّة التي تريد بدورها إنهاء المقاومة وغلق ملف القضية الفلسطينية والتطبيع مع الكيان. وهذا يعني بكلّ تأكيد أنّ الحرب لم تنته ويمكن أن تعود في أي لحظة علما وأنّ الاعتداءات على غزة مستمرّة بذرائع مختلفة وأن جيش الكيان مازال مسيطرا على نصفها وهو يمنع دخول المساعدات الإنسانيّة بما يستجيب للحاجيات. وهو يواصل في نفس الوقت حربه على الضفّة واعتداءاته على المقدسيّين. وفوق ذلك كلّه فإن الكيان وراعيه الأمريكي يريدان الالتفاف بكل الوسائل على منجزات معركة طوفان الأقصى العسكري منها والسياسي والمعنوي حتّى لا تستثمر في تقوية الذات وفي الإعداد للمعارك القادمة وهما يجدان إلى جانبهما أنظمة حليفة تابعة تستمر في الضغط بكل الأساليب على المقاومة لدفعها إلى التنازل في الوقت الذي تحاول فيه أبواقها تبخيس معركة طوفان الأقصى وتشويهها وتحميل المقاومة، لا الكيان النّازي، مسؤولية الفظاعات المرتكبة في غزّة. وهو ما يعني أنّ الشعب الفلسطيني ومقاومته دخلا مرحلة جديدة من هذه الحرب التي تتطلّب توتير قوى جديد لمواجهتها. ولا بدّ من القول إنّ هذه المرحلة لا تقلّ صعوبة وتعقيدا عن المرحلة السابقة فكلّ خطوة فيها مطبّات والمطبّات ستتكاثر حال الدخول في التفاوض حول ما بعد مرحلة تبادل الأسرى وتحديدا حول سلاح المقاومة وبنيتها العسكرية (الأنفاق الخ...) وحول إدارة غزّة وإعادة إعمارها

إنّنا واثقون بأن المقاومة التي صمدت هي وحاضنتها الشعبيّة لمدة عامين كاملين في وجه حرب الإبادة في ظروف جغرافيّة وعسكرية وأمنيّة وسياسيّة على درجة قصوى من الصعوبة والتّعقيد ستكون قادرة مرّة أخرى على مواجهة المرحلة الجديدة بتحدياتها العسكرية والأمنية والسياسية والاجتماعيّة. ولا نشكّ لحظة في أن فصائل المقاومة تدرك جيّدا أهميّة تجميع القوى الوطنيّة الفلسطينيّة في جبهة واحدة بما يسمح بتعزيز الجبهة الداخلية الفلسطينية وعزل الأقليات المتواطئة مع مشاريع الاحتلال وبما يسمح أيضا بالحفاظ على منجزات معركة طوفان الأقصى كحلقة متقدمة في مسار النضال الوطني الفلسطيني والبناء عليها لمواصلة مسيرة التحرر. وبطبيعة الحال علينا النظر فيما يطرح على القوى الوطنية والثورية في بلادنا وفي المنطقة من واجبات فالساحة الفلسطينية في حاجة إلى الدعم ربما اليوم أكثر من الأمس خاصة في ظروف المنطقة الجديدة (الوضع في لبنان وسوريا وانحصار الإسناد العسكري المباشر في الجبهة اليمنية الخ...) فمن أوكد واجبات اللحظة الراهنة مواصلة الوقوف، إقليميّا ودوليّا، إلى جانب الشعب الفلسطيني ومقاومته وهو ما من شأنه أن يخفّف الضغوط الحاليّة عليهما ويحدّ من احتمالات عودة العدو، المعروف هو وحاميه الأمريكي بالغدر ونقض الاتفاقيات، إلى الحرب من جديد أو الاستمرار في اعتداءاته على نحو ما يفعله في لبنان، ويسمح للمقاومة باستعادة أنفاسها وبالمناورة من أجل الحفاظ على سلاحها وبناها العسكريّة وإدخال المساعدات للأهالي بالقدر الكافي وإحباط كلّ محاولات فرض وصاية على القطاع. ويمثّل العمل على تجريم التطبيع، إلى جانب التصدّي للدعايات المشوهة لمعركة طوفان الأقصى والمقاومة ومحاولات قصف منجزاتها، أحد أهم المحاور التي ينبغي العمل عليها في تونس وفي باقي بلدان المنطقة لإفشال موجة التطبيع الجديدة التي يخطّط لها ترامب ونتنياهو بتواطؤ عربي إسلامي رسمي. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ المطلوب من شعوبنا ألّا تتوقف عن النضال ضد المصالح الامبريالية وعلى رأسها مصالح الامبريالية الأمريكية بمختلف أشكالها ومنها خاصّة الشركات النفطية والتجارية والقواعد العسكرية. ومن نافل القول إن هذا النضال يرتبط رأسا بالنضال ضدّ أنظمة العمالة والخيانة التي تستند إليها القوى الامبريالية لتأمين مصالحها في بلداننا فمن الضروري إعادة بناء مختلف جبهات النضال الشعبية والنقابية والنسائية والشبابية والثقافية لتقوم بدورها في هذا الوقت بالذات الذي تراجعت فيه حركة المساندة الشعبيّة بعد إعلان وقف الحرب في غزة. إن مخطط الشرق الأوسط الجديد (أو سايكس بيكو الجديد) الصهيو امبريالي، الهيمني، الذي ينفّذ في أرض الواقع، لا يهم فلسطين وحدها وإنما كافة شعوب المنطقة بما فيها شعوبنا المغاربيّة. وهو ما يجعل من الوقوف إلى جانب فلسطين حماية لأنفسنا ودفاعا عنها أيضا في وجه الهجمة الامبريالية الصّهيونية.

إنّ التضامن الأممي يبقى، كما كان وكما هو الآن، عاملا مهمّا في إسناد الشعب الفلسطيني ومقاومته. إنّ التعبئة التي شهدها العالم لصالح فلسطين كان لها دور مهمّ في تراجع بعض الدول في دعم الكيان الصهيوني وفي اعتراف أخرى بالدولة الفلسطينية رغم طابعه الرمزي وفي عزل الكيان الصهيوني وفضح طبيعته العنصرية النّازية ناهيك أنّ هناك جزءا من الرّأي العام في الولايات المتحدة أصبح يتساءل عن وجود الكيان من أصله. ومن المهم جدا الحفاظ على هذه التعبئة التي ما زال الشعب الفلسطيني في حاجة إليها في مواجهته الجديدة مع خطة ترامب وما يصحبها من ضغوط وما تحمله من إمكانيات العودة إلى الحرب كما ذكرنا أعلاه. إن حركة التضامن الأممي على غاية من الأهمية لتثبيت وقف الحرب على غزّة ومدها بالمساعدات والبدء في إعادة التعمير. كما أنها مهمة من أجل ردع الحكومات الغربية كي تتوقف عن مد الكيان الصهيوني بالسلاح والمال وتوفير الغطاء السياسي له واستيراد الأسلحة والبضائع منه وهي مهمّة أيضا في فرض محاكمة مجرمي الحرب الصهاينة وعلى رأسهم نتنياهو إضافة إلى كل الذين دعموهم في حرب الإبادة.

إنّ معركة التحرر الوطني الفلسطيني مثلها مثل كل حركات التحرر الوطني الكبرى في التاريخ الحديث ستمتدّ على مسار كامل تتخلّله انتصارات وهزائم كما تتخلّله فترات مدّ وفترات جزر، فترات مساومات واتفاقات وهُدنات، إلى أن تجتمع، بعد عمليّة تراكميّة صعبة ومعقّدة، شروط النّصر النّهائي الذي نراه قادما في فلسطين من تحت ركام غزّة والضفّة ومن وراء صمود شهداء فلسطين وأسراها المحتجزين في محتشدات الكيان التي عرّت فظاعتها حالة الأسرى المسرّحين أخيرا كما عرّتها حالة جثث الشهداء المقيدة ومنزوعة الأعضاء في مشهد يؤكّد طبيعة الكيان الصهيوني الاستيطاني، الإحلالي الذي لا تحرّر إلّا بالتخلّص منه ومن وجود راعيه الامبريالي. لقد أكّدت معركة طوفان الأقصى مرّة أخرى وهم «حلّ الدولتين» فلا حلّ إلّا في دولة فلسطين الواحدة من النهر إلى البحر، الديمقراطية، القائمة على مبدأ المواطنة والتي تتّسع لكلّ الديانات والمعتقدات... ولا حلّ إلّا في تركيز السلطة الفلسطينيّة على كلّ شبر محرّر من الأرض دون الاعتراف بالكيان الذي لا حقّ له وللحركة الصهيونية في أرض فلسطين ومواصلة الكفاح حتّى تحرير هذه الأرض بالكامل ونهائيّا. إنّ أرض فلسطين لها شعب اختلطت دماؤه ودموعه بها لتنبت حرّية. إنّ من لا نفس لهم ومن لا دراية لهم بتاريخ الشعوب والمضطهدين عامّة والمهزومين قبل حتّى أن تصلهم الضّربة هم الذين لا يدركون عظمة معركة طوفان الأقصى في تاريخ شعب فلسطين والمنطقة والعالم ولا يستكشفون انعكاساتها المستقبليّة لأنّ عقولهم صغيرة وآفاقهم ضيّقة ولا يقدرون على قراءة ما وراء الحطام الذي يملأ شوارع غزّة العزّة.

طوفان الأقصى
بين الانجازات الاستراتيجية والاخفاقات الآنية

حسين موسى ـ كاتب فلسطيني. سورية

بعد عامين من عملية السابع من أكتوبر التي تعتبر لحظة فارقة في تاريخ النضال ضد الاحتلال الصهيوني، وكحدث كوني تتجاوز دلالاته حدود فلسطين. ومنذ الساعات الأولى، انقسم الفلسطينيون والعرب بين من يحاكم العملية وفق منطق «الصح والخطأ»، وبين من يرى فيها حدثا كاشفا يعيد صياغة معادلات القوة في فلسطين والمنطقة والعالم.

فالطوفان ليس مجرد معركة عسكرية، بل لحظة مفصلية، إما أن تُستثمر لتأسيس مرحلة جديدة، أو تهدر بالجدل،

إن مواصلة الجدل الفلسطيني والعربي وحصر النقاش في سؤال "هل كان الطوفان صائبا أم خاطئا؟" بعد عامين من حدوثه، يحوّل الحدث التاريخي إلى جدل إعلامي لتسجيل نقاط من هذا الفريق على ذاك الفريق لكن بلا فائدة. لأن الطوفان قد حدث.

علينا التحول من محاكمة الفعل إلى توظيف تداعياته. أي كيف يمكن تحويل المأزق إلى فرصة، وكيف نستثمر التضحيات الجسيمة التي قدمها الشعب الفلسطيني.

نظرة سريعة لأهم إنجازات السابع من أكتوبر :

أولا: حطمت أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر ومؤسساته الأمنية المختلفة واستطاعت إيقاع خسائر بشرية كبيرة لديه خلال الساعات الأولى للعملية، فباعترافهم قتل حتى الآن 2352 وأصيب نحو 30 ألفا بين جريح ومصاب بحالات نفسية من الجيش والشرطة والمستوطنين منهم 1200 في اليوم الأول للمعركة والباقي خلال العدوان على غزة.

ثانيا: استطاع الشعب الفلسطيني ومقاومته في طوفان الأقصى كسب معركة الصورة في العالم بعد أن كانت إسرائيل توظف الإعلام الغربي لصالحها وتستمر في الكذب وشيطنة المقاومة والشعب الفلسطيني حيث زاد التعاطف الشعبي الدولي ونجحت غزة في إيصال صوتها لكل مكان، وباتت المظاهرات لا تنقطع لدعم فلسطين في أوروبا وأمريكا. وهو ما دفع إسرائيل لشراء المؤثرين على مواقع التواصل، وتوظيف شركات الدعاية لتحسين صورتها المتدهورة كدولة إبادة عنصرية وقتلة، حتى إن صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية كشف، في 6 أكتوبر 2025، أن حكومة الاحتلال خصصت أكثر من نصف مليار شيكل (حوالي 145 مليون دولار) في ميزانيتها للتأثير على وسائل التواصل الاجتماعي و«ChatGPT»، وجعله يدافع عنها.

وكشف موقع «ريسبونسيبول ستيت كرافت» أن وزارة الخارجية «الإسرائيلية» جندت شباباً أمريكيين (مؤثرين يسمون «أنفلونسرز») للعمل لتلميع صورتها والدفاع عنها مقابل 7 آلاف دولار للمنشور الواحد.

ثالثاً: هدمت معركة طوفان الأقصى العلاقة بين إسرائيل والرأي العام العالمي الذي كان ينظر إليها كواحة للديمقراطية في وسط العالم العربي المتوحش ، حتى وصل هذا التأثير إلى الأمريكيون الذين باتوا يدركون من هم هؤلاء القتلة الذين يمتصون دماءهم ويعيشون عالة على بلادهم ويتحكمون فيمن يحكمونهم، ويطالبون بإسقاط هيمنة «إسرائيل» على صناعة القرار الأمريكي.

فلأول مرة يتجرأ نواب من الكونغرس من داعمي ترمب و«إسرائيل»، منهم مارغوري تايلور جرين، والمذيعون، مثل تاكر كارلسون، على المطالبة بفض العلاقة المشبوهة بين حكومتهم أمريكا وهذه الدولة المارقة «إسرائيل» التي تبتزهم وتسيطر على ساسة أمريكا وتنهب خيرات الأمريكيين.

وانتقدت النائبة الجمهورية أكبر داعمة لترمب مارغوري تايلور جرين «إسرائيل» وابتزازها لنواب الكونغرس وكتبت تقول: كيف تسيطر إسرائيل عبر «آيباك» (مجموعة ضغط يهودية) على أعضاء الكونجرس الأمريكي؟

رابعاً: عودة القضية الفلسطينية إلى واجهة الأحداث العالمية بعد أن كاد يطويها النسيان، وزيادة الاعتراف بالدولة الفلسطينية، ولأول مرة تعترف بها 7 دول وازنه دفعة واحدة؛ ليصل مجموع من يعترف بها 157 دولة، ومطالبة الجميع بدولة للشعب الفلسطيني.

خامساً: فرملة قطار التطبيع الذي كان منطلقًا قبل «طوفان الأقصى» بين «تل أبيب» والعديد من العواصم العربية والإسلامية، وتحول دول عربية كانت على وشك الوقوع في فخ التطبيع إلى أكبر معارض للتطبيع.

سادساً: بسبب وضوح النوايا العدوانية الصهيونية ضد كل الدول العربية والإسلامية خاصة بعد قصف الدوحة، وحديث نتنياهو وأعضاء حكومته المتطرفين من التيار الصهيوني الديني المتطرف، عن حلم «إسرائيل الكبرى» وأحلام توراتية، بدأت دول عديدة تبني تحالفات جديدة لممارسة دور أكبر في غزة والعالم وتحجيم نفوذ الاحتلال.

وكان التحالف المصري- التركي، والباكستاني- السعودي من نتائج «طوفان الأقصى»؛ لأن الطوفان دمر صفقة القرن وموجات التطبيع.

سابعاً: كشف «طوفان الأقصى» عنصرية وازدواجية الإعلام الغربي وتبعيته لـ«إسرائيل» واللوبيات اليهودية المؤثرة، حين ظهر انحياز الإعلام الغربي ونقله عن الإعلام «الإسرائيلي» قصصاً وهمية هدفها تبرير إبادة غزة.

وكان من أبرز هذه القصص الكاذبة الحديث عن أن المقاومة قتلت 40 رضيعًا «إسرائيليًا» ووجدوهم مقطوعي الرؤوس! وأن مقاتلي «حماس» اغتصبوا «إسرائيليات»، وهي قصص روج لها الإعلام الغربي ثم اعتذر.

ثامناً: كان اقتصاد إسرائيل أكثر من تضرر من «طوفان الأقصى» بسبب تكاليف الحرب الباهظة التي بلغت في عامين (منذ 7 أكتوبر 2023) أكثر من 21.7 مليار دولار، وفق مشروع «تكاليف الحرب» في كلية واتسون للشؤون الدولية والعامة بجامعة براون، وتدهور اقتصادها وانهيار مصانعها بفعل المقاطعة.

فقد بلغت تكلفة الحرب المبكرة (أو أول أيامها) 27 مليار شيكل (7 مليارات دولار) حسب «بنك إسرائيل» بسبب تعبئة الاحتياط واستدعاء مئات الآلاف من الجنود وتكاليف أخرى مرتبطة بالحرب.

وبلغت الخسائر الاقتصادية الإجمالية بين 30 - 50 مليار شيكل (8-13 مليار دولار) بما فيها نفقات عسكرية، وتعويضات، وأضرار بممتلكات المستوطنات، وأضرار بالطيران، وتجارة، وإغلاق مطارات، وتراجع السياحة.

تاسعاً: حسب المصادر الإسرائيلية والأجنبية منها: أصيبت إسرائيل بإخفاق أمني واستخباراتي، حيث فشلت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية في العثور على أسراهم وتحريرهم على مدى عامين، وهذا يعتبر انجاز نوعي للمقاومة.

إخفاقات معركة طوفان الأقصى؟

أولاً - طبيعة الحرب كانت إجرامية فقد راح ضحيتها عشرات الآلاف من الشهداء ومئات الآلاف الجرحى، ولم تكن تتصور المقاومة حجم الإجرام والعدوانية الصهيونية المدعومة بآلة الحرب الأمريكية والأوروبية، وحجم القتل العشوائي والتدمير والتباهي بهذه المجازر والمذابح.

ثانياً - كان الرهان كبيراً على دعم الشعوب العربية والإسلامية لمعركة طوفان الأقصى لكن حصل العكس حيث سيطرت حالة الخذلان من العالم العربي والإسلامي على مستوى الأنظمة والشعوب لمدة عامين.

ثالثاً - لم تستطع معركة طوفان الأقصى وعلى مدى عامين من إنهاء الانقسام الفلسطيني واستعادة الوحدة الوطنية مما جعل ظهرها الفلسطيني مكشوفاً.

أننا أمام فرصة تاريخية حيث الكل الفلسطيني مستهدف من انجاز وحدة وطنية فلسطينية واستراتيجية فلسطينية شاملة للمواجهة وتحويل المأزق إلى فرصة لتحقيق أهداف الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال،

في الهدف

عائد إلى غزة..
عائد إلى فلسطين

لعلنا نستذكر تلك الرواية الأثيرة التي كتبها غسان كنفاني ذات يوم (عائد إلى حيفا)، بوصفها مجازاً طليقاً ليس لرحلة الفلسطيني في الزمان والمكان وفي قلب التراجيديا، بل أكثر من ذلك هي رحلة العودة، ولعل ما يضفي على تلك الرؤيا الكنفانية طابعاً حياً بجدليته وقوة مثاله، هو كثافة المشهد لأهلنا العائدين إلى غزة والمهجرين أصلاً من أنحاء فلسطين، مشهد ستحفظه عين السينما كثيراً لأنه فرادة ذلك المجاز، بل حقيقته الكامنة في وعي كل عائد ظلت على شفتيه عبارة شهية: نعم نعود إلى غزة الوطن وهو يضمر فيما بين الكلمات عبارة أخرى أكثر حيوية وشغفاً عائد إلى فلسطين. هذا الطريق ذاته الذي قُدّر للفلسطيني بأن يكون قَدَره الأزلي، في أتون الصراع الوجودي والهوياتي والكياني، وليكون هذا المشهد هو السطر الكثيف في ملحمة العودة الكبرى، وبفائض رمزيته العالية والعميقة، نسوة وأطفال يحملون ما تبقى من ثياب وحاجات، لكن تعبير وجوههم هو الأقوى منذ النكبة الأولى ووصولاً إلى الطريق إلى شمال غزة وجنوبها، نقرأ ملامح الوجوه ونصغي للأصوات الخافتة التي تعني التجذر في الأرض ومضارعة آثار الحرب بحثاً عن شهيد تحت الركام، أو بقايا كتب مدرسية... هنا البيت.. هنا الوطن الأخير، رغم ما ينتظرهم على الجهة الأخرى من قذائف ورصاصات غادرة من عدو لم يرَ فيهم سوى أرقام فحسب، لكن إنسانيتهم التي التقطها الضمير العالمي هي من تعود أيضاً لتشكل المعنى للجموع الزاحفة نحو ما تبقى من بيوت، هدمها قصف حاقد، ومن ذكريات لم يقوَ عليها العدوان على الأرض والإنسان والذاكرة والتاريخ الحي، وبتعبير أدل على المقاومة الضاربة في عمق الجذور وعبر الأجيال، وعبر الذاكرة الفلسطينية الحية، وعبر ما تراكم من وعي مكين في نفوس أولئك العائدين، ليستعيدوا لحظة أخرى في سفر الملحمة الفلسطينية المعاصرة، سفر الوعي الجديد والمتجدد، إلى أرض لم تكن لسواهم، لتنبض من جديد تحت شمس لن تغير مكانها، وفي ظل واحدة من أعتى قوانين الصراع... غزة إننا عدنا من الموت لنحيا ونغني، وفي المتسع ثمة أطفال لم يكبروا ليموتوا، بل كبروا ليكتبوا عن حيوات أخرى انتزعوها بجوعهم وصبرهم وجراحاتهم وأشلاء شهدائهم التي ما زالت تحت الركام، ليصفعوا بها وجوه من خذلهم.

سنوات الضياع:
دوامة التصفية تطحن أطفال غزّة

إلهام الحكيم - كاتبة فلسطينية ـ تركيا

اعتاد التلاميذ في مختلف أنحاء العالم على المضي إلى مدارسهم بشغف ولهفة خلال شهري آب وأيلول وهم يحملون آمالهم وأحلامهم الوردية بمستقبل علمي وعملي زاهر , وقد بدأ العام الدراسي قبل فترة في مختلف الأرجاء لكنه لم يعرّج على أطفال فلسطين خاصة قطاع غزة الذي مازال يشهد عدواناً صهيونياً شرساً عليه

وها هي المجازر الوحشية الممنهجة تدخل سنتها الثالثة وتستهدف كل مكونات المجتمع المدني الفلسطيني خاصة النساء والأطفال الذين حُرموا من حقهم الأساسي بالتعليم فقد تدمّرت بيوتهم وأُجبروا على النزوح إلى المدارس القريبة التي تحولت إلى مراكز لجوء , وباتت الصفوف الدراسية غرفاً للإيواء , لكن هذه المراكز لم تشفع لهم أو تحصّنهم من الاستهداف فلاحقهم العدوان بكل أشكاله الوحشية والإجرامية منتهجاً أسلوب التدمير الشامل بهدف منع الأهالي من البقاء في تلك المدارس التي تحولت لأنقاض ومقابر للشهداء وبات من المستحيل عودة التلاميذ إلى صفوف الدراسة أو حتى الاحتماء في ظل جدران « المدارس « التي وُجدت لتدريس الطلاب وحمايتهم من التجهيل الذي يعمد الصهاينة فرضه على الفلسطينيين, لم تستطع المدارس والمراكز الصحية التي ترفع علم الأمم المتحدة الحفاظ على حياتهم مع أهلهم فالعدو الصهيوني أبى إلا أن يلاحقهم ويستهدفهم بالقصف والتدمير والحرق والتفجير وإطلاق الرصاص عليهم ثم التجويع والتعطيش ومنع الإمدادات الصحية عنهم بهدف القتل والإبادة الجماعية والتطهير العرقي! ودفعهم للنزوح المتكرر طلباً للحياة ثم الملاحقة مجدداً مما أدى لتفاقم الأزمة الإنسانية مع استمرار جرائم الحرب بحق المدنيين في كل نقطة من القطاع بحيث لم يعد أي مكان آمن يمكن اللجوء إليه خاصة مع تفاقم الوضع الصحي الصعب والمتأزّم فقد وصلت نسبة الأطفال الذين ينتظرون مصيرهم المحتوم إلى 70 80%- من الإصابات التي طالت كل الفئات المجتمعية والمهنية, وبلغ مجموع الشهداء في القطاع حسب الجهاز المركزي الفلسطيني حتى تاريخ 2025/9/3 إلى65382 شهيداً منهم 18592 من الأطفال و 12400 من النساء و4412 من المُسنين- 1400 شهداء الطواقم الطبية, 246 شهداء الصحافة, 800 شهيد من الكوادر التعليمية , إضافة ل 203 شهداء موظفي الأونروا و 113 شهيداً للدفاع المدني أما عدد المفقودين فبلغ عددهم 11200 شخص.!!

• تصويب الموقف الغربي المنافق - من بلفور إلى ستارمر :

مؤخراً طرأ تغيّر لافت على موقف الحكومات الأوربية والكندية والأسترالية التي بدأت بالاحتجاج على العدوان الصهيوني الهمجي على الشعب الفلسطيني في غزة والضفة الغربية , ثم تبنّت فرنسا والسعودية حملة دولية للاعتراف بدولة فلسطين مع انعقاد الدورة الثمانين للجمعية العامة للأمم المتحدة , طرحت الدولتان « إعلان نيويورك « خلال مؤتمر « حل الدولتين « وتم التصويت عليه فحظيَ بتأييد منقطع النظير من الجمعية العامة ووصل عدد الدول المعترفة بدولة فلسطين إلى 157 دولة من أصل 193 دولة عضو أي 81% من أعضاء الأمم المتحدة , ثم بدأ مسلسل الاعترافات يتوالى» بلجيكا , لوكسمبورغ , مالطا , موناكو, أندورا « وقبلها بيوم « بريطانيا , كندا, أستراليا , البرتغال «.. حصل هذا الـ « تسونامي « وسط اندهاش وتخبّط حكومة الاحتلال الصهيوني التي شبّهت الموضوع بالانقلاب الدولي عليها, وهذا ما لم يعتّد عليه الكيان «اللقيط المدلل» الذي شعر بخسارة معركة وجوده والبدء بخطوة السقوط بسبب سياسة الحكومة اليمينية المتطرفة بزعامة نتنياهو والمدعومة بشدة من قبل أمريكا ترامب متجاهلين القوانين الإنسانية !..

- يشكّل الاعتراف بدولة مجتزأة مجهولة الحدود « 12% من مساحة فلسطين التاريخية «نواة بذرة إنسانية يمكن الاعتماد عليها لتصحيح المسار الأوروبي الذي رسمه « بلفور» للصهاينة قبل مئة سنة فسرقوا الأرض الفلسطينية وشوّهوا تاريخها وتراثها في محاولة لطمسها إلى أن صوّب رئيس الوزراء البريطاني «ستارمر» الخطأ التاريخي الذي يتطلب المزيد من الخطوات لرد كافة الحقوق إلى أصحابها بدءًا بمعاقبة الاحتلال على تماديه الوحشي في غزة, وإيقاف التعامل مع مؤسساته وصولاً لوقف العدوان الفاشي والتشريد والتهجير القسري وإنهاء الحصار.. إضافة لوقف الهجمة الاستيطانية الشرسة وهدم المنازل والمنشآت ومصادرة الأموال والأراضي الزراعية والتهجير والقتل والاعتقال في الضفة الغربية بهدف ضمّها.. وصولاً للاعتذار والتعويض ورد المظالم لأهلها والاعتذار عن الظلم المرتكب بحق الشعب الفلسطيني الذي من حقه تقرير مصيره وإقامة دولته الوطنية المستقلة كاملة المساحة والسيادة وعاصمتها القدس الشريف ...

- هذا « التسونامي « هل هو نتاج صحوة ضمير متأخرة لمن خلقوه وحفظوا كيانه إثر انكشاف فظائعه بحق شعب أعزل وأطفال يموتون جوعاً وحرقاً ونهشاً من الكلاب الضالّة -على غرار ما فعله الاستعمار الغربي قبل مئات السنين بالمواطنين السود - وانفضاح ممارسات جيشه الأكثر أخلاقية في العالم - حسب الإعلام الصهيوني والأمريكي -! هذا الجيش الذي استهدف كل مرافق الحياة في قطاع غزة بما فيها المنشآت الصحية والتعليمية فقام حتى يوم 25 آب 2025 – حسب بيانات الأمم المتحدة للأقمار الصناعية يونوسات- بتدمير204 مؤسسة تعليمية تدميراً كلياً, منها 190 مدرسة و14 جامعة, إضافة لتضرر 305 مؤسسة بشكل جزئي, من بينها 293 مدرسة و12 جامعة!.. مما يعني أن مستقبل التعليم في غزة يقف على أرض مدمرة, إضافة لتدمير البيئة التعليمية حيث حرم العدوان أكثر من 785 ألف طالب وطالبة من التعليم في المراحل المختلفة , وأدت لاستشهاد أكثر من 13 ألفاً و500 طالب وطالبة» - مقتبس عن الجزيرة -!..

- أَمْ هل كان هذا التسونامي الغربي نتيجة الضغط الشعبي الداعم للفلسطينيين والرافض للإبادة الوحشية بغطاء غربي وسياسة أوروبية منافقة ومؤيدة للصهاينة وداعمة له بالموقف والسلاح وكل مقومات الوجود واستمرار العدوان التصفوي على الهواء مباشرة ؟ ..

* التحركات البرية والبحرية «أسطول الصمود مثالاً «:

العربدة الصهيونية والمجازر المتواصلة منذ ثمانية عقود ضد الشعب الفلسطيني تُوّجت قبل سنتين بحرب شعواء لا مثيل لها تُنقَل تفاصيلها على الهواء مباشرة من غزة فهزّت إنسانية الشعوب خاصة الشباب وحرّضتهم على كسر الصمت واجتياح شوارع دولهم رفضاً للإجرام الصهيوني والتسليح الأوربي له ودعمه بالمحافل الدولية!.. اعتصموا أمام السفارات والمؤسسات والمصانع المشاركة بالإبادة, منعوا السفن الإسرائيلية من الرسو في موانئهم للاستفادة من الخدمات ونقل الأسلحة, سيطروا على الساحات العامة والشوارع حاملين الرايات الفلسطينية, هتفوا لفلسطين خلال المباريات الدولية وتصدوا للفرق الرياضية الصهيونية وصولاً للمطالبة بفصلها من الهيئات الرياضية الدولية ومنعها من المشاركة بالبطولات , كما ساهم الأدباء والفنانون العالميون بمساندة الحركة الشبابية وتفاعلوا معهم في الشوارع وعبر مواقع التواصل المختلفة والمهرجانات الفنية المحلية والعالمية.. أبى الشباب والنساء إلا أن ينقلوا فعالياتهم التضامنية إلى البحار فتابعت «اللجنة الدولية لكسر الحصار عن غزة» تحركها الذي بدأته قبل أعوام سابقة من خلال أسطول الحرية لرفع الحصار عن القطاع.. سُيّرت عدة قوارب متتالية كان آخرها وأكبرها على الإطلاق «أسطول الصمود العالمي والمغاربي» الذي يحمل 500 متطوع على 45 سفينة من 51 دولة.. مشاركة لا سابق لها من القوارب والسفن والفعاليات النسائية والشبابية والناشطين والمؤثرين الدوليين الذين حملوا المساعدات الطبية والغذائية والقرطاسية وألعاب الأطفال رغم التهديدات الصهيونية بالتصدي لهم ومنعهم من الوصول إلى غزة.. - لحظة كتابة هذه السطور - نفذت الحكومة المتطرفة تهديدها بالتشويش على الاتصال, وإطلاق مسيّرات فوق الأسطول والاعتداء عليه حيث أطلقت القنابل الدخانية والصوتية على 11 سفينة بهدف إتلاف الأشرعة وإجبارهم على التوقف عن تحقيق هدفهم بالمساندة الإنسانية للأطفال وقد تم إتلاف شراع أحدها لكن هذا لم يثنهم عن المتابعة عبر بقية القوارب , ثم أرسلت إيطاليا وإسبانيا سفناً حربية لحماية الأسطول ..

• أمريكا أولاً :

لقد شكّل تغيّر موقف الشباب وبعض النساء وكبار السن في الحزبين «الجمهوري والديمقراطي» الأمريكيين زلزالاً ربما سيهز الأركان الصهيوأمريكية إثر تعاظم تحرّكهم ضد دعم حكومتهم لـ «إسرائيل» التي تستخدم أموالهم الضريبية بإبادة شعب آخر في الوقت الذي يجب استفادة المواطن الأمريكي من تلك الأموال المقتطعة من وارداتهم ورواتبهم لتحسين وضعهم المعيشي وليس معيشة «الإسرائيلي» مطلقين شعار «أمريكا أولاً» فهل تتنامى تلك الظاهرة لتلحق بالرّكْب الشبابي الأوربي؟! فلننتظر عودة التسونامي الأمريكي الذي كبح جماحه الصهيوني الإنجيلي ترامب باعتقال الناشطين وكل من يدعم القضية الفلسطينية ويرفض العدوان والإبادة !..

ومازال الغائب الأكبر عن الدعم والتضامن هو غالبية الشارع العربي وأنظمته الرسمية !!

السابع من أكتوبر وضرورة الكفاح المسلح

إسحق أبو الوليد - كاتب سياسي فلسطيني ـ فنزويلا

هنالك من يعتقد أنه لو «تركت إسرائيل لحالها» ولو تركنا «نتانياهو يواجه المجتمع الإسرائيلي» لاستطعنا «تفكيك إسرائيل دون تعريض وجودنا للخطر» هل فعلاً كان بالإمكان تحقيق هذا الهدف أي «تفكك الدولة» دون تهديد وجودنا؟

رغم أن التاريخ والوقائع خطأت هذه الفرضية، تظهر الحاجة مجدداً لتفنيدها من جديد. قبل كل شيء يجب التذكير أن هذا الجوهر السياسي الأيديولوجي لأصحاب نهج التسوية التي توجها السادات بتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد في ١٧ أيلول عام ١٩٧٨، والذي يختلف ويتعاكس مع النهج الآخر نهج النضال الشعبي والمقاومة بكافة الوسائل، وخاصة المسلحة، التي تكفل تحقيق التغير في موازين القوى الضرورية لهزيمة العدو وإنهاء وجوده. من هذه الأرضية دعونا نحاكم «الفرضية» أعلاه والتي يرتكز عليها أصحاب نهج التسوية، وتصل عند البعض إلى حد «النظرية». فعلاً اعتمد منظرو التسوية السياسية مع «إسرائيل» شعار «خطر السلام على إسرائيل» والذي أول من طرحه كان أنور السادات كتبرير لنهجه التسووي. إن محاكمة هذه الافتراضية، والشعارات التي ترافقها في كل مرحلة تفرض علينا أن ندرك جيداً الطبيعة الذاتية ل «إسرائيل» كدولة استعمارية إحلالية. الكيان الصهيوني أقيم على أرض فلسطين، من قبل بريطانيا زعيمة النظام الرأسمالي في ذلك الوقت كأداة لها في قلب الوطن العربي وظيفتها تأمين نهب خيراته والسيطرة على جغرافيته، واستعمالها كمنصة لخدمة أهداف حربية عسكرية كونية. أما الحركة الصهيونية أداة الإمبريالية من أجل إقامة الكيان ـ الدولة كان وما يزال طموحها أن تقيم مجتمعها (وطنها) في فلسطين تحت اسم وطن اليهود بما يترتب على ذلك من التزامات على الدول الممولة وعلى الأداة المنفذة، مما خلق طبيعة مزدوجة للكيان الصهيوني: الأولى، مركزية وظيفية، أي يقوم بدور وظيفي، دور الأداة للإمبريالية والنظام الرأسمالي بشكل أساسي، مما يمنحه الدعم المطلق من قبل النظام (الرأسمالي) الدولي الذي أقامها لخدمة مصالحه في الوطن العربي والمنطقة والعالم.

من جهة أخرى «يبني» هذا الكيان الأداة بواسطة الحركة الصهيونية العالمية مجتمعها الخاص بها الذي حشد من أجل إقامته مئات آلاف اليهود من كل دول العالم وخاصة الأوروبية، منذ بداية القرن العشرين أي قبل الحرب العالمية الثانية بأكثر من ٤٠ عاماً. هذا المجتمع ليس صدفة أن تسميه أحياناً «المجتمع الإسرائيلي» وأحياناً أخرى تسميه «المجتمع اليهودي» بسبب عدم وجود هوية «وطنية» متبلورة «للشعب اليهودي» المزعوم و«الوطن» الذي تدعي أنها أقامته بعد «تحرير أرض إسرائيل والشعب اليهودي» من الاستعمار البريطاني، والذي نما وتطور وازدهر بشكل هائل في فترة قصيرة جداً.

يقول الواقع العملي المعاش والإحصائيات الصهيونية «الإسرائيلية» إن «الحقب الذهبية» للكيان كانت سنوات عدم خوض الحروب أي فترات «التطور السلمي والتعايش السلمي» مع دول المنطقة.

بعد اتفاقيات كامب ديفيد التي طمأنت وجودياً المستعمرين وقياداتهم، فتحت أبواب «الهجرة»، وتضاعفت أعداد المستعمرين القادمين للعيش في أرض «اللبن والعسل» وتضاعف عدة مرات الإنتاج ووصلت الصادرات العسكرية والمدنية إلى أرقام لم تتوقعها قيادات- مدراء الكيان كما خلق فائضاً هائلاً عكس نفسه على مستوى المعيشة. وازداد النمو والازدهار الاقتصادي المتوقع للكيان بعد توقيع اتفاقيات وادي عربة وأوسلو التي شجعت على استقدام مزيد من «المهاجرين» مما سمح بزرع الضفة الفلسطينية بالمستوطنين ـ المستعمرين الجدد. وقد تضاعفت الأخطار على الوطن العربي من خلال التمدد السياسي والاقتصادي والمعنوي في العالم العربي وخاصة في أكثر مناطقه أهمية، الخليج العربي، من خلال توقيع الاتفاقيات الإبراهيمية التي سمحت بالاحتلال غير المباشر لدويلاته التابعة أصلاً للمركز الإمبريالي. أيضاً شهد، الكيان الصهيوني، في ظروف «التعايش السلمي» بينه وبين الأنظمة العربية التابعة للإمبريالية، منذ تأسيسه، تعارضات سياسية أيديولوجية تتزاحم وتتنافس تحت مظلة الفكر الصهيوني التأسيسي بما لا يشكل خطراً وجودياً عليه. هذا طبعاً، جرى ويجري بشكل طبيعي بسبب الفوارق والتمايزات الطبقية التي استقدمها معهم المستعمرون أو التي استجدت بسبب موقعهم الجديد في البنية الاقتصادية لمجتمع متطور ومزدهر، شكلوا فيه أحزاباً تتوافق مع مصالح الفئات والأفراد أو تعبر عنها سياسياً وأيديولوجياً أو دينياً، وفي حال تعارضها، وهذا طبيعي أن يحدث، تحل تعارضاتهم في إطار فكرهم الصهيوني الأم على أرضية الحفاظ على الدولة، وليس على «الأمة» لأن الأمة ببساطة غير موجودة. لذا نهاية مطافهم في فلسطين يتمثل بضرورة تحقيق هزيمة الدولة وجيشها أو هزيمة الجيش ودولته. وهذا لن يتم إلا في ظروف الحرب المفتوحة التي بلا شك كلفتها عالية بل عالية جداً. المهزوم فيها يخسر وجوده.

لهذا العدو الصهيوني رغم كل جبروته وحرب الإبادة التي يخوضها لا يقبل وقف الحرب العدوانية، رغم أنه يستطيع موضوعياً استئنافها، إذا لم يهزم المقاومة هزيمة تامة وترفع رايات الاستسلام. الشيء الذي أصبح من أوهام الماضي في ظل الحقائق التي تفرضها المقاومة على الأرض. للمفارقة والسخرية أن هنالك من كان يعتقد أنه في ظروف «التعايش السلمي» للكيان مع واقعه العربي وازدهاره ونموه أنه سيرون نعش «دولة إسرائيل» يمر من أمام منازلهم ليهتفوا: عاشت فلسطين عاشت الحتمية التاريخية والنبوءات الدينية. يجب على هؤلاء سواء المتآمرين أو المتواطئين أو المترددين أن يعترفوا أن «الحتميات التاريخية»، التي لا أفق زمنياً لحدوثها، أو لتحقيقها، يمكن أن يقدمها أو يؤخرها حدوث أحد العاملين: الفعل البشري، أو تبدل في نمط عمل الطبيعة جيولوجياً أو بيئياً.

الفعل البشري بكل أشكاله التكنولوجية التطويرية يدخل في تناقض حاد مع الفعل العنفي ـ الحربي المدمر. هذا العنف سواء كان رجعياً فاشياً أو ثورياً تحررياً يبقى هو المقرر في عالم متناقض ومتصارع اقتصادياً وفكرياً.

وكاستمرار لمحاكمة الافتراضية أعلاه، لنذهب لما هو دائر من صراع مميت مع الصهيونية وكيانها على أرض فلسطين في غزة. نعم، غزة هي أرض ومركز الصراع، الذي ارتداداته المباشرة تنخر في الواقع العربي وتباعاً الإسلامي والإقليمي والعالمي وفي مقدمته الولايات المتحدة. هذا الترابط الجدلي للفعل والتأثير في الساحات المختلفة أفرز في كل الساحات عوامل تغير الواقع. وتغير الواقع سينتج تغيراً في نمط العلاقات والتفكير وخاصة في المركز الإمبريالي بسبب التفاعل السحري لما يجري في غزة وفلسطين مع عوامل أزمته المتعفنة بنيوياً.

لذلك نرى أن جزءاً هاماً من الحاضنة الإمبريالية الدولية للكيان أخذ تحت ضغط تناقضاته الداخلية واصطفاف فئات شعبية واسعة من كل طبقات المجتمع التأكيد والدفاع ليس فقط عن الحق الفلسطيني، بمعناه السياسي، بل عن الرواية الفلسطينية بمعناها التاريخي. والدليل أنه لأول مرة في تاريخ الصراع تهتف جماهير المجتمعات الإمبريالية: «من البحر إلى النهر». أيضاً، وهذا مهم وعلينا استثماره، لأول مرة يعقد في أوروبا، موطن الحركة الصهيونية، مؤتمر لليهود المعادين للصهيونية حضره ١٢٠٠ مندوب من كل العالم أيدوا النضال الفلسطيني، وأعلنوا أنهم يرفضون أن تقوم الصهيونية باقتراف المجازر وحرب الإبادة ضد الفلسطينيين باسم اليهود.....

إذاً الحرب التي فجرتها حركة المقاومة الإسلامية حماس في السابع من أكتوبر المجيد، والتي انخرطت فيها كل فصائل المقاومة الفلسطينية وجزء من شعبنا بمبادرات فردية طلائعية، والتي دعمت عملياً وبالنار والتضحيات من قوى محور المقاومة، هي بلا شك حرب وطنية ثورية تحررية استبقت حرب الإبادة، الصهيونية التي كما تثبت الأحداث والوقائع، كان هنالك استعداد لها إمبريالياً وصهيونياً بسبب التغيرات في موازين القوى الدولية وضرورة الإبقاء على السيطرة الإمبريالية على مكامن ومصادر الطاقة والمواد الأولية عالمياً. وما يحدث في أمريكا اللاتينية وخاصة في فنزويلا دليل على ذلك. صحيح أنها حرب إبادة مكلفة لشعبنا، لأن العدو ذهب إلى أقصى المدايات في هذه الحرب ضد غزة، ويعمل أيضاً على تقويض وضم الضفة الفلسطينية بهدف تحقيق السيطرة الكاملة على فلسطين التاريخية. على ما يبدو أدرك العدو أن الاحتلال والاحتواء لا يحققان بالضرورة السيطرة الكاملة. لذا هو يريد أن ينتقل من طور الاحتلال والاحتواء إلى طور السيطرة الفعلية عن طريق الضم والإلحاق، وهذه في تقديري ستكون آخر الطلقات في جعبة العدو الإمبريالي الصهيوني لحسم مستقبل مشروعه الاستعماري في فلسطين والوطن العربي، الذي خلخل السابع من أكتوبر ورد فعل محور المقاومة العسكري أعمدة أسسه المزيفة، مما يعني ان الأمور ذاهبة إلى معركة الحسم التاريخي للوجود الصهيوني ليس فقط في فلسطين بل في كل الوطن العربي والإقليم.

في هذا السياق نلاحظ أن نار السابع من أكتوبر ونيران محور المقاومة، آخذة في تسريع إنضاج إرادة المواجهة والتصدي للقوى الشعبية العربية ولبعض الحكومات الرسمية بسبب وصول النيران إلى أطراف «بيادرها» وخاصة ذات التهديد العالي المباشر، من إجرام وحقد وفاشية العدو. إن الظروف الموضوعية الجديدة التي كشفت ليس فقط عن نوايا العدو بل عن مخططاته الفعلية ضد كل الدول العربية بغض النظر عن موقع حكامها في خارطة الصراع، ستساهم في انخراط قوى جديدة في النضال وحرب التحرير العربية ضد هذا المشروع الاستعماري.. ومن أجل تحقيق الاستقلال الحقيقي والسيادة الفعلية. إنه صراع مفتوح ولن يغلق إلا بهزيمة العدو الإمبريالي الصهيوني. الإمكانيات موجودة وما علينا ألا تفعيلها واستغلالها وأن نكون في مستوى التحدي التاريخي وأن نستجيب للضرورة الملحة للتغيرات الجارية على الصعيد العالمي.

السردية الفلسطينية
في ظل معطيات التحول العالمي تجاه فلسطين

حمدان الضميري ـ ناشط فلسطيني في أوروبا

خلال عقود من الزمن، بقيت السردية الصهيونية مهيمنة ونادرا ما استطاع الخطاب والرواية الفلسطينية إحداث اختراقات نوعية متميزة، أحداث السنتين الماضيتين وما شاهدناه من حرب الإبادة والتجويع والعمل على خلق ظروف التهجير الجماعي لأبناء قطاع غزة، هذه المشاهد التي لم نرى مثلها خلال هذا القرن، نعم كنا أمام مشروع صهيوني يسعى للتطهير العرقي بداية بغزة لينتقل بعد ذلك للضفة الغربية، هذا التطهير العرقي هو صلب المشروع الصهيوني منذ بدايته وحتى يومنا هذا، قام المشروع الصهيوني على أكبر كذبة في التاريخ وهي أن أرض فلسطين هي فارغة ولا سكان فيها وإن وجد القليل من العرب فهم مجرد قبائل متنقلة وأصولها من منطقة الجزيرة العربية، هذه المقولة الكاذبة استطاع الشعب الفلسطيني بنضاله منذ بداية القرن العشرين تفنيدها وإسقاطها.

المشروع الصهيوني بوجود قوى سياسية صهيونية مهيمنة في الكيان من أمثال قوى الصهيونية الدينية، يعود من جديد ويحاول توفير شروط نجاحه وما حرب الإبادة إلا وسيلة ضرورية لتحقيق ذلك، فالشعب الفلسطيني الذي جرب نكبة عام 1948 وما جرى فيها من تهجير وتطهير عرقي طال ما يقرب من 800 ألف فلسطيني تحولوا للاجئين في الدول المجاورة ومنهم من انتقل لمناطق الضفة وقطاع غزة وهذا يفسر أن سبعين بالمئة من سكانه هم أحفاد المهجرين بالقوة أثناء أحداث تلك النكبة.

هذه التجربة القاسية لم يعد شعبنا الفلسطيني مستعد لتكرارها مهما كانت الظروف وهذا ما يجهله العدو الصهيوني.

أمام مشاهد الدمار والإبادة بقطاع غزة خلال سنتين وبشكل مستمر، رأينا كيف أن الملايين من الشعوب في العالم خرجت للشوارع وللساحات لتقول لا للإبادة ولا لسياسة التجويع ولا لتطبيق نهج التطهير العرقي على ملايين من أبناء الشعب الفلسطيني، هذه الوقفة الإنسانية الأخلاقية أحدثت تغييرا كاملا في مقاربة الأمور في منطقة يسودها النزاع من عشرات السنوات، انقلبت الصورة فالضحية هو الشعب الفلسطيني بينما الجلاد هو الكيان الصهيوني الذي يطلق عليه إسرائيل، هذا التغيير النوعي والتاريخي جعل من فلسطين عنوانا للموقف مع العدالة ومع الحرية، فلسطين أصبحت العنوان لتصحيح ضروري في منظومة العلاقات الدولية، فلسطين باختصار هي معركة الحرية والانعتاق من الاستبداد والهيمنة والاستعمار، الشباب في مدن أوروبا وأمريكا يرون في وقوفهم الواسع مع فلسطين جزء من معركتهم للتغيير في بلادهم نحو نظام سياسي أكثر عدلا وأكثر إنسانيةً، إنه التحول الذي لا يمكن العودة عنه، الكيان الصهيوني أصبح وباختصار شديد منبوذا من الكثيرين في العالم، حتى أن فلسطين دخلت في المعارك الانتخابية في العديد من دول أوروبا .

أمام هذا الواقع الجديد، أرى أن معركة عزل ومحاصرة هذا الكيان هي في صلب معركتنا في المرحلة القادمة، وهنا لابد من الاستفادة من نظرة شعوب العالم الجديدة تجاه الكيان الصهيوني ككيان يمارس الإبادة والقتل والتدمير كطريق لعزله ومقاطعته عالمياً.

هذه المعركة مهمة ويجب أن تكون في صلب عمل وبرامج حركة التضامن العالمية مع فلسطين، لذلك أعتقد أن خطابنا في المرحلة القادمة وفي ظل هكذا تحول غير المفاهيم والمقاربات، عليه أن يبنى على أرضية ما تم تحقيقه عالميا في السنتين الأخيرتين، وانطلاقا من هذه الرؤية، أستطيع القول إن هذا الخطاب يمكن بناءه على المرتكزات التالية:

أولاً- أن تكون محاسبة مجرمي الحرب الكبير والصغير، من رأس هرم الكيان حتى الجندي الذي شارك في الإبادة، هذه معركة الكل ويجب أن تصبح مطلبا عالميا لأن جريمة الإبادة بحق الشعب الفلسطيني هي جريمة بحق الإنسانية جمعاء، هذه مهمة أخلاقية وسياسية برسم المؤسسات حقوقية كانت أو تضامنية، هي برسم عشرات الآلاف من النشطاء المنتشرين في مختلف القارات والدول، ويجب محاسبة الكيان على جرائمه الإبادية بحق أكثر من مليونين من المدنيين في قطاع غزة .

ثانياً- مهمة عزل الكيان وعلى مختلف الأصعدة يجب أن تكون في تفكيرنا يوميا ليطرح كل واحد منا ماذا أستطيع فعله لعزل الكيان الصهيوني، اقتصادياً وسياسيا وثقافيا وأكاديميا وفنيا ورياضيا، وكذلك تصعيد معركة المقاطعة BDS له وتجريم بيع الأسلحة له أو السماح بمرورها من موانئ ومطارات الدول، عندنا نموذج عرفته الإنسانية في القرن الماضي وهو نموذج عزل نظام التمييز العنصري في جنوب أفريقيا، هذا العزل بدأ ببطأ من خلال منظمات المجتمع المدني وبعد مرور ما يقرب من عشرين عاما من العمل المتواصل وصل للحكومات وللأحزاب حتى تمت مقاطعته عالميا قبل نهاية سنوات الثمانينيات من القرن الماضي وتهاوى وسقط بلا رجعة، هذا نموذج من الممكن تطبيقه مع كيان الإبادة والتطهير العرقي الصهيوني.

ثالثا- إعطاء جواب لما يريده شعبنا عبر نضاله الوطني، المرحلة الماضية سادها الكثير الكثير من الضبابية وعدم الوضوح والتراجع السياسي المدمر، نعم علينا كشعب يعيش مرحلة تحرر وطني، معركة الحرية بمواجهة الاحتلال، معركة مواجهة نظام الأبارتايد والتطهير العرقي، مطلوب منا كشعب ومطلوب من القوى السياسية الفلسطينية مجتمعة الجواب على سؤال ماذا نريد وماذا نطلب من العالم، الجواب سياسي بامتياز وهو مرتبط بحقوقنا الوطنية، وتحديد آليات استرداد هذه الحقوق، المنظومة القانونيّة والميثاقية للأمم المتحدة تعطي شعبنا حق المقاومة لهدف استرداد حقوقه الوطنية والغير قابلة للتصرف.

هذه وحسب قراءتي وعلى ضوء ما جرى من تحولات جدا مهمة، هي العنوانين التي تشكل مكونات معركتنا القادمة في عالم أصبح ينظر لنا كشعب له حقوق وفي المقدمة منها حقه بتقرير المصير.

هل أخطأت المقاومة
في السابع من أكتوبر تشرين الأول ؟

د. محمد عياش – كاتب وباحث سياسي فلسطيني ـ سورية

قواعد الفيزياء تعمل بدقّة وبنجاح وقابلية، إذا تعلّق الأمر بحلّ المشكلات أو أي شيء يحتاجه الجنس البشري. فمثلاً هناك المثال الأكثر شيوعاً واستعمالاً واستخداماً باعتباره القانون الثالث من قوانين نيوتن للحركة في الميكانيكا التقليدية، على أن القوى تنشأ دائماً بشكل مزدوج. حيث يكون لكلّ فعل ردُّ فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه. وتعيين إحدى القوتين كفعل والأخرى كرد فعل هو تعيين تبادلي حيث يمكن اعتبار أي من القوتين فعلاً في حال اعتبار الأخرى ردَّ فعل، والعكس صحيح.

إلا.. في فلسطين تتعطل كل القوانين الفيزيائية وحتى الكيميائية وبقية العلوم والمحاكم التي لها سمعة كونية كمحكمة العدل الدولية /لاهاي/ التي أطلت برأسها خجلاً ودفعاً من دولة عانت الأمرّين من الاحتلال والتمييز العنصري الأبارتهايد البغيض، جنوب أفريقيا.

ثلاثة فصائل رئيسية تصدت للهجوم البربري الصهيوني، كتائب عز الدين القسام التابعة لحركة حماس، وسرايا القدس للجهاد الإسلامي، وكتائب أبو علي مصطفى للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، هذه الفصائل بشقيها السياسي والعسكري تبنت المواجهة وصمدت ولم ترفع الراية البيضاء كما كان يتمنى ما يسمى رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو، وبالتالي فإن فشل مخططاته وأهدافه ستظهر لاحقا من تصدعات الجبهة الداخلية، وتحريك القضاء بسبب الفساد، وفقدان الثقة بالحكومة ، وتنشيط الهجرة المعاكسة وهذا ما أكدته واقعة هروب حفيدة رئيس الوزراء النافق إسحاق رابين مع أولادها بعد مغادرتها فلسطين المحتلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، عندما قالت ليس لدي منزل آخر وأنا لست أسفة .

جدل كبير يدور بين الفلسطينيين أدى إلى انقسامات واختلافات بوجهات النظر، حول واقعية الهجوم على غلاف غزة، وحول الهزيمة والنصر، إذ يرى البعض بأن ما جرى لقطاع غزة بعد مرور سنتين على الحرب وحتى هذه اللحظة، مغامرة غير محسوبة نتيجة لهول الفاجعة.. 250 ألفاً بين شهيد وجريح، وتدمير أو تخريب أكثر من 90% من بيوت القطاع وبناياته ومؤسساته، ورفض الكيان الصهيوني الانسحاب الكامل، والتمسك بالمعابر والتدقيق بالمساعدات الإنسانية، ورفضه لحكم حماس والسلطة الفلسطينية، ودعمه للعصابات الناشئة في القطاع كبديل مريح (جماعة ياسر أبو شباب)!

بينما يرى العارفون ببواطن الاستراتيجيات وعلوم الجيو- سياسية، أن الهجوم البطولي هو بمثابة البداية للعد التنازلي لهذا الكيان، لأن المعركة ليست عسكرية حسب المقاييس بالعدة والعتاد وعدد المقاتلين، وإجبار الكيان الصهيوني لخوض معركة دامت سنتين هو خارج الصندوق الصهيوني، حيث قال ذات يوم ما يسمى أول رئيس وزراء صهيوني بن غوريون، أن الحرب الطويلة ليست خيارنا، وموشي ديان كان يكتفي بالتخويف من الحرب لا أن يكسبها فقط.. المعنى أن الكيان الصهيوني لأول مرة يخرج عن ثوابته وتابوهاته والوظيفة التي أنيطت له طوال 77 سنة، وبالتالي فإن الحرب وديمومتها تعجل من فنائه لأسباب كثيرة وأهمها الجبهة الداخلية التي تتآكل، وحساسية القومية الصهيونية.

حسب مقاييس البشر، صحيح هناك ضحايا أبرياء وشهداء ودمار واسع واستخدام العدو الصهيوني أكثر من 150 ألف طن من المتفجرات المحرمة والغير محرمة، وتفاخر الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بإمداد الكيان أحدث الأسلحة والتي استخدمها حسب زعمه أحسن استخدام.. إلا أن هذه المعركة كشفت للعالم الحر زيف وادعاء الكيان بمظلوميته وفضحه وتعريته لما يسمى

المعاداة للسامية التي من خلالها يبيح لنفسه ما لا يصدقه عقل ومنطق، وأصبح يواجه خطر العزلة والنبذ، بل وأصبح بعض قادته مطلوبين للمحاكم الدولية، وتشبه حالته لحظة الاختناق الأخلاقي الذي صاحبت نظام الفصل العنصري الأبارتهايد في جنوب افريقيا.

إذ يكيلون الاتهامات للمقاومة الفلسطينية ويحمّلونها مسؤولية تدهور الأوضاع في قطاع غزة بعد الهجوم على غلاف غزة، ومنهم من يتغنى ويتشدق بالامتيازات الممنوحة من الكيان الصهيوني للقطاع مثل: المطار والميناء وقصر الضيافة وقبول الآلاف من العمال الفلسطينيين داخل فلسطين المحتلة وبالتالي؛ لا تبُذل أي جهود للحديث عن الحصار الظالم! بينما يتساءل الأمين العام للأمم المتحدة انطونيو غوتيرس عن الأسباب والدوافع لهجوم السابع من أكتوبر!

«إسرائيل» لم تعطِ موعداً لإنهاء حصارها للقطاع الذي يتواجد فيه أكثر من مليوني فلسطيني على مساحة 366 كيلومتر مربع أي 140 ميلاً والعالم المتبلّد اعتاد الوضع في ظل الغياب المطلق من المبادرات والنيات لإنهاء الحصار الظالم، ومن الطبيعي والحق كل الحق مع الذين يعيشون هذه الأوضاع الصعبة بالتفكير والتطوير، وامتلاك زمام المبادرة أن يجترحوا الأفكار والطروحات التي قد تضعهم في أول الطريق لتحرير البلاد والعباد من هذا العدو المتغطرس المتعطش للدماء والتدمير .

الكيان الصهيوني لم يسمح باستعمال المطار أو الميناء الذي ترقبه البوارج الصهيونية، ناهيك عن الحركة والمرور والخروج من المعابر الإذلالية، لكن كما يقولون في الأمثال الشعبية (حديث القرايا لا يتساوى مع حديث السرايا) إسرائيل تريد قتل الروح المعنوية لدى الشعب الفلسطيني، وتنسف من ذهنيته مجرد التفكير بالدولة الفلسطينية.

تعاطف العالم بإجماع مع القضية الفلسطينية، لكن هذا لا يكفي مع أهميته، والعالم يتعاطف مع الضحية لبعض الوقت لكن يحترم القوي طوال الوقت، هذه الحقيقة. فكيل الاتهامات يمنة ويسرى يضر بمسار القضية الفلسطينية، لذلك يجب أن ترقى عملية التفكير بماهية الصراع والوقوف على عين الحقيقة قبل تحميل المسؤولية والتخوين .. الخ .

ثمة رائحة للهزيمة الصهيو- أمريكية في القطاع، والخلافات بينهما تتصاعد كل يوم، وذلك يعود للصمود الأسطوري للمقاومة الفلسطينية. والمعادلة في هذا الشأن واضحة فـ «إسرائيل» تعتمد كلياً على الولايات المتحدة، بينما الثانية تخشى من التمادي الصهيوني في الإيغال بالدم الفلسطيني الذي يعكس حالة من الغضب والحنق ضدها، وبالتالي كأنّ واشنطن سئمت من المُهل الممنوحة للكيان الصهيوني .

لا يمكن لأي شعب في هذا الكون أن يرتضي الاحتلال ويتعايش معه، حتى لو صرف لهم رواتب دون عمل، لأن الاحتلال امتحان يومي للضمير العالمي كما قال الشهيد غسان كنفاني، وبالتالي فإن محاربته ومقاومته بكل السبل كفلته كل الشرائع السماوية والقوانين الدولية .

لم ولن تخطئ المقاومة الفلسطينية في السابع من أكتوبر، وهذا عملٌ سيسجل لها في صفحات التاريخ من ذهب وعلى الذين يخافون أن تصيبهم دائرة السوء من العدو الصهيوني أن يراجعوا أنفسهم وعقيدتهم، وإذا استعسرت المراجعة على الأقل فلينظروا للمجازر الوحشية البربرية التي ارتكبها الكيان الصهيوني بحق الأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين وكل من يتحرك على الأرض، وهدم المربعات السكنية على رؤوس ساكنيها، واستباحة المستشفيات ودور العبادة؛ لم تترك «إسرائيل» أي محرّم إلا وانتهكته وداست على جميع القوانين الدولية.

من حق الشعب الفلسطيني أن يعيش بكرامة وعزّة، ومع هذا الاحتلال الصهيوني البغيض لا يكفي طوفان واحد، بل عدة طوفانات حتى يزولَ، والمقاومة غير معنية بردّة الفعل الصهيونية أو العالمية، لأن هؤلاء من تسببوا بهذه المصيبة، والقاعدة الأساسية التي انطلقوا منها قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة). وليس؛ أعدوا لهم مثل ما أعدوا لكم. لأن الأمر متروك للعقيدة والشرفاء الذين يحملون الفكر العقائدي وليس من يتنافسون على المناصب والفنادق.. وللحريّة الحمراء بابٌ بكلّ يد مُضرّجة يُدقُّ.

لذلك نقول إن النصر والهزيمة، طقس؛ وأن الإيمان بالنصر المطلق هو المناخ وبالتالي فإن المعركة لم تنته بحسابات الاستراتيجية العسكرية، فالكيان الصهيوني غدار وحاقد ولم ينس أبدا ما جرى له في السابع من أكتوبر تشرين الأول 2023 فالظروف القادمة بإذن الله لصالح القضية الفلسطينية التي تكسب مع كل مشرق شمس، بينما الكيان الصهيوني يخسر ويتعرض للعزلة والنبذ، ونتنياهو سيحاول خرق الهدنة والاتفاق للهروب من المساءلة والمحاسبة وربما السجن الذي يؤرق مضجعه هو وزمرته الفاشية، وخطأ الكيان أن يعتبر هجوم السابع من أكتوبر هو بداية الصراع متناسيا العذابات والآلام للشعب الفلسطيني على مدار الأعوام السابقة منذ 1948 .

يقول البرفسور البريطاني الشهير بول كيندي، صاحب كتاب صعود وأفول القوى العظمى، يحدد فيه مجموعة من الأسباب لأفول الامبراطوريات، الأول تمدد عسكري أكبر من قدراتها، والثاني انفجار الصراعات الداخلية، والثالث ظهور قوى عظمى. فالكيان الصهيوني يعتبر نفسه بالدولة الساحقة الماحقة وبالتالي التي تتمدد على حساب الآخرين، وانفجار الخلافات والصراعات قائمة فكل الأحزاب تقريبا في حيص وبيص، والقوى العظمى المحيطة هي التي تواجه الدولة الأم التي ترعاها وتسلحها حتى الأسنان الولايات المتحدة الأمريكية وصراعها الوجودي مع الصين التي تتقدم بسرعة الصاروخ الأسرع من الصوت وروسيا، وبعض الدول في أمريكا اللاتينية، وأطماع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالاستيلاء على دول وجزر وممرات .

معركة طوفان الأقصى: استراتيجية المقاومة ورؤية السنوار

حمزة البشتاوي - كاتب وإعلامي فلسطيني - لبنان

أعادت معركة طوفان الأقصى وفق المفهوم الإستراتيجي لعمل المقاومة، بحث مسألة وجود الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وكذلك إعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية بالكفاح المسلح والصمود الأسطوري، منذ أن دوى الطوفان كاسراً لقواعد الاشتباك وإعادة صياغة معادلات الصراع ومكانة فلسطين على خارطة العالم.

لقد هز الطوفان على المستوى الإستراتيجي أركان وجود الاحتلال وقدم درساً على مدار عامين في نهج القوة والأهداف استناداً إلى إرادة الشعب والمقاومة المصممة على الخلاص من الاحتلال رغم كل المجازر الوحشية والدمار التي لم تخفي حقيقة أن الطوفان هز كيان الاحتلال وكشف هشاشة وجوده.

وكان الشهيد القائد يحيى السنوار قد أعلن قبل أشهر من انطلاق معركة طوفان الأقصى بأن المقاومة الفلسطينية ستجعل (إسرائيل) في عزلة خانقة وستدفع المجتمع الدولي إلى التعامل مع فلسطين كحقيقة لا كقضية إنسانية طارئة، وهذا الكلام ارتبط بالإستراتيجية والرؤية وبأن المعركة القادمة لن تكون جولة تقليدية بل اشتباكاً كاسراً لقواعد اللعبة وكافة المعادلات.

تستند رؤية الشهيد السنوار للعمل المقاوم بأن القضية هي فكر وعمل وأن النصر لا يقاس بحجم الخسائر بل بقدرة الشعب والمقاومة على إعادة تشكيل البيئة الدولية لصالح القضية الفلسطينية وهذا ما أحدثته معركة طوفان الأقصى والصمود الأسطوري الذي حرك طوفاناً إنسانياً عالمياً على مستوى الجامعات والمظاهرات في مختلف أنحاء العالم بالإضافة لحدوث انهيار في جدار الإجماع الغربي حول كيان الاحتلال وصولاً إلى اعتراف ثلاث دول أوروبية كبرى بعد رضوخ مزمن لفيتو إسرائيلي استمر لعقود، وبعد أن أصبحت صور حرب الإبادة والمجازر في قطاع غزة تتصدر وسائل الإعلام العالمية وتشكل في فظاعتها رأس حربة في عملية تفكيك سردية الاحتلال.

وبلغت ذروة الطوفان على المستوى العالمي حين ألقى مجرم الحرب بنيامين نتنياهو خطاباً أمام قاعة فارغة في الأمم المتحدة بعد انسحاب عدد كبير من الوفود، وهذا أشار بشكل واضح أن معركة طوفان الأقصى أعادت القضية الفلسطينية إلى موقعها كقضية تحرر وطني لشعب تحت الاحتلال يدافع عن أرضة وحقه بالحياة.

وأثبتت إستراتيجية المقاومة ورؤية السنوار بأن الميدان ليس مجرد ساحة قتال، بل هو محرك أساسي لإعادة هندسة المشهد على المستوى العربي والإقليمي والدولي لصالح القضية الفلسطينية بعد أن نجحت المقاومة الفلسطينية في إرباك المنظومة العسكرية الإسرائيلية وكسر خطوطها الحمراء وإحداث خلخلة كبرى في منطق الردع الصهيوني الذي طالما قدم نفسه كقوة لا تقهر، دون أن يتمكن خلال حرب الإبادة من القضاء على المقاومة المنبثقة من المجتمع الفلسطيني وهما جسم واحد في المعركة التي ثبت فيها فشل كيان الاحتلال على المستوى الأمني والاستخباري والعسكري وسقوط جميع التحصينات والجدران الإسمنتية والتكنولوجيا أمام شعب ومقاومة تعيش تحت حصار، وفارق كبير في العدة والعتاد.

وفي ظل قسوة الحصار على غزة وقبل عام تقريباً من معركة طوفان الأقصى في السابع من تشرين الأول عام 2023 قال الشهيد السنوار صاحب التجربة الكبيرة في الأسر والسياسة والميدان: سوف نأتي إليكم إن شاء الله في طوفان هادر، سوف نأتي إليكم بصواريخ لا نهاية لها وهذا ما حصل يوم السابع من تشرين الأول حيث استخدمت المقاومة عنصر المفاجأة والاقتحام والمواجهة المباشرة وأسر المئات من المستوطنين والجنود وتكبيد الاحتلال خسائر مادية وبشرية في معركة غير مسبوقة في التاريخ الحديث.

ومنعت معركة طوفان الأقصى المزيد من السقوط العربي في فخ التطبيع، وأكدت على شرعية المقاومة واستمرار مسيرة التحرر الوطني رغم كل التضحيات وذلك باستراتيجية عابرة لحسابات كيان الاحتلال الذي اعتقد بأن المقاومة تراجعت ويمكن أن تصمت تجاه عذابات الأسرى والاعتداءات على القدس والمسجد الأقصى وإدامة الحصار على قطاع غزة ورفع وتيرة الاستيطان بالضفة الغربية، ولكنه وبشكل مفاجئ تلقى ضربة في الصميم، وسقطت في هذه الضربة فرضية تطويع الإنسان الفلسطيني والاستفراد به وهذا فشل كبير، حيث استطاع الشعب الفلسطيني رغم أهوال وكوارث حرب الإبادة أن يبرز قدرته على اجتراح أدوات صموده وعصيانه على الانكسار.

وفي إستراتيجية العمل المقاوم تميزت رؤية السنوار بالحرص على الوحدة

الوطنية وبناء علاقات مميزة مع كافة الفصائل الفلسطينية دون استثناء بما يخدم مشروع المقاومة وعملها في الميدان، وفي هذا السياق بذل مع حركة فتح جهوداً حثيثة لإنهاء الانقسام واستعادة الوحدة الوطنية إيماناً منه بالعمل المشترك على المستوى الوطني العام، وكان دائماً يشيد بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكوادرها وعناصرها ويتمنى أن تستفيد حماس وغيرها من الفصائل من خبراتها، وكان يوصي دائماً بأفضل العلاقات مع حركة الجهاد الإسلامي حيث قال استناداً إلى رؤيته الوحدوية: أوصيكم حياً وميتاً ممنوع منعاً باتاً الوصول إلى أي صدام مع إخواننا في حركة الجهاد، وتجسدت رؤيته هذه بتشكيل غرفة العمليات المشتركة خلال معركة سيف القدس عام 2021، وترسخت الرؤية أيضاً في الميدان خلال معركة طوفان الأقصى التي اعتبرت أخطر وأكبر هجوم فلسطيني عسكري ضد الاحتلال.

وبما أن المقاومة عند السنوار هي خيار وجود وليس تكتيكاً حضرت شخصيته في هذا الهجوم كمهندس للانهيار الهيكلي للكيان الصهيوني في معركة استراتيجية فشل فيها جيش الاحتلال عسكرياً وسياسياً ووقع الكيان برمته في عزلة دولية وهزيمة اقتصادية وانقسام داخلي ستكون له تبعات سياسية وأمنية في المدى القريب.

واليوم وبعد مرور أكثر من عامين من الصمود الأسطوري تفرض معركة طوفان الأقصى نفسها كحدث إستراتيجي تأسيسي يعيد صياغة معادلات الصراع الطويل والمستمر، وفيه ستبقى هذه المعركة في ذاكرة الأجيال فعلاً مقاوماً مبدعاً وعلامة فارقة وحدثاً تاريخياً من خارج التوقع والنمطية في الصراع مع الاحتلال.

وستبقى في ذاكرة الأجيال مسيرة الشهيد القائد يحيى السنوار المليئة بالفعل المقاوم والثبات حتى آخر نفس، وكيف جسد في لحظة استشهاده وهو ملثم بالكوفية الفلسطينية حاملاً بندقيته وعصاه الخشبية فلسفة المقاومة حتى الرمق الأخير، وأن المقاومة ليست خياراً سياسياً يمكن التفاوض عليه بل هي قدر شعب يناضل من أجل الحرية والاستقلال.

غزة تسد الطريق على مخطط الإبادة والتهجير

محمد صوّان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

يتمثل أحد أهم تجليات البلطجة الترامبية بالتعامل مع الدول في الاستفراد بالرؤساء, ووضعهم تحت الضغط المتواصل وتطويقهم بالتهديدات المباشرة.. وبالتالي انتزاع تنازلات منهم.. توضح ذلك في أمثلة كثيرة خلال الأشهر الماضية عبر تعامله مع القضايا الدولية – آخرها كان في شرم الشيخ عندما حضر متأخراً أربع ساعات عن موعد عقد المؤتمر – ففي حرب الإبادة الصهيوأمريكية على قطاع غزة, اضطرت الإدارة الأمريكية للتعامل مع مجموعة من الدول على نحو جمعي, لكن سرعان ما تحاول الالتفاف على الموقف الموحّد, وتلجأ للتواصل مع الدول المعنية فردياً ومن وراء ظهر بعضها بعضاً لتفكيك المواقف وشرذمة التوافقات, هذا غالباً ما حدث – وما زال – عقب الخديعة الأخيرة «خطة ترامب» التي أعلنها بهدف إطلاق الرهائن الصهاينة, ومن ثم إيقاف المقتلة في غزة, تبعاً للخطة المنقحة فيصبح على المقاومة أن تطلق الرهائن خلال «72 ساعة» ثم تنتظر رحمة الثنائي ترامب ونتنياهو لإيقاف الإبادة والمَظْلمة.. فهل ثمة عاقل على وجه الأرض يمكن أن يثق بهذه «الخطة المنقحة»؟

عبر صياغة هذه الخطة وتسويقها, تلاعب ترامب بالجميع, موظفاً مهاراته المهنية السابقة كتاجر عقارات فهلوي يدوس على القيم والبشر, ويغدر بالقريب والبعيد لتحقيق هدفه بتعظيم الأرباح إلى أعلى درجة, فأصبح معروفاً أن «خطة ترامب» انقسمت إلى خطتين مختلفتين, واحدة متوافق عليها مع مجموعة الدول العربية والإسلامية, والثانية منقحة ومتفق عليها مع صديقه نتنياهو «بيبي» وهي مضموناً خطة هذا الأخير !..

لقد صدرت عن بعض الدول التي تعرضت للخديعة تصريحات خجولة تقول إن فارقاً جوهرياً قد حصل بين «الخطتين» لكن يبدو أن ثمة قناعة ما تراهن على زخم صمود غزة الأسطوري والتضامن الأممي المتعاظم سيقود إلى إنهاء حرب الإبادة والتطهير العرقي في غزة وكل فلسطين.. بالرغم من عنجهية وفاشية نتنياهو وحكومته التي تصر على تدمير قطاع غزة واقتلاع المقاومة وسلاحها والمضي في مخطط التهجير !..

ينجح نتنياهو بإغراق ترامب في التفاصيل والجزئيات وسط التركيز على مدح عظمته والتملق لذاته المغرورة, وإعلاء دوره وإنجازاته أمام الإعلام .. لنا أن نتوقع أن نتنياهو وفريقه يتواصلون يومياً مع ترامب وفريقه .

إزاء وضع كهذا.. ما الذي يمكن أن تقوم به المقاومة الفلسطينية في مواجهة هذا الثور الهائج, الذي يحطم ويكسر كلما ركض بأي اتجاه ؟! إعلان المقاومة المبدئي بقبول «خطة ترامب» والمباشرة بتنفيذ بنود المرحلة الأولى, كان خطوة ذكية امتصّت قدراً من الهيجان والحماقة الترامبية.. وبدا من ردة الفعل الأولى وكأن ترامب أقنع نفسه بأنه أوقف المقتلة.. لكن الفقاعة المفاجئة سرعان ما خمدت, وعدنا إلى السيرة المعروفة, حيث يتلاعب نتنياهو بترامب, فتبعاً للأجندة السياسية للأول تحول طلب ترامب لنتنياهو بـ «إيقاف الحرب» فوراً إلى «إشادة بالرغبة في الوقف المؤقت للعمليات العسكرية», وهنا ليس أمام المقاومة إلا الاحتماء بالنسخة الأصلية من خطة «ترامب» وتفويض الأطراف العربية والإسلامية الضامنة لإنجاز ما اتفق عليه في مؤتمر شرم الشيخ .. ليس هذا لأنه يحقق الحد الأدنى مما هو مطلوب فلسطينياً, بل أيضاً لأن الخطة بصيغتها الإسرائيلية تهدد العرب والمسلمين أنفسهم , إذ تعيد فلسطين إلى عهود الوصاية الاستعمارية المباشرة !..

• المرحلة الثانية والثالثة الأكثر تعقيداً :

تشمل المرحلة الثانية والثالثة من المفاوضات – إن كتب لهما أن تبدآ – ملفات حساسة تتعلق بمستقبل قطاع غزة, أهمها :

- أولاً: مفاوضات «اليوم التالي» في القطاع حول المؤسستين الأمنية والسياسية, وتتمحور هذه المهمة فيما إذا كانت «لجنة التكنوقراط الفلسطينية» التي ستوكل إليها وظيفة إدارة القطاع ستكون ذات صلاحيات حكومية, أم بلدية فحسب وتحت وصاية «مجلس السلام» الذي سيرأسه ترامب شخصياً مع رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير.. في هذا السياق تبرز قضايا أخرى شائكة, مثل هوية الطرف الذي سيتولى إعمار قطاع غزة , وما طبيعة مهمة القوات التي سيجري نشرها في القطاع, وهل ستكون عربية وإسلامية, أم قوات دولية, أم بالدمج بين كليهما؟ وهل ستكون هذه القوات في حدود القطاع, أم داخله؟! علماً أن قوات الاحتلال الصهيوني لا تزال تحتفظ بـ « 53% من مساحة قطاع غزة !..

- ثانياً : مسألة سلاح المقاومة, هل سينزع ؟! وهو الأمر الذي ترفضه المقاومة وتقول إنه لن يسلّم إلا إلى حكومة فلسطينية وطنية وشرعية وتوافقية, لكن حكومة الاحتلال تصر على نزعه بينما الوسطاء الأتراك والمصريون والقطريون يقترحون «تجميده «.

- ثالثاً: مسافة ومدى انسحاب قوات الاحتلال من قطاع غزة ؟! وهل سيحافظ هذا الاحتلال على وجوده العسكري في « محيط أمني « فيه, وما هو الأفق الزمني لذلك؟!

- رابعاً: طبيعة الضمانات المقدمة للجانب الفلسطيني ومصداقيتها وموثوقيتها لناحية أن حكومة الاحتلال لن تتنكر للاتفاق – كما فعلت من قبل – وبالتالي تعود إلى حربها الهمجية على غزة بعد أن تكون قد استعادت كامل الرهائن الأحياء والأموات !.

- خامساً: إعادة إعمار قطاع غزة..

والسؤال المركزي هنا: من سيموّل ويشرف وينفذ؟! في ظل التكلفة الضخمة المقدرة بنحو « 80 « مليار دولار.. وهذه فرصة نادرة للشركات العربية والعالمية! ووفقاً لتصريح ترامب في هذا الصدد قال: «إن دولاً في المنطقة تمتلك ثروات طائلة عليها المساعدة في إعادة إعمار قطاع غزة «!.

إذاً هو اتفاق مليء بالألغام, وله ثلاث مرجعيات مختلفة, فالمقاومة الفلسطينية التي تحظى بمقدار متفاوت من الدعم عبر الوسطاء الثلاثة «الأتراك والمصريين والقطريين» لديها تفسيرها لبنود الاتفاق الدولي, والشكل النهائي الذي ينبغي أن يرسو عليه, في حين أن لدى حكومة الاحتلال تصوّراً مناقضاً تماماً للصيغة النهائية للاتفاق واشتراطاته, بالرغم من أن الإدارة الأمريكية هي أقرب إلى المقاربة الصهيونية, إلا أنها لا تتردد في إيجاد مسافة نسبية معها وإظهار بعض المرونة أحياناً لمحاولة حسم «وقف إطلاق النار», لأسباب شخصية متصلة بالرئيس ترامب ونرجسيته وإرثه الرئاسي, كذلك لأسباب سياسية داخلية وخارجية, تتصل بتزايد الانقسام الأمريكي حول الموقف من حكومة الاحتلال بما في ذلك القاعدة الانتخابية لترامب «حركة»maga ناهيك عن تصاعد الغضب العالمي واشمئزازه من جرائم «إسرائيل» و صلفها, والتعامل معها «دولة منبوذة» مما يزيد العبء على الإدارة الأمريكية ودعمها في المحافل الدولية !..

الاعتبارات آنفة الذكر حاضرة, وتجعل من «وقف إطلاق النار المؤقت» في المرحلة الأولى هشّاً وقابلاً للانهيار مجدداً, ولكن, أي هدوء ووقف لآلة الدمار والقتل والهمجية الصهيونية, ودخول المساعدات الإنسانية, أمر يستحقه أهل غزة, الذين دخلوا في العام الثالث من حرب إبادة وتطهير عرقي قلّ أن شهد التاريخ البشري مثل وحشيتها و فاشيتها, ولعل من المفارقات الصاخبة في هذا السياق أن الرئيس ترامب, الشريك في جريمة إبادة قطاع غزة, هو الضامن الأول لهذا الاتفاق – وفق مؤتمر شرم الشيخ الأخير – وللأسف هو من يملك مفاتيح وصول العدوان إلى نهايته !.

ترامب هذا ليس مثل سلفه جو بايدن.. فهو نرجسي وكذاب ومحتال ومجرم, لكنه ليس ضعيفاً وتافهاً أمام نتنياهو مثل بايدن, في حال حزم أمره في أمر يعمل على تنفيذه, ويمكن لنتنياهو المراوغة معه, كما فعل في تموز الماضي, عندما نجح في تحميل «حركة حماس» مسؤولية رفض مبادرته حينها, رغم أنه هو الذي رفضها !.

خلاصة القول: إعلامياً ودبلوماسياً وسياسياً.. من المفيد جداً التركيز في هذه المرحلة العصبية على الفكرة التي أشارت إليها البيانات الرسمية العربية والإسلامية حول «التغيير المخادع» في بنود الخطة المتفق عليها, ومطلوب رسمياً من هذه الدول أن تضغط يومياً على الرئيس ترامب وإدارته, كما يفعل نتنياهو وحكومته, في محاولة لموازنة الضغط والتأثير, حيث لا تقل أهمية هنا ضرورة أن يبقى الموقف العربي والإسلامي موحّداً, وأن لا يفكك كما هي العادة الترامبية, وفي هذا السياق تكمن أهمية البيان المشترك رغم تواضعه, الذي صدر باسم ثماني دول عربية وإسلامية: « تركيا, اندونيسيا, باكستان, مصر, السعودية, قطر, الإمارات, الأردن» في 2025/10/5, ورحب بموافقة المقاومة الفلسطينية على «الخطة» وأعاد التأكيد على النقاط الرئيسية في الخطة الأصلية, وفي حال استمرار المحافظة على هذا الموقف الذي يمثل الحد الأدنى من التماسك, إذ ظلت المقاومة تحتمي به, فإن الطريق سيبقى مغلقاً أمام مخططات نتنياهو الإبادية والتهجيرية, وبالتالي يؤدي إلى وقف المقتلة !..

ليس هذا تقليلاً من شأن المخاطر التي تواجه فلسطين والمنطقة من ترامب وسياسته, لا سيما أن الوضع هنا استثنائي, وفي خلفيته لوبيات صهيونية ويمين أنغليكاني صهيوني وكونغرس يبحث في شؤون «إسرائيل» أكثر مما يبحث في شؤون أمريكا, لكن القضية المهمة التي تبقى قائمة أن ترامب يمكن صدّه وتقليم جموحه, عبر مواقف جماعية موحّدة ومتماسكة !..

من بين جدران الغرف الباردة ومن عتمة الزنازين المنفردة، من شقوق السياط فوق الأجساد الثابتة، من توهج الفكرة رغم صرخات الألم ولد التحدي رغم أنف الاحتلال الذي حاصرها لكنها بقيت تحفر عميقاً في الأعماق حتى غادرت الجدران الأربعة.

حاول الاحتلال تدمير روح الأسرى لكنها تحولت إلى مدرسة ثورية تخرج القادة والمناضلين والكتاب والأدباء.

لم تخذل الحركة الوطنية الفلسطينية يوماً الحركة الأسيرة، فكانت حاضرة دائماً على جدول أعمالها، فقامت عبر مسيرتها من إجراء عدة صفقات مع العدو لتحريرهم.

في هذا الحوارات نحاول أن نستكشف المخفي والمعلن من معاناة وتضحيات وصمود الأسرى البواسل الذين عانقوا الحرية في صفقة طوفان الأقصى.

غزّة انتصرت
انتصار الحياة على الموت

د. انتصار الدّنّان ـ كاتبة صحفية وإعلامية فلسطينية ـ لبنان

حين تصمد الأرض في وجه آلة الحرب الهمجيّة، وتقول لن أموت تنتصر الحياة على الجلاد الذي أراد لها الموت، وحين يرفع أهل غزّة علمهم فوق خيمة مهترئة أكلتها الشّمس والعواصف والدم، ينتصرون على جغرافيا النسيان، ليقولوا إنّنا هنا صامدون لن نبرح أماكننا، سنبني الحجر فوق ركام جرحنا الدامي، وستزهر ألف زهرة أقحوان في كل بيت هدمته آلة الحرب، وسينبت حجرٌ جديدٌ في طريق العودة، وستخط أرواح أطفالنا على جدران منازلنا ضحكاتهم التي لن تبرح المكان حتى لو انفصلت أجسادهم عن المكان.

غزّة انتصرت، نعم انتصرت، رغم التضحيات الجسام، التي قدمها أهلها من أجل ذلك النصر الذي احتفل به العالم أجمع، غزّة انتصرت فارتفعتِ القلوب قبل الرايات تهتف لذلك النصر، وزغردت الأرواح قبل الحناجر أغاني الفخر والعز.

غزّة انتصرت فهزمت مخطّطات العدو بالتهجير والقضاء على روح الأمل في الحياة.

غزّة انتصرت ففنّى البحر طربًا معانقًا السماء، فأرسل نغماتٍ تبشّر بغدٍ أجمل.

من منا لم يكن منتظرًا أن تتوقف آلة القتل والدمار في غزة، ونحن الذين لم تكن تلك الضربات فوق رؤوسنا، لكنها كانت تأكل من لحمنا ألمًا لعجزنا أمام ذلك الوجع غير المحتمل، فأهل غزة عاشوا صنوفًا متعددة من الموت، مرة بالسلاح وأخرى بالتجويع، أهل غزة الذين كانوا ينتظرون لحظة توقف الحرب، ليرمموا أرواحهم التي شاخت قبل أوانها، ويضمدوا بملح بحرهم جراحهم، ويزحفوا نحو ما تبقى لهم من ذكرى في كل ركن لهم في هذه الحياة. كل الفلسطينيين كانوا ينتظرون تلك اللحظة، لحظة الإعلان عن توصل لاتفاق لوقف لإطلاق النار في غزة، ومع مرارة الاتفاق كان لا بد لهم وأن يحتفلوا بذلك النصر العظيم، الذي ثبت أقدام أهل غزة بأرضهم، فصدحت مآذن المخيمات الفلسطينية في لبنان بالتكبيرات تهليلًا بالنصر، وغردت المفرقعات في سمائها وأنارت الفضاء بعبارات العز، وخرج مئات اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات إلى الشوارع بمسيرات ضخمة ينشدون ويحتفلون بالتوصل إلى اتفاق ينهي الإبادة التي يشنها العدو الصهيوني منذ عامين، ويوزعون الحلوى على الشوارع وفي المدارس وأقاموا الأعراس احتفالًا بوقف الآلة الهمجية التي أكلت الحياة في غزة، ورفعوا الأعلام الفلسطينية ورايات الفصائل، ورددوا الهتافات الداعمة للمقاومة، وحيوا الصمود الأسطوري، الذي ما كان ليحصل لولا صمود أهل غزة والمقاومة أمام تلك الآلة الهمجية التي أرادت لغزة أن يأكلها البحر، مؤكدين أنهم يحتفلون بانتهاء حرب دموية أقامها العدو ضد أهالي غزة، ومؤكدين أن العدو فشل في تركيع غزة بالحصار والتجويع.

وكان الرئيس الأميركي دونالد ترامب قد أعلن يوم الخميس في التاسع من أكتوبر، التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في غزة بين الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة، وذلك بعد يومين من المفاوضات في مدينة شرم الشيخ، برعاية مصرية وقطرية وأميركية وتركية. وكتب ترامب على حسابه في منصة «تروث سوشال»: «يسعدني أن أعلن أن إسرائيل وحماس وقّعتا على المرحلة الأولى من خطتنا للسلام»، مضيفاً أن الاتفاق «يعني إطلاق سراح جميع الرهائن قريباً جداً، وسحب إسرائيل قواتها إلى خط متفق عليه في خطوات أولى نحو سلام قوي ودائم».

هذه الحرب التي ارتكبها العدو منذ الثامن من أكتوبر/ تشرين الأول 2023، بدعم أميركي، خلّفت أكثر من سبعين ألف شهيد، و170 ألف جريح، معظمهم من الأطفال والنساء، وتحويل مدينة غزة إلى مكان تنعدم فيه الحياة.

انتهت الحرب، لكن صدى الصمود في غزة سيبقى شاهدًا على أن الإرادة لا تقهر، وستنهض كما عهدناها، حية، نابضة، عصية على الانكسار.

باسم خندقجي:
حولنا السجن إلى مدرسة أكاديمية ثورية.. المطلوب تطوير مفهوم أدب الاشتباك

حوار:
لمى الشطلي – كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

بعد أكثر من عشرين عاماً قضاها خلف القضبان، خرج باسم خندقجي إلى النور حرّاً، ضمن صفقة «طوفان الأحرار»، وفاءً من المقاومة لعهدها في انتزاع الحرية من براثن السجن والسجان.

خرج الأسير والأديب الفلسطيني الذي جعل من الكتابة درعاً في وجه العزلة، ومن اللغة وطناً يتحدى مساحة الزنزانات وغطرسة السجان.

بعقيدة المثقف المشتبك قاوم السجن وحوّله إلى مختبر ثقافي: مكتبة حية تدعم إبداعات الأسرى وفضاءً لكتابة المقالات والروايات والدواوين. وفي خطوة أكدت مكانته كأحد الأصوات الأدبية الفلسطينية البارزة، حصد جائزة البوكر العربية عن روايته «قناع بلون السماء».

في هذا الحوار مع بوابة الهدف، يتحدث خندقجي عن تجربته المركّبة بين الأسر والكتابة، عن مقاومة السجان ومقاومة العدم، وعن معنى الحرية والانتماء، وعن الهوية التي جسّدتها غزة من جديد، ودور الأدب والثقافة في صياغة تجربة الفلسطيني داخل السجن وخارجه.

■ حين تعود بذاكرتك إلى لحظة الاعتقال الأولى عام 2004، كيف تروي تلك التجربة اليوم؟ وما الذي شكّل الوعي الأول لديك داخل السجن؟

لحظات الاعتقال كانت قاسية وبمثابة عملية مصادرة لعمر شاب في عنفوان شبابه، لكن ذلك لم يثنِني عن بلورة وعي جديد داخل المعتقل، وهذا الوعي الجديد هو وعي المقاومة والصمود ووعي الاشتباك أيضاً مع السجان المستعمر، بحيث إن مرحلة السجن ليست استراحة مناضل، إنما هي استكمال للحالة الوطنية الفلسطينية من جميع جوانبها.

■ بعد أكثر من عشرين عاماً خلف القضبان، كيف أصبحت ترى مفهوم «الحرية»؟ وما الذي بقي فيك من الأسر؟ وماذا تركت هناك بين الجدران؟ وكيف كانت الحياة اليومية خلف القضبان؟

مفهوم الحرية اليوم بالنسبة لي هو مفهوم غير مكتمل؛ لا يمكن القول إن الحرية مشروع ناجز تماماً أو تم إنجازه. الحرية اليوم أراها في التفاصيل الصغيرة، في مراقبة هذه التفاصيل وتلمّسها والبحث عنها، والحرية أيضاً هي الدهشة الأولى والصدمة الأولى، كلّ هذا يعبر عن الحرية.

أما ما بقي فيّ من الأسر، فأنا لا أعتقد أن الأسر قد سكن داخلي لكي أقول إن ثمة محددات جلبتها معي من الأسر. أنا رفضت الأسر والسجن منذ اللحظة الأولى، وكنت أرفع شعاراً رفعه الشاعر الشيوعي الكبير ناظم حكمت حين قال: «إنه يعيش داخل السجن، لكن السجن لن يعيش به»، وهذا ما كنت أعتمده داخل السجن.

وبالنسبة للحياة اليومية، فثمة فرق ما بين الحياة داخل السجن والواقع الاعتقالي قبل السابع من أكتوبر من عام 2023 وما بعده. فما قبل ذلك التاريخ كانت السجون في ظروف إنسانية شبه مقبولة، قمنا بإنجازها من خلال الإضرابات الطويلة عن الطعام. وكانت الحياة اليومية خلف القضبان قبل السابع من أكتوبر حياة ملؤها الإرادة والأمل والصمود، قادرين على توفير ظروف إنسانية تكفل أجواء أدبية وثقافية وأكاديمية معينة، وقمنا بتحويل السجن من كونه مجرد سجن وحديد إلى مدرسة أكاديمية وثورية قادرة على إخراج الكوادر الاعتقالية والوطنية والثقافية والأدبية.

لكن انتابني حزن شديد لأنني تركت ورائي العديد من الرفاق والإخوة، ومن المناضلين داخل سجون الاستعمار الصهيوني يعيشون الآن في ظروف قاهرة، غير إنسانية، يعانون فيها من سياسات التعذيب والقتل اليومي.

■ تحوّل السجن بالنسبة إليك إلى مختبر ثقافي، أنشأت فيه مكتبة وصندوقاً لدعم إبداعات الأسرى. ما الفكرة التي أردت إيصالها من خلال هذا المشروع؟

الهدف من وراء تحويل السجن إلى منتدى ثقافي ودعم إبداعات الأسرى هو إيصال رسالة إلى هذا العالم أن الأسرى الفلسطينيين في سجون الاستعمار الصهيوني ليسوا مجرد أرقام أو أشياء. لطالما حاول العدو الصهيوني إحالة الأسير الفلسطيني إلى وحش، وإلى إرهابي ومخرّب، وبهذا كان يهدف دائماً إلى نزع إنسانيتنا وتفكيكها ومحو ملامحنا الإنسانية.

ومن هنا كان الدافع وراء بلورة جديدة لمفهوم أدب السجون لتعريف العالم وتسليط الضوء على معاناة الأسرى داخل السجون، والتأكيد على أننا نستحق أن نكون متساوين مع كل هذا العالم.

■ خضت نضالاً من نوع آخر داخل السجن — من المقالات إلى الشعر ثم الرواية، وصولاً إلى جائزة البوكر عن «قناع بلون السماء». برأيك، ما موقع النضال الثقافي داخل تجربة الأسر؟ وكيف ترى علاقته بالنضال السياسي والعسكري خارجه؟ وأيهما يبقى أكثر حضوراً في ذاكرة التاريخ الفلسطيني؟

الكتابة داخل السجن جزء لا يتجزأ من المقاومة الشاملة ضد هذا المستعمر الصهيوني. عندما يقرر الأسير أن يصبح كاتباً، تتحول كلماته إلى وسيلة اشتباك يومية مع سجّانه، ليصير مثقفاً مشتبكاً يقاوم من خلال الفكر والفعل على حد سواء.

وتصبح الصورة العامة للاعتقال نضالاً ثقافياً وأدبياً يعبر بشكل أو بآخر عن الجبهة الثقافية التي لا يمكن أن تبقى ضعيفة وخامدة. تجربة الأسير عندما يصبح مثقفاً تؤكد أهمية إيجاد التوازن ما بين الكفاحي والأدبي، وما بين الأدبي والنضالي والثقافي والاجتماعي، وكل ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال مفهوم المقاومة الشاملة.

كما أنني أعتقد أن أهمية الفكرة لا تقل عن أهمية الرصاصة؛ الفكرة أقوى من الرصاص والمدافع. وعليه فإننا كأدباء فلسطينيين يجب أن نقوم بتطوير مفهوم «أدب الاشتباك»، الذي ينخرط ضمن جبهة ثقافية تؤكد على الإجابة عن التساؤل التالي: كيف نكتب أدباً ضد كولونيالي، ضد استعماري، داخل السياق الاستعماري الكولونيالي الصهيوني.

■ كيف استقبلتم داخل السجون خبر عملية السابع من أكتوبر؟ وما الأثر الحقيقي لعملية "طوفان الأقصى" على واقع الأسرى ومعنوياتهم؟

استقبلنا المبادرة العسكرية والكفاحية الإبداعية التي خاضتها المقاومة في غزة في صباح السابع من أكتوبر بذهول. لم نكن متفاجئين من فعل المقاومة، ولكن حجم وضخامة العملية من الناحية العسكرية ومن حيث تحقيق أهدافها منذ اللحظات الأولى أدهشنا.

وكانت معنويات الأسرى نتيجة عملية «طوفان الأقصى» تعانق النجوم، وكنا على مدار العامين الأخيرين منخرطين انخراطاً تاماً مع المقاومة الفلسطينية، وجزءاً لا يتجزأ من معركة الصمود والمقاومة داخل خندق غزة، وبالتالي كنا على يقين أن هذه العملية ستشي بحريتنا وستقودنا إلى إنجاز هذه الحرية.

■ قلت بعد نيلك الحرية: «السلام على غزة يوم تقاتل ويوم تصمد

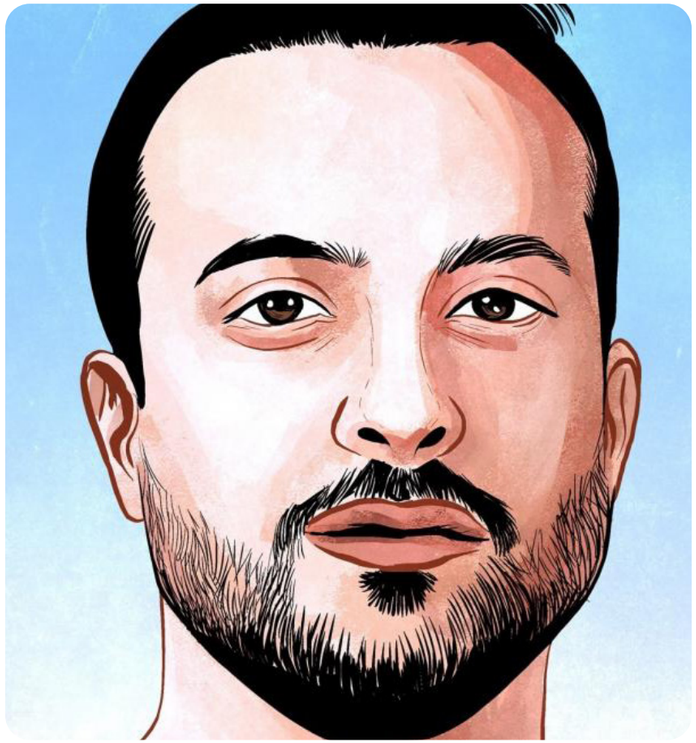

ويوم تقاوم هذا الاستعمار. السلام على غزة يوم تبعثنا أحياء من داخل سجون الاستعمار». ما الذي تمثله لك غزة اليوم؟

الذي تمثله غزة اليوم هو الهوية؛ غزة هي هويتي وانتمائي، وغزة تصبح بهذا المعنى الصورة المشتهاة والمستقبل المشتهى.

نعم، هناك آلاف الشهداء والكثير من الدمار والركام، لكن آن لهذا الدمار أن يتحول إلى عملية بناء، آن لتلك الدماء ألا يُضحّى بها.

للأسف، نحن تاريخياً كنظام سياسي فلسطيني لا نَسأم من التضحية بتضحياتنا، وعليه فنحن اليوم بحاجة إلى صورة ورؤية جديدة تكفل الوفاء لتلك الدماء.

وما حدث في غزة لأول مرة يحدث في تاريخ الشعب الفلسطيني، هذه الإبادة الجماعية، يجب اليوم أن نقوم بتمثيلها وعكس تجلياتها في الأدب الفلسطيني تحديداً، لنكتب غزة كما يليق بها.

■ الطوفان حرّر الرواية الفلسطينية. ما الرواية التي تدور الآن في خلد باسم خندقجي بعدما تنفّس هواء الحرية؟

هناك العديد من المشاريع الأدبية والروائية التي سأعمل على الانشغال بها في الفترة القادمة، لكن العمل الأهم بالنسبة لي هو كتابة رواية عن صديقي الشهيد الرفيق الراحل وليد الدقة.

لقد كتبت هذه الرواية في ذهني وداخل عقلي بسبب مصادرة الأقلام والدفاتر منا خلال العامين الأخيرين، وأنجزت كتابتها الذهنية خلال الستة أشهر الأخيرة من الاعتقال، وسأعمل على تفريغها قريباً.

بالإضافة إلى ذلك، أعمل على الجزء الثالث من ثلاثية «المرايا»، والذي سيكون بعنوان «فراشات مريم الجليلية»

■ وليد الدقة حاضر في روايتك القادمة... لماذا وليد تحديداً؟ وماذا يمثل لك على الصعيد الإنساني والفكري؟

بالنسبة لي، وليد الدقّة ليس مجرد رفيق أو صديق، إنما هو ملهم. تأثرت به كثيراً، وجمعتني به علاقة إنسانية عميقة على المستوى الشخصي، إذ كنا معاً في الدائرة ذاتها.

وعلى الصعيد الفكري والإنساني، يشكّل وليد حالة فكرية فريدة من نوعها، إذ استطاع أن يؤسّس ويبلور العديد من المفاهيم التي لم تعد حبيسة عالم السجن، بل أصبحت جزءاً من تحليلنا العام للسياق الكولونيالي الذي نعاني منه كفلسطينيين.

وليد حاضر دائماً في كتاباته وأدبه ورسوماته وحتى في سخريته، وأنا أردت من خلال الرواية القادمة أن أقدّم تمثيلاً أدبياً لتجليات العلاقة التي جمعتني به، وأن أُسلّط الضوء على الأبعاد الإنسانية التي لا يعرفها كثيرون عن وليد.

■ بعد سنوات الاعتقال الطويلة، ما الرسالة التي توجهها إلى رفاقك الذين ما زالوا خلف القضبان؟

رسالتي إلى رفاقي وإخوتي الذين تركتهم ورائي هي رسالة صمود ومقاومة. الأسرى اليوم يعيشون أصعب الظروف، ونحن كنا في تلك الظروف ولم نتحرر من السجن فقط، إنما أُبعِدنا عن مقبرة الأحياء.

وبالتالي، رسالتي من الصعب جداً أن يستمعوا إليها بسبب العزل الجماعي، لكن رسالة الأسرى إلى العالم هي التدخل لمحاولة إنقاذ هؤلاء الأسرى بسبب ما يعانونه من ويلات داخل السجن.

■ خاتمة

حوار باسم خندقجي يكشف أن المقاومة في حياة الفلسطيني تتحول من شكلٍ إلى آخر، وكل شكلٍ فيها لا يقل أهميةً عن سواه. لكن الأدب والثقافة الفلسطينية، سواء من داخل السجن أو خارجه، يشكّلان البعد الأكثر شمولية لتطوير ما أسماه باسم أدب الاشتباك والمقاومة: ‹الأدب ضد الكولونيالي›، في مواجهة الاستعمار والانتصار للرواية الفلسطينية. يتضح بذلك أن الحرية بمعناها الأول هي التجربة وما ينتج عنها من إبداع، مهما بلغت حدود المعاناة والألم، ليصير السجن نفسه مجرد رواية، كلماتها كالرصاص.. تقتل تماماً مثلما يفعل الوعي.»

كميل أبو حنيش

حوار:
شذى عبد العال – صحفية فلسطينية ـ لبنان

هي الحريّة التي كان ثَمنها اثنان وعشرين سنة من النّضال، والصّمود، والثقافة المشتبِكة، الحريّة التي لم تتخلى عنها المقاومة في كل الميادين، هذه الصفقة التي تمسكت بها المقاومة حتى اللحظة الأخيرة ليتحرر الآلاف الأسرى من سجون الاحتلال الوحشية ومئات الأسرى المحكومون بالمؤبدات لتؤكد أن لا مؤبد لهذا المحتل مدى الحياة.

من بينهم الأسير المحرر اليوم، القائد والمثقف المشتبك، كميل أبو حنيش، عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأحد رموز أدب السجون، أبرز منظّري التجربة التنظيمية داخل المعتقلات، من التسعة مؤبدات الى الحرية، كان مثل النمل في البيت على قوله: النمل يقاوم المحتلين لأنه ببساطة تذوق قمح البلاد فعرف كيف يقاوم!

وليتحدث لنا أكثر عن تجربته الثقافية والتنظيمية داخل السجون وعن معنى الحريّة والسّجن، أجرينا حواراً مع الأديب والمُفكر كميل أبو حنيش .

■ عندما نتحدث عن ٩ مؤبدات، كيف يؤثر هذا الرقم على حياتك داخل الأسر؟

هذا الرقم الهائل في عمر الزمن كان الهدف منه أن يستبطن الأسير منه الألم والحرمان والتنكيل والقهر ولكن بوسع الأسير الفلسطيني أن يتحدّى هذا القهر عبر الثقافة والأدب وتعزيز الصمود والتماسك وعدم الاستسلام بقدر الأسر، رغم أن الكثير من الأسرى وقعوا في هذا الفخ الزمني، ولكن الأسير المثقف والمشتبك الذي يعتبر السّجن محطة جديدة للاشتباك فإنه يعمل على الالتفاف والتحايل على هذا الزمن وكسر إرادة السّجان من خلال الصمود وتعزيز ثقافة الانسان الثوري.

■ هل سيكون هناك تأثير على الانتاج الأدبي داخل السجون بين الماضي والحاضر بعد طوفان الاقصى؟

بالطبع كانت معركة طوفان الأقصى من المحطات الهامة في تاريخ شعبنا ومعركته التحررية الطويلة ولطالما كان الأدب الفلسطيني المقاوم يتصدى لمهماته التحررية ويكون في كل محطة من محطات الثورة له أدواته وقدرته على المجابهة ويستمد قوته من هذا الواقع لهذا السبب بوسعنا القول أن ما قبل ٧ اكتوبر وما بعدها والأدب ستظل مهمته منحصرة في تطوير أدوات المقاومة الثقافية.

لهذا السبب نحن الآن ونحن نجري هذا الحوار نتعرض لإبادة كبيرة على مرآى ومسمع من العالم يجب علينا أن نطوّر من أدواتنا وقدراتنا وتأثيراتنا الثقافية على كافة الأصعدة ويجب أن يكون الأدب يمتشق سلاحه بمهارة ويستعد للمنازلة القادمة، لأن القضية الفلسطينية بعد السابع من اكتوبر دخلت مرحلة جديدة عنوانها الابادة، الطمس، الاقتلاع، ورغم أن الأدب الفلسطيني كان منذ تاريخ الاحتلال الصهيوني تصدى لمهماته ولكن في هذه المرحلة نحن في عصر ثورات المعلومات والاتصالات الإعلام الرقمي يجب أن نستغل هذه الأدوات لتوسيع حضورنا على الساحتين العربية والدّولية إضافة نحن بحاجة لتعزيز هويتنا الوطنية وسيساهم الأدب الفلسطيني في تطوير الاشتباك الذي عنوانه التمسك للهوية الوطنية التي تتعرض للاقتلاع والتنكيل ومحاولة الطمس من الوجود.

■ التعذيب والتنكيل والابادة داخل السجون كما غزة والعقاب الجماعي كيف يتفشش الاحتلال بالأسرى؟

كان الهدف من المؤسسة الاعتقالية التي صمّمها المستعمر الصهيوني، ترويض الانسان الفلسطيني ولا ننسى أن أجيال مختلفة دخلت السجون الصهيونية ولهذا تعوّدنا نحن الفلسطينيين أن يكون السجن جزء من حياتنا، والاحتلال في كل محطة كان يمارس كل وسائل القمع والتعذيب ضد الفلسطيني ولكن هذه المرة ربما لم يسبق أن تعرضت السجون لمثل هذا القمع وهذا التنكيل وهذا المشهد المرعب الذي وصفه الكثير من الأسرى القدامى الذين كانوا في مرحلة الستينيات والسبعينيات، والثمانيات، قالوا لم نشهد من هذه الروح البهيمية المنفلتة من عقالها التي تعززت مع حضور الوزير الفاشي «ايتمار بن غفير» وترؤسه لوزارة الأمن الداخلي وتحريضه بشكل مستمر واغرائه السجانين من خلال رفع رواتبهم وتحريضهم على الأسرى بقول : يجب عليكم أن تضربوا لتقتلوا، هؤلاء إرهابيون، هؤلاء قتلة.

لهذا السبب تعرضنا طوال السنتين الماضيتين لسلسلة طويلة من الاجراءات العقابية التي كانت تمس انسانيتنا، وصلت لحد تجويعنا واذلالنا وضربنا والتنكيل المستمر بنا ليل ونهار ولكن الأسير الفلسطيني استطاع أن يصمد ويقاوم التجويع من خلال الابقاء والحفاظ على القيم الاعتقالية والثورية في ظل هذه المرحلة الصعبة.

واليوم تحررنا وتحرر الكثير من الاسرى وبقية الالاف، ولكننا واثقون جداً أن اخواننا اللذين تركناهم خلفنا يواصلون الصمود واستغلال كل ما من شأنه أن يعزز مقاومتهم.

■ كان اسمك ضمن صفقة وفاء الأحرار ٢٠١١ ورفض الاحتلال، كيف هي لحظة شعورك حينها وكيف أثر هذا على كميل؟

صفقة وفاء الاحرار كان عدد الأسرى القدامى كبير جداً، ونحن كنا في حينها أسرى جدد ولدينا سنوات قليلة ومقابل من أمضى عشرات السنوات، أنا شخصياً لم أكن أتوقع أن يُطلق سراحي وكنت أقول دائماً أن الأولوية يجب أن تكون للأسرى القدامى ومع ذلك كنا نتأمل أن يجري الإفراج عنّي ولكن انتهاء الصفقة بقينا نتسلح بالأمل ونعزّز الصمود وأوفياء للقيم التي تربينا عليها وواصلنا رحلة المقاومة الثقافية والجلسات خلال التعليم الأكاديمي.

وتطويره والانتاج الأدبي والثقافي وحولنا السجون إلى جامعات ومعاهد بالفعل في السنوات الاخيرة، لدرجة غالبية الاسرى نالوا الشهادات الأكاديمية المختلفة وقسم منهم تحوّل إلى رمز ثقافي وأدبي وأصبحوا معروفين في خارج قلاع الأسر.

■ عن أحمد سعدات ومروان البرغوثي كان هناك رفض لأسماؤهم ضمن الصفقة ومازالت المقاومة تضغط ليكونوا بين المحررين، ماذا تخبرنا عن ما يتعرضوا له الان داخل السجون؟

تمارس مصلحة السجون القمع أفظع وأقسى الوسائل لعدد من الرموز من بينهم الرفيق أحمد سعدات والاخ مروان البرغوثي والاخ حسن سلامة وابراهيم حامد، وغيرهم عشرات من الاسرى المعزولين حالياً، ولكن هؤلاء العمالقة اللذين يعرفون أن واجبهم الوطني لا يسمحوا للاحتلال أن يكسر معنوياتهم هم يدركون أنهم قد يتعرضون لكل الوسائل القاسية من التعذيب في أي لحظة، ووصلت صلب السجان وحقارته أن يعتدي بالضرب على عدد منهم دون مراعاة لأعمارهم ومكانتهم السياسية والاجتماعية كلهم كانوا خاضعين للوقاحة التي كان عنوانها «ايتمار بن غفير» الذي كان يدعوهم إلى قتل الأسرى ولكن قدر الانسان الفلسطيني أن يصمد وهؤلاء وهم قادة ورموز شعبنا ويجب أن يكونوا في المقدمة وسيتجاوزون هذه المرحلة من خلال التماسك وستعود ساحات السجون معاقل وقلاع لحماية التاريخ الوطني الفلسطيني.

■ بالعودة الى الأدب والرواية لديك رواية الجهة السابعة تحكي عن الحياة والحرية والموت والوجود ما هي الجهة السابعة التي قد يراها الأسير في زنازين العزل؟

الجهة السابعة فكرتها انسانية وفلسفية ووجودية الانسان الذي يعيش في الحاضر بينما الأسير الفلسطيني المحروم من الحياة الطبيعية كان يعيش في الماضي يتغذى على الذكريات ويتسلح بثلاث مكونات بالحب، بالحلم، ويقاوم هاجس الموت، حتى يستطيع بوسعه أن ينتصر على السجن، أن يكون بوسعه أن يرمم ذاته وهكذا كانت فكرة الجهة السابعة التي استلهمتها من شعر لأحمد شوقي: ولو أنّ الجهات خُلقن سبعاً لكان الموت سابعة الجهات.

وكنت أرى ليس فقط الموت عبارة عن جهة سابعة ثمة أفكار أخرى على سبيل المثال الحب يكون الانسان جهة سابعة والحلم مثلاً، ويجب أن نتسلح بالحب والحلم لننتصر على الموت والقيد.

■ من موقعك القيادي والثقافي والحزبي هل يمكن أن تحدثنا عن تجربة العمل الاعتقالي والتنظيمي وقيادتك للعديد من المواقع والمنظمات الحزبية، كيف تُقيّم لنا تجربة منظمة فرع السجون، وواقع الحركة الوطنية الأسيرة؟

الأسر له تجربة مميزة على الأصعدة التنظيمية والأكاديمية والثقافية والانسانية والاجتماعية، ومن يعيشها يدرك أن لا مجال للاسترخاء والكسل يجب أن نكون مثل خلية النحل وإلّا تكلست أرواحنا، لهذا السبب كنا منهمكين ومنغمسين منها، من رؤوسنا حتى أخمص اقدامنا في حياة وأنشطة السجن، التنظيم بالنسبة لنا أهم القلاع، لأن السّجان يريدنا غير منظّمين، يريدنا أن نكون ذاتيين أن نتحول إلى حيوانات وبهائم نتنظر الطعام، والاستهلاك ولكن التنظيم حولنا إلى كيان متماسك كانت المنظمات الأسيرة على مدار أكثر من ستين عامًا قلاع لحماية الهوية الفلسطينية وتثقيف الشعب الفلسطيني، وكذلك الأمر الثقافة كان لدينا الجلسات الثقافية والتعليم والدورات كانت هناك قيم ثقافية في الأسر ليست موجودة في مكان آخر التعاون والتضامن والأخلاق العالية والتمسك في القيم الانسانية واستطعنا في السنوات الاخير أن نطور من الانشطة الاكاديمية التي خرّجت العشرات والمئات من الأسرى.

أما منظمة فرع السجون التي بدأنا بإنشائها منذ العام ٢٠٠٧ وتعرضنا لقمع وتنكيل واضطهاد وعزل الأمين العام أحمد سعدات وعدد من الأسرى الرفاق وقاومنا من خلال الاضراب عن الطعام والتمرد على هذه الاجراءات وفي الحقيقة رغم ذلك نعترف أن هناك ترهّل في جسم الحركة الأسيرة وهو ما يفسر حالة الهشاشة والضعف التي لم يكن بوسع الحركة الاسيرة التصدي لاجراءات السجان في مرحلة ما بعد ٧ اكتوبر

نحن أخطأنا في هذه المرحلة لأننا لم نمتّن منظماتنا واستسلمنا بشكل كامل باعتبار أننا سنتحرر جميعنا ولو قاومنا منذ البداية لاجراءات السجان لما وصلت الحالة إلى هذا الانهاك وبالطبع بعد هذه الصفقة سيقوم اخواننا إلى منظمات الأسر لتمارس دورها للتصدي لمهامها الوطنية والاجتماعية، والثقافية والانسانية والأخلاقية.

■ أخيراً، اليوم كيف هي الحرية، ولكن خارج الوطن وكيف تتخيل اليوم نابلس بعد 22 عاماً؟

نحن الآن في مرحلة جديدة عنوانها المنفى، صحيح أن الحرية أفضل من البقاء في السجن وصحيح أن المنفى بمعنى من المعاني هو أفضل من البقاء بين القيود والأغلال والأبواب الموصدة ولكن تبقى ساحة منفى بعيدة عن الوطن، ولكن نحن نشتاق للعودة إلى أحضان أمهاتنا وقرانا ومددنا وأحيائنا ومخيماتنا، كنت أتمنى أن أعود إلى بيت دجن، إلى نابلس، ولكن ماذا نفعل!، يجب أن نتحمل ساحة المنفى حالياً، هذا المنفى القسري يجب أن نحوّله، إلى ساحة جديدة للاشتباك والانضمام إلى اخواننا اللذين سبقونا في هذا الدرب ونحن بعد ما نستقر سنبدأ بمشاوراتنا وأنشطتنا المختلفة في ما نستطيع من خلال أن نحوّل هذه الساحة إلى ساحة نضال جديدة.

السامري النادر الحر

لا أريد أن أكون عبد لحريتي، أريد أن أكون إنسان حر ورسالتي ليست لليهود بل للإنسانية جمعاء، فنحن بحاجة لنفض الذات لاستعادة الإنسانية

حوار:
مجدولين أبو ناموس – صحفية فلسطينية - لبنان

في زاوية من جبل جرزيم في نابلس انبثقت روح حرة عانقت الارض، وعاهدت التراب أن تصونه وتحمي ظله في السر والعلن.

هو نادر حد الذهول في زمن تشابهت فيه الأرواح، السامري الحر الذي تحدى الاحتلال بابتسامة وقلم، فوقفت الحرية خجولة أمام جبروته.

هو النادر السامري الحر الذي أثبت بالقول والفعل أن فلسطين للفلسطينين بغض النظر عن دياناته،

وأن إسرائيل هي لعبة قدر شيطاني مسرطن، عبثت بعدادت الزمن، فقلبت الحقيقة، زورت الماضي وشوهت الحاضر، وتسعى جاهدة لقتل المستقبل.

هو المثقف الجبهاوي، وقائد كتائب الشهيد أبو علي مصطفى في نابلس، المطارد الذي أصبح مع الوقت صاحب الظل الخفيف، استطاع أن يشكل حالة من التهديد للاحتلال كونه رفض الانعزال الطائفي.

درس التاريخ والآثار، واليوم يخلّد التاريخ اسمه النادر لينحنى الزمن خجلاً أمام. وبعد ستة مؤبدات دوّخت جيش الاحتلال تنفس نادر حريته اليوم، بروحه المرحة وابتسامته النادرة حوّل السجن إلى فضاء فكري حرّ. وبحالة من الشرود اللامنطقي التي اجتاحت الزنزان، تضاربت المشاعر حتى اهتزت الجدران. بين الهدوء والسكينة، بين النكران والذهول، انتزع نادر صدقة حريته بالتزام محارب.

خرج من زنزانة مقيتة متحدياً عهر الاحتلال، وشذوذ انتهاكاته، وغادر إلى منفاه حاملاً بين ذراعيه وطن بحجم المأساة

وفي حوار خاص لبوابة الهدف عدنا مع نادر صدقة بالذكرى إلى يوم اعتقاله، فحدثنا عن تلك اللحظات التي عاشها، وكيف تلقى خبر حريته، وكيف يرى الحياة اليوم بعد الحرية ، كما تحدث عن التحديات التي واجهها من المحتل بسبب انتمائه للطائفة السامرية، وكيف استطاع أن يحوّل العزلة إلى فضاء فكري حر. فكان معه الحوار التالي:

■ كيف تلقيت خبر الافراج عنك وهل كنت تتوقع هذا اليوم؟

كان عندي يقين أن هذا اليوم قادم، لا يمكن للأسير أن يصمد داخل الأسر إن كان لا يؤمن ولا يوقن بأن هناك يوم سيأتي وسيفتح ثغرة في الجدار، وهذا الشعور الذي اجتاحنا لحظة الإفراج هو نتيجة لتركم طبقات اليقين، وكأنك تراكم لبنة بعد لبنة على أرضية هشة، وتفتح في هذه الأرضية فجوة في جدار الحرية.

أما عن سؤالك كيف تلقيت خبر الإفراج، فقد تلقيته بهدوء، بسكينة باطمئنان، وأيضاً بشكل من أشكال عدم القدرة على استيعاب ما يدور في البداية، وإن كنت أريد أن أكون أكثر صدقاً، فقد تلقيت الخبر بأنكار، فحالة الإنكار التي تجتاح الكائن البشري في الأفراح وفي الأتراح هي التي تساعده على البقاء. لو كان الإنسان يدرك كل الأمور التي تدور حوله، لا أعتقد أنه يستطيع أن يصمد. ولكن على أرض الواقع فقد صدقت تواقعاتي وتحقق يقيني بأني خارج من الأسر لا محالة.

■ نعود بالذاكرة إلى يوم اعتقالك، كيف تصف لنا اللحظات الأولى التي مرت عليك؟

اللحظات الأولى التي مرت أثناء اعتقالي كانت مكثفة وثقيلة على الذهن وعلى البدن، والمضحك في القصة أن القوات الخاصة دخلت علي أثناء نومي ، فقد صحوت على حدث اعتقالي، وشعرت في حالة من استعادة الأحداث الماضية مع حالة من الذهول مما يحدث متنقلة من حالة التصديق إلى حالة عدم التصديق، وهي شعور كأنك بين الحلم والصحو، هذه المشاعر المختلطة كانت من جهة. أما من الجهة الأخرى فكان هناك ضرورة البقاء على الأرض، والفهم بأن القادم هو أخطر وأنك بحاجة إلى أن تدرك وضعك جيداً. وأنه عليك أن تبدأ بالاستعداد لما هو قادم، لأن ما يحدث هو ما لم تستعد له كما يجب. وأنه يجب عليه أن تستعيد رباطة جأشك سريعاً، وأن تبدأ تفكر بالقادم

■ عشرون عاماً من الأسر، كيف تعاملت مع العزلة، وكيف أصبحت نظرتك للحياة، للحرية، للوطن؟ وهل راودتك لحظات من اليأس أو الرفض؟ وكيف تجاوزتها؟

التعامل مع العزلة في الأسر، أنت لا تملك ترف عدم التعامل، هي تحيطك من كل جانب، عدم التعامل معها وتجاهلها يؤدي بك إلى الوقوع في فخها من الأساس، بالتالي يجب أن تتعامل مع العزلة بنقيدها، أي بالاختلاط مع الناس، باحتضان كل ما حولك، بالتفاعل المستمر بينك وبين المحيط. العزلة سلاح خطير يهدف إلى التفرد بك، حين تكون وحيداً ومعزولاً ستكون هشاً تتأثر بكل المؤثرات السلبية التي يمكن أن تتعرض لها. وفهمك لهذه الحقيقة يعني تحالفك مع كل محيطك.

أما نظرتي للحياة والحرية وللوطن أصبحت أكثر حدة، وأكثر وضوحاً وأكثر اتساعاً. والنظر للحياة تصبح الشوق للمفقودات، والمفقودات داخل الأسر كثيرة، وطعم الحرية يصبح بمذاق الاشتياق لها وبمذاق فقدانها

أما الوطن داخل الأسر يصبح أكثر تركيباً وتعقيداً، ونظرتك للوطن تصبح بحاجة إلى الكثير من التصفية والتنقية، مع اختلاطتك بالآراء والفلسفات والمنطق الآخر ومحاولة استيعابها وتعايشك معها، كل هذا يجعل نظرتك أكثر منطقية من جهة، واستقلالية من جهة أخرى وقدرة على التعايش والتفاهم من الآخرين من جهة ثالثة.

أما عن لحظات اليأس، فأنا كائن بشري، واليأس جزء من مكون البشر كما هو الأمل تماماً، فمثلما نتشبث كبشر بالأمل أحياناً، يأتي وقت علينا ونشعر باليأس. أما اليأس يحارب ويهزم عن طريق الرفض. الرفض لكل محاولات كسرك ولكل محاولات إلغائك، إلغاء آدميتك وتفريغك من محتواك النضالي والثقافي والإنساني من جهة. والرفض لهذا النهج العام القائم ضد شعبك وضد وطنك وضد قضيتك من جهة أخرى. هذا هي اللحظات التي تُسلحك بشكل أو بآخر لمواجهة اليأس ولزرع الأمل. أما كيف تتجاوز، فهي ببساطة جدلية رفض اليأس.

■ ما الذي تغيّر فيك بعد الخروج؟ صف لنا ماهي الحرية بنظر نادر صدقة؟

كل شيء تغير فيي بعد الخروج، بدءاً من نظرتي للحياة مروراً باستيعابي لكثير من القصص وقرائتي لها من جديد، وتفهمي للحياة وتعقباتها وتركيبها، وهذا موضوعياً صحيح بحكم أن الانسان كائن مكتسب، وما اكتسبته في السجن محدود الأفق، بينما الحياة بتحدياتها وتعقيداتها وتحدياتها تختلف وتأثيرها يختلف

الحرية بنظري التزام، أولاً التزام تجاه قضيتك التي ناضلت من أجلها، وسجنت وتحررت لأجلها، ومازال الطريق مستمر. وثانياً تجاه مجتمعك وتجاه ذاتك. والتزامي بالحرية وعدم سقوطي في الكمائن التي يمكن أن تضعها أمامي الحياة، هو شكل من أشكال عدم الاستعباد لحريتي، أنا لا أريد أن أكن عبد لحريتي، أريد أن أكون انسان حر، بمنطق يسمح لي التحكم بذاتي بقدرمحدود، لكن مضمون السبل والنتائج

■ حين يذكر اسمك يذكر معه الوفاء والإخلاص. صديقك جهاد الذي اتفقت معه على قراءة رواية «وليمة لأعشاب البحر» للكاتب السوري حيدر حيدر، جهاد استشهد والرواية بقيت صامتة حتى اليوم، هل قرأ نادر الرواية بعد كل هذه السنوات؟

صديقي جهاد استشهد بين يدي صديقنا الثالث يامن في بداية أحداث انتفاضة الأقصى، كنت أنا والشهيد جهاد نتسابق لقراءة الكتب، وكانت رواية وليمة لأعشاب البحر مشهورة إعلامياً حيث تم تداولها بشكل صاخب بتلك الفترة، واستطعت الحصول عليها من الأردن، وحين رأها جهاد أقسم أن يقرأها قبلي، لكنه استشهد قبل قراءتها وإلى الآن لم أقرأها، وهذا فيه نوع من الالتزام بما أقسم عليه صديق.

■ عرف عنك روحك المرحة وطاقتك الإيجابية التي تنتقل لبقية الأسرى بالعدوى، هل بالفعل هذه هي شخصيتك الحقيقية، أم هي شخصية خلقتها لتترجم ما بداخلك بطريقة عكسية؟

هذه طبيعتي طوال حياتي وهناك لحظات من الحزن تجتاح كلاً منا، لكن محاولة الحفاظ على مرحك وذاتك التي تعودت عليها هو تحدٍّ داخل الأسر بشروطه، ولا أعتقد أن الانسان يستطيع خلق شخصية لأنه بحكم الواقع الطبع غلب التطبع.

■ لُقّبت بـ«المفكر» داخل السجن، كيف تشكلت تلك الهوية الفكرية المتفردة؟ وكيف يمكن تحويل الزنزانة بعتمتها لفضاء من الحرية الفكرية؟

لقب مفكر هو لقب مبالغ فيه جداً، لا أدري من أين تأتي هذه الألقاب، لكن بالمحصلة تشكيل هويتي الفكرية المتفردة- لا أعتقد أنها متفردة، فهي جزء من الهويات الفكرية التي تشكلت داخل السجن، وقد تشكلت عندي بجهد ذاتي، فالجبهة الثقافية كما قال الحكيم جورج حبش، من العار علينا فقدانها. والحرص على تنمية مواهبك وشحذ ثقافتك الفكرية هي رسالة تتلقاها مبكراً حين تدخل إلى السجن وتعرف أنه سيأخذ منك كل شيء. وما تقرأه هو الشي الوحيد الذي تكسبه. وبالتالي العمل على تنمية ذاتك فكرياً هو رسالة تؤديها تجاه نفسك أولاً وتجاه الآخرين ثانياً، وأعتقد أن ثانياً هي أكثر أهمية وأكثر تعقيداً مما يخص ذاتك في هذه المهمة لأنك تريد أن تقرأ الفكرة وتحتضنها، ومن ثم تمريرها بعد ذلك للآخرين، وهذا يتطلب الكثير من الجهد، تحديداً إذا كانت الفكرة معقدة ومركبة، وهذا يحتاج إلى مواهب خاصة، بداية مواهب تستطيع من خلالها الوصول إلى أذهان من حولك، والقدرة على التأثير عليها بشكل إيجابي، وبالتالي الوصول إلى درجة قبول لديهم كي يسمعوك، لأنه في لحظة فقدان الاتصال مع من هم حولك، لن تستطع تمرير أي شيء، وهذه المواهب بالأساس هو مواهب اجتماعية أكثر من كونها مواهب فكرية.

لا يمكن تحويل الزنانة بعتمتها إلى فضاء من الحرية الفكرية، تبقى الزنزانة زنزانة أولاً وآخراً، لكن يمكن تغيير شروطها، والتخفيف من وطأتها، فالفكرة طليقة، أنت تستطيع إخراج الفكرة من الزنزانة لكنك لا تستطيع أن تحول الزنزانة إلى فضاء من الحرية. إخراج الفكرة من الزنزانة هو التحدي، ويتم ذلك بجهد مضني على المستوى الفردي وجهد خطر على المستوى الموضوعي، وكل مرة يتم اعتقال أفكارنا فيها كنا نتعرض لأشكال شتى من العقوبات. وكان التحدي في أن تنجح في صوغ الفكرة، صقلها، صيانتها، ومن ثم تمريرها للآخرين، وبعد ذلك إخراجها، وكل هذا يتطلب مواهب

■ الفكرة بحد ذاتها مقاومة، برأيك ما هو دور الثقافة في المقاومة؟

بالتأكيد لأننا لا نستطيع حجز الفكرة، وكونها تملك هذه الخاصية فهي تحمل من البعد الزمني أكبر من عمر حاملها، تحمل القدرة على الوصول أكثر من قدرة حاملها الفيزيائية، فهي تحمل مسار الاستمرار بالديمومة والتاثير. وكما قلت سابقاً البندقية غير المسيسة قاطعة طرق، وحالة التدهورالتي وصلت إليها الحالة السياسية الفلسطيينة من أهم اسبابها وعواملها تراجع مستوى الثقافة الكمي والنوعي، وهو تراجع خطير وممبرمج، وكأنه كان يجب تدمير جيل السبعين والثمانين بكل مكوانته الإنسانية، هذا الجيل الذي حمل على أكتافه ثورتين، وأهم مكون كان في هذا الصعيد هو المكون الثقافي، فكان دائماً شعار الثورة الفلسطينية هو انعدام الأمية في الشاع الفلسطيين في مرحلة من المراحل، بينما اليوم الأمية هي نوع من الصفات العضوية عموماً والفلسطينية خصوصاً، وهذا يجعل الدور الثقافة في المقاومة أكثر حدّة وأكثر وضوحاً، حيث يبدو العمل المقاوم عمل بدني وعضلي بالأساس، ولكن ذلك كله بدون العقل والإرادة والوعي يسقط في كل الكمائن الممكنة.

افخاخ الذاتي والموضوعي في غياب الثقافة تصبح أكثر وأخطر وأعمق، ونتائجها على كل الصعد تبدو جلية في الحالة الراهنة على كل الصعد، فاليوم الرافد الثقافي للثورة الفلسيطينية شحيح وضئيل وفقير، وهذا يجعل كل السياقات مؤلمة والنتائج أكثر ألماً.

نحن بحاجة إلى نفض الذات، والبحث عن سبل تجعل من الممكن إعادة الزخم للوضع الثقافي التوعوي، وهذه مهمة تقع على عاتق مؤسسات المجتمع المدني، وتحديداً التنظيمات السياسية التي عليها التوعية قبل التنظيم.

■ إن الطائفة السامرية التي تنتمي اليها دينياً تُعتبر هي الامتداد الحقيقي لبني إسرائيل وهي متجذرة في فلسطين منذ فجر التاريخ، عكس ما يدعيه الاحتلال من أحقية المستوطنين. ماهي رسالتك لأبناء طائفتك ولليهود في العالم؟

لا أستطيع تقديم رسالة الى يهود العالم، أُفضل أن تكون رسالتي أكثر أممية وأكثر إنسانية، والتركيز على هذا الجانب المحدد في بنية تكويني الشخصية على أنني يهودي سامري أُقدره وأفهم دوافعه، ولكن أنا أقدم رسالة إلى الإنسان كأي ثوري في العالم يستطيع مخاطبة الإنسانية بنضاله وطموحه وفكره وآماله، وإن كان هناك يهودي أو سامري يريد أن يسمعها فهذا شأنه، ولكن لن أوجه هذه الرسالة بصفتي السامرية لأي يهودي بشكل خاص.

أخاطب اليوم الإنسانية لأقول أن كم الفاشية والسادية التي تعرض لها شعبنا في العامين الأخيرين، يتطلب وقفة إنسانية كحد أدنى، وقفة ليس في إدانة إسرائيل فقط أو العمل على محاصرتها في السياقات الدولية فحسب، فهذا على أهميته بالنسبة لأهل غزة الذين يعانون الفقر والجوع والتشرد، لا يثمن ولا يغني عن جوع.

الإشكالية تكمل في الوقوف إلى جانب المضطهد ودعمه بكل السبل واستنهاض هممه، فشكل التضامن الموجود في العالم اليوم يجعلني أفكر بمقولة أن الانسان النائم إذا تقلب من جنب إلى جنب هذا لا يعني أنه يصحو، والعالم اليوم يتقلب في نوم عميق.

فالأهم اليوم هو استعادة إنسانية الإنسان وإن كان للإنسانية من معنى في هذا السياق فيجب علينا البحث عن سبل لاستعادة إنسانية أهلنا في القطاع الصامد، هذا المشعل الذي يرفض الإنطفاء، والذي يحاول الصمود والبقاء رغم كل وحشية الاحتلال.

■ هل أثّر انتماءك إلى الطائفة السامرية على علاقتك بباقي الأسرى؟ أو عرضك لمضايقات من الاحتلال أو ربما لتمييز داخل السجن؟

انتمائي للطائفة السامرية لم يؤثر أبداً على علاقتي بباقي الأسرى، فكان هناك نوع من الاحتضان الغامر طوال سنوات أسري، صحيح أن هذا الجانب كان استثنائي كوني الاستثناء في هذا الجانب، وكان له دور في التعاطي الحاضن من بقية الأسرى

لكن من جانب آخر كان لي دوري في السياق النضالي وعملي في المهام التنظيمية، فلم يكن هناك أي مضايقات أو تميز سلبي، كنت مناضل أتعرض لما يتعرض له بقية المناضلين.

■ لو خُيّرت أن تختصر تجربتك بكلمة واحدة، ماذا تقول؟

الكلمة هي التجربة، لكن يمكن فهم التجربة على أنها سياق واعي حاول الانتقال إلى مستوى التنفيذي

قاسى ما قاساه، وعانى ما عاناه، وأنجز ما أنجز، نجح هنا وفشل هناك، علِق هنا ونجا هناك، تعلم هنا وأخفق هناك.

عامان على الطوفان..
كيف نستثمر في المقاطعة بوصفها مقاومة للتطبيع

رضي الموسوي - كاتب صحفي من البحرين

عندما أغلقت سلسلة متاجر كارفور آخر محلاتها بالبحرين في سبتمبر/ أيلول الماضي، شعر مقاطعو هذه المتاجر بالفخر والاعتزاز بهذا الإنجاز، وإن كان نسبياً، حيث تأكدت أهمية مقاطعة الكيان وداعميه كسلاح يمكنه التأثير في ساحة المعركة، ويكون أكثر فعالية كلما اتسع واستثمر بشكل يوجع داعمي الاحتلال الصهيوني. سبقت البحرين في الإغلاق كل من الأردن وسلطنة عمان وجاءت الكويت لتكمل الحلقة بعد البحرين بأيام، حيث أغلقت المجموعة فروعها هناك بعد أن شاهد العالم حافلاتها وهي توزع الوجبات الساخنة على جنود الاحتلال وهم يرتكبون جرائم الإبادة الجماعية والتطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة. امتدت المقاطعة خارج أقطار الوطن العربي ووصلت إيطاليا التي أجبر شعبها «كارفور» على بيع عملياتها في إيطاليا مقابل مليار دولار، بدعوى «مراجعة إستراتيجية أعمالها بعد تكبدها خسائر تشغيلية بلغت 67 مليون يورو عام 2024». ورغم محاولات التقليل من تأثير المقاطعة بالحملات الاعلانية والتسويقية، إلا أن آثار المقاطعة كانت واضحة في تقارير العديد من الشركات العالمية، بل أن بعضها أدرج كلمة «المقاطعة في تقاريرها المالية السنوية، مصحوبة بتراجع أسعار أسهم العديد منها بمعدل يتراوح ما بين 10 بالمئة و15 بالمئة، الأمر الذي جعل المقاطعة جزءاً من المشهد الاقتصادي المؤرق لداعمي الكيان.

قضية المقاطعة ليست جديدة، فقد سبق للدول العربية أن أسست «مكتب مقاطعة إسرائيل» في كل العواصم، وكان قراراً صائباً ساهم في منع تدفق البضائع الصهيونية للأسواق العربية، إلا أن اتفاقات التطبيع بين الكيان وبعض الدول العربية وجهت طعنة في الخاصرة للفعل الرسمي العربي، ما قاد المجتمعات الأهلية والشعبية لأخذ زمام المبادرة والبدء في حملات مقاطعة البضائع الصهيونية وداعمي الكيان برزت بشكل أكثر وضوحاً بعد اتفاقيات التطبيع وخصوصا في الألفية الثالثة، فقد تشكلت منظمات شعبية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني كما هو الحال في البحرين والكويت مطلع الألفية، وتشكيل تحالفات شعبية خليجية لمقاومة التطبيع أسفرت عن إحداث فارق في التوعية بالقضية الفلسطينية وزيادة أعداد المتضامنين والداعمين لها، لوحظ في المساهمة الأهلية الخليجية في أسطول الصمود العالمي.

وفي فلسطين والشتات تشكل في العام 2005 تحالف مكون من أكثر من 170 منظمة مجتمع مدني «حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها-BDS»، وأخذت امتداداتها العالمية مع إمعان الاحتلال في تنفيذ سياسة الفصل العنصري والتطهير العرقي والإبادة الجماعية الممنهجة.

في هذا الصدد كتبت الأكاديمية الأمريكية والناشطة آنجيلا ديفيس، بعد زيارتها لفلسطين قائلة: «لقد صُعقنا جميعاً – بمن في ذلك أولئك الذين نشؤوا في الجنوب [الأمريكي] إبان قوانين جيم كرو وفي جنوب أفريقيا أيام نظام الفصل العنصري وفي المحميات الهندية في الولايات المتحدة – بما شاهدناه. ولذلك نصدر دعوة ملحة لأولئك الذين يشاركون التزامنا بالعدالة العرقية والمساواة والحرية، ونعلن صراحة عن دعمنا لحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات BDS».

وأصبحت حركة مقاطعة إسرائيل BDS تحظى بدعم اتحادات ونقابات وأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني الدولي وحركات شعبية وغيرها من الجهات التي تمثل الملايين من الأعضاء عبر كافة قارات العالم، كما تؤيدها شخصيات مؤثرة في الرأي العام، حتى إن رئيس الأساقفة، دزموند توتو، الجنوب أفريقي داعماً لحركة المقاطعة، كتب: «مثلما كان غير مقبول في فترة نظام الفصل العنصري (الأبارتهايد) بأن يقدم الفنانون العالميون العروض في جنوب إفريقيا في مجتمع قائم على القوانين التمييزية والتفضيل العرقي فإنه من غير المقبول أن تقدم أوبرا كيب تاون العروض في إسرائيل».

فعل الطوفان وجذوره

لم يأت الطوفان من فراغ، ولم يكن السابع من أكتوبر 2023 يوماً عادياً كغيره من الأيام في غزة وعموم فلسطين والوطن العربي والعالم. كان طوفاناً قلب كل الموازين وكشف الكثير من الحقائق التي كانت مطمورة تحت غبار الصمت والتنكيل والمؤامرات للدرجة التي كادت فيها قضية فلسطين أن تندثر بين ركام المشاريع التصفوية واستهداف كل ما هو فلسطيني وإعلاء كل ما هو صهيوني. مقدمات هذا المشروع ليست جديدة، بل هي قدم المشروع الصهيوني نفسه وبدء تجسيده على الأرض منذ نهاية القرن التاسع عشر مع عقد الحركة الصهيونية مؤتمرها المشؤوم في بازل السويسرية، ثم جاءت معاهدة سايكس بيكو (1916) لتعبد الطريق لوعد بلفور المشؤوم (1917) الذي فتح باب الهجرة اليهودية لفلسطين، ما فجر ثورات أهمها ثورة 1936، حتى جاء التقسيم بمؤامرة إقليمية دولية لتأسيس الدولة الصهيونية في خاصرة الوطن العربي (1948) وإقامة قاعدة عسكرية ثابتة للدول الرأسمالية الكبرى التي كانت بريطانيا تقودها وتمارس الاحتلال تحت يافطة الانتداب التي سهلت سلطاته تهجير اليهود من أصقاع الدنيا لفلسطين، ثم تسلمت الولايات المتحدة دفة قيادة العالم الرأسمالي على انقاض الحرب العالمية الثانية.

كانت حرب الأيام الستة في يونيو 1967 قد انتهت بنكسة المشروع القومي الناصري العربي، حيث تبعتها مجازر أيلول في الأردن بعد ثلاث سنوات. وكانت حرب الاستنزاف التي قادت لحرب أكتوبر (1973) وانتصار العرب فيها عسكرياً أحد إنجازات عبد الناصر الذي كان يستعد لها، لكن الوفاة المفاجئة ورحيله لم تمكنه من إتمام المشروع التحرري. كانت الهزيمة السياسية بانتظار الأمة في اتفاقية كامب ديفيد (1978) التي أوصلت لتصدع جدار الصد العربي وفتح الباب واسعاً لعملية التطبيع وعقد اتفاقيات ومعاهدات مع الكيان الصهيوني فضلا عن إطلاق يده للبطش والقتل والاحتلال، فكان الغزو الأول لجنوب لبنان (1978) بذريعة إبعاد مقاتلي الثورة الفلسطينية عن المستوطنات الصهيونية، ثم جاء الغزو الكبير في صيف 1982 وخروج قوات الثورة من بيروت، وتلاها مجازر صبرا وشاتيلا، لتدخل المنطقة في حقبة مظلمة مع اشتداد مدافع الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988) ومن ثم غزو الجيش العراقي للكويت في صيف 1990.

كان مؤتمر مدريد (1991) أحد أهم المحطات المفصلية في عملية الصراع العربي الصهيوني، فقد جمّعت الولايات المتحدة الدول العربية والكيان الصهيوني على طاولة واحدة، وفرضت معادلاتها على الجميع. وهي معادلة كان السادات يروج لها مع بداية المفاوضات منتصف السبعينات ومفادها أن «99 بالمئة من أوراق اللعبة في يد أمريكا». تدحرجت كرة ثلج التطبيع وأنتجت اتفاق أوسلو الكارثي في 1993، وتبعها اتفاقية وادي عربة مع الأردن، وبالتوازي كانت المكاتب التجارية والتمثيلية تفتح للكيان في العواصم العربية ومنها الخليجية، بل ومشاركة الوفود الصهيونية في المؤتمرات التي كانت تعقد في هذه العواصم، فضلاً عن اللقاءات التي بدأت سرية بين زعامات عربية وبين قادة الكيان ثم تحولت إلى لقاءات علنية يتم التفاخر بها وتترجم في إدخال اليهود في مؤسسات الدول العربية اللاهثة وراء التطبيع مع العدو الصهيوني.

وبينما كان الليل الدامس يخيم على سماء الوطن العربي، كانت المقاومة اللبنانية تخوض معارك كسر عظم مع الكيان. البداية مع انطلاقة جبهة المقاومة اللبنانية (سبتمبر1982) والتي طردت الاحتلال من العاصمة بيروت بعد عمليات بطولية ضد الاحتلال، واستمرت في التسعينات حتى مايو 2000 عندما هرب جنود الاحتلال وعملاؤه من الجنوب اللبناني على ضربات المقاومين الذين لم يمهلوا جنود العدو من لبس سراويلهم الداخلية قبل الهروب، وفق توصيف الصحافة الصهيونية. وكان عدوان 2006 على الجنوب وبيروت محطة أخرى قاومت فيه العين المقاومة المخرز الصهيوني وفرضت معادلات ردع سببت ارتياحاً عاماً في لبنان.

تفتت وتيه

بعد الربيع العربي بداية العقد الثاني من الألفية الثالثة، تفتت العديد من الدول العربية: العراق الذي خضع لحصار دام 13 عاماً ثم الغزو الأمريكي لأراضيه، سورية وبدء الحرب عليها وفيها، ليبيا وتفتتها إلى ولايات قبلية ومناطقية، السودان وتشرذمه وغرقه في حرب طاحنة لاتزال تحرق الأخضر واليابس، اليمن وعودة تشطيره واقتطاع أراض منه لصالح المخططات الكبرى. ولأن طبيعة العدو توسعية واستئصالية واقتلاعية، فقد واصل عدوانه وحاصر قطاع غزة في 2007 وأحكم الحصار عليه بمعاونة اصدقائه وحلفائه والخائفين منه واستمر الحصار الخانق وإغلاق المعابر، إلا ما ندر، لمدة ستة عشر عاماً، حتى بلغ السيل الزبى عند المواطن الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية، فتم إصدار قانون الدولة القومية-الدولة اليهودية الخالصة، وتواصل الاستيطان وتضاعف بعد اتفاق أوسلو وبلغ مداه في الاعتداءات المتكررة على المسجد الأقصى بشكل شبه يومي والتحكم في مداخله ومخارجه وتسارعت عملية تهويد القدس على مرمى ومسمع من لجنة القدس المنبثقة عن الجامعة العربية ومنظمة التعاون الإسلامي.

عندما جاء طوفان الأقصى، كانت غزة تموت ببطء والحياة فيها تتقلص والاعتداءات على الأقصى تتضاعف، ولم يكن أمام الغزيين، وهم الذين واجهوا حروباً لم تتوقف منذ 2009، وفي ظل تراجع القضية الفلسطينية وتمدد التطبيع ليكون هو السائد في السماء العربية بعد أن تم إحياؤه بما يسمى بالاتفاقات الإبراهيمية (2020) مع أربع دول عربية سبقتها ورشة القرن لتصفية القضية الفلسطينية (2019). لم يكن أمام أهل غزة إلا تلك الضربة التي كشفت وعرت الجميع ووضعتهم على حقيقتهم، بدءاً من شركاء الكيان وداعميه وأصدقائه وحلفائه والمتواطئين معه، وصولاً إلى صمت الحملان الذي يمارسه البعض الآخر دون أن يرف لهم جفن أمام هول المجازر التي لم يكن لها نظير في التاريخ الحديث، اقترفها بدم بارد جيش احتلال استيطاني اقتلاعي لا يتردد عن ارتكاب كل الجرائم ضد الإنسانية، خصوصاً بعد أن كشف الطوفان زيف الجيش الذي لا يقهر، وأكد مجدداً أنه قاعدة لا تستطيع البقاء بذاتها ودون دعم غربي مباشر تمثل في إرسال الأساطيل والساسة ليؤكدوا وقوف واشنطن وكبرى العواصم العالمية معه، وسحبوا معهم وسائل الإعلام العالمية التي تواطأت وروجت الأكاذيب عن أبطال الطوفان، واستمرت تردد الكذبة حتى بعد افتضاح أمرها.

كانت ردة الفعل الصهيونية على الطوفان أكبر بكثير من الفعل، فجاء القرار الصهيوني المشبع بالعنصرية وإلغاء الآخر متمثلاً في إزالة قطاع غزة من الوجود والعمل على المشروع الأساس: «إسرائيل» الكبرى التي تشمل كل فلسطين ونسبة كبيرة من أراضي وجبال ومياه سوريا ولبنان ومصر والسعودية، أي من الفرات إلى النيل.

انكشاف فاشية العدو وسّع المقاومة العالمية وخلق حالة من التضامن تجاوزت الحدود وكسرت القيود التي فرضتها لوبيات الكيان في الدول الغربية، فتفجرت حالة الغضب التي عاشتها الجامعات الأمريكية والأوروبية وفي آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وتعددت طرق مواجهة حصار غزة وتوجت بأسطول الصمود العالمي الذي شق طريقه في سبتمبر/ أيلول نحو البحر بأكثر من 40 سفينة على ظهرها نحو 500 من المتضامنين المتطوعين الذين حملوا أرواحهم على أكفهم ومضوا نحو قبلة الأحرار.. غزة.

إن فعل المقاطعة ليس فعلاً هامشياً، فهو أصّل التربية والنشأة للجيل الصاعد الذي فاجأ العالم وتجاوز الأحزاب المترهلة والنظم المترددة وخاض معارك شرسة في بلدانه ولدعم فلسطين وكسر حصار غزة. هذا الجيل هو الذي يراهن عليه بعد أن تمكن من تأصيل فكرة المقاطعة لداعمي الكيان، والتي وجهت ضربة لداعمي الكيان، فتمكنت من إغلاق 400 فرع لشركة «ستاربكس» في الولايات المتحدة وحدها، و188 فرعاً لمتاجر «زازا» في العالم، وتراجعت مبيعات كولا بمعدل 10 بالمئة في الشرق الاوسط. هذا التطور قاد شركات تجارة التجزئة في العالم إلى تجنب البضائع الصهيونية تحسباً لرد فعل الجمهور المقاطع. يضاف إلى كل ذلك تجنب منتجات المستوطنات الصهيونية الزراعية والصناعية، وإحجام العديد من شركات السلاح عن تزويد الكيان بالأسلحة وبدء التحسب للتعاقدات المستقبلية، وذلك بعد أن فعل طوفان الأقصى فعله الإستراتيجي الذي أعاد الوهج للقضية الفلسطينية التي كادت أن تُطَمر بين أوراق الاتفاقيات التطبيعية العربية مع الكيان الصهيوني.

الأهم في هذا الصدد هو الاستمرار في المقاطعة.

في رحيل المصطفى براهمة، مسار ثائر نحو اقتحام السماء

معاذ الجحري - نائب الكاتب الوطني للنهج الديمقراطي ـ المغرب

هذه الشهادة في حق الفقيد المصطفى براهمة، مكتوبة بالدموع والأسى على فراق رفيق عزيز على قلبي، ناضلت إلى جانبه وعايشته لمدة أزيد من ثلاثين سنة، اجتمعت فيها روابط الرفاقية والصداقة.

لقد سبق لي أن ألقيت كلمة في حق المصطفى، يوم الأحد 2 مارس 2024، بمناسبة انعقاد المجلس الوطني الرابع للجبهة المغربية لدعم فلسطين ومناهضة التطبيع (الجبهة) التي قررت تكريمه إلى جانب ثلة من الأطر المناضلة، سيون أسيدون وجمال العسري وفتح الله أرسلان. في ذلك الوقت، كان معروفاً لدى الرأي العام أن المصطفى يواجه المرض اللعين الذي انضافت إليه متاعب صحية أخرى أدت في النهاية إلى وفاته في 13 أكتوبر.

فطلب مني، والحزن العميق يجتاحني، إلقاء كلمة في حق الفقيد وباسم الجبهة، مرة أخرى، وذلك خلال حفل التأبين بمنزل الفقيد بعد تشييع جنازته.

تكاملت الكلمتان لتثمر هذه الشهادة التي أقف فيها بتركيز على ما أعرف من إسهامات الفقيد وخصاله.

ويمكن القول بداية إن حجم ومحتوى الكلمات والشهادات التي ألقيت بالمناسبة أو التي نشرتها الصحافة وبرقيات التعازي والمواساة لأسرته الصغيرة وحزبه السياسي، النهج الديمقراطي العمالي، تبرز حجم الالتفاف حول الفقيد وخصاله الكفاحية وأخلاقه الثورية العالية التي جعلت منه قائداً سياسياً وطنياً وأممياً أصيلاً.

كل هذا يمثل عُربون عرفان وتقدير لنضاله الثوري الدؤوب والمتواصل منذ منتصف السبعينات في إطار منظمة «إلى الأمام» التي التحق بها وساهم بقوة في إعادة بنائها بعد خروجه من السجن على إثر اعتقالات 1976 فضلاً عن دوره في تأسيس فصيل الطلبة القاعديين وتطوير الحركة الطلابية في إطار الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، في مختلف المواقع وفي مقدمتها المدرسة المحمدية للمهندسين حيث كان طالباً.

وسيتعرض رفيقنا مرة أخرى للاختطاف والتعذيب بمعتقل درب مولاي الشريف السيئ الذكر ليقضي تسع سنوات في سجون النظام وذلك في إطار الهجمة المسعورة على منظمة إلى الأمام وأنصارها.

وفور خروجه من السجن، ساهم إلى جانب رفاقه في عملية تجميع المناضلين المنحدرين من الحركة الماركسية-اللينينية المغربية. ولما تعثرت هذه العملية، ساهم بشكل رئيسي إلى جانب رفاقه، سنة 1995، في تأسيس النهج الديمقراطي الذي يعد شكلاً من أشكال الاستمرارية السياسية والفكرية لمنظمة «إلى الأمام» وكفاحاتها المجيدة.

كان بيته، طيلة سنوات التأسيس والبناء، مفتوحاً في وجه المناضلات والمناضلين من مختلف المناطق بمناسبة اجتماع الأجهزة وانعقاد الندوات وتنظيم الأنشطة الوطنية.

ولعبت رفيقة عمره، المناضلة الخلوقة، أمينة بوخلخال، أدواراً لا تنسى في ذلك فضلاً عن مهامها النضالية المتعددة.

لا أعرف منطقة لم يزرها رفيقنا، واحد من أهم الأطر المحركة لماكينة التنظيم، في إطار مهام تنظيمية أو إشعاعية أو نضالية ميدانية وكان ذلك بإمكانياته الخاصة: قال لي ونحن في الطريق إلى مدينة خنيفرة، لإنجاز مهمة تنظيمية، سنة 2009 إنني لم يسبق لي قبل هذا التاريخ أن طلبت تعويضاً عن مهام التنقل من المالية الوطنية لحزبنا.

كان جريئاً في الدفاع عن أفكاره والسير ضد التيار، لكنه لا يتشبث كثيراً برأيه إذ سرعان ما يدخل في البحث عن توافق وحلول وسطى للتناقضات.

في جميع الأحوال كان ديمقراطياً ومنضبطاً، ينفذ القرارات حتى ولو كانت في الأصل ضد قناعته. ورغم شراسته في الصراع أحياناً فقد كان رقيقاً في مشاعره، لطيفاً في المعاملات. كان حقاً رجلاً خيراً.

كان مرناً في الأشكال ممسكاً بالمبادئ، وحدوياً حتى النخاع.

وبقدر ما كان حركياً مقداماً ومتحمساً لبناء الحزب كتنظيم متماسك للعمال والفلاحين الفقراء وعموم الكادحين والمثقفين الثوريين، كان كذلك بالنسبة لبناء الجبهات على طريق بناء جبهة سياسية عريضة للتخلص من الاستبداد. وفي كل هذا كان مجتهداً منفتحاً، يكره الدغمائية وتكرير المقولات الجاهزة المنزوعة من سياقها. كما كان يواجه لحظات الشد والمحن بالصبر والتشبث بالتنظيم.

كان المصطفى، عاشق فلسطين، من مؤسسي الجبهة المغربية لدعم فلسطين ومناهضة التطبيع في 28 فبراير 2021، وعضواً في مجلسها الوطني باعتباره كاتباً وطنياً للنهج الديمقراطي منذ 2012 إلى 2022. أتذكر أنه شارك في أشغال أحد المجالس الوطنية وكان يدافع عن ضرورة التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها إطارا جامعا للكيانية الفلسطينية، قائما على أساس القواسم المشتركة، لا على التفرد والمساومة.

كانت القضية حاضرة في مساره الكفاحي من خلال النضال ضد الاستبداد والإمبريالية والصهيونية ومن أجل التحرر الوطني والديمقراطية على درب الاشتراكية.

حاضرة بشكل وازن في القطاع الطلابي كواحدة من محاور النضال الديمقراطي الجماهيري الكبرى.

بل حتى في ظروف العمل السري، حيث كان في قيادة منظمة «إلى الأمام»، بادر هذا الصنديد إلى جانب طلائع يسارية أخرى إلى تنظيم مسيرة شعبية بدرب السلطان بالبيضاء سنة 1982 على إثر اجتياح بيروت من طرف الكيان الصهيوني وتنفيذه مجزرة صبرا وشاتيلا الرهيبة.

حاضرة، أي القضية الفلسطينية، بشكل وازن في نشاطه النقابي، في الاتحاد الوطني للمهندسين المغاربة وبشكل خاص داخل الكنفدرالية الديمقراطية للشغل من موقع المسؤولية في مكتبها التنفيذي حيث عمل على تأطير وتطوير نضالات الطبقة العاملة وعموم الشغيلة المغربية.

حاضرة بتواجده في مقدمة كل التظاهرات والمسيرات الشعبية التضامنية الكبرى مع الشعب الفلسطيني.

وبفضل ذهنيته المنفتحة على الآخر وعلاقاته الطيبة والواسعة كان الفقيد من مؤسسي الجبهة الاجتماعية المغربية في 28 دجنبر 2019، هاته الجبهة التي تلف كافة القوى الديمقراطية حول الملف الاجتماعي. ما أحوجنا اليوم لهذا الإطار وشبابنا يخوض حراكاً واسعاً من أجل العدالة الاجتماعية.

لم يكن المصطفى ملكاً منزهاً عن الخطأ خاصة وأن مساره طويل وحافل بالكفاح، لم يكن بطلاً خارقاً بل ثائراً منتصباً كالصفصاف، انبثق من أعماق معاناة شعبنا الذي منه نستمد الصمود مستفيدين من تجارب الشعوب وحركاتها التحررية والشيوعية.

رفيقي العزيز
أخبرك أن أسيدون لم يعلم
بعد برحيلك،
لا زال في غيبوبة
ولم نعلم نحن
حقيقة ما جرى.
حبيب القلب المصطفى
كم أحبك
والقلب إليك هفا
لروحك المجد والوفا
رأيت من حولك
علم فلسطين وطير الحمام
يرفرفا
مئات الزهور لك
والريحان والخزامى
دمت عنواناً للصفا
موقفاً وشرفا...

سوريا تحت وطأة العقوبات: الفرص المحدودة والتحديات المتصاعدة

عزيز موسى - كاتب وباحث في الشؤون الدولية والأمنية ـ سورية

تُشكّل العقوبات الاقتصادية المفروضة على سوريا وعلى رأسها قانون قيصر أحد أكثر الملفات حساسية، بينما تُقدَّم هذه العقوبات بوصفها أداةً قانونية لردع الانتهاكات ومحاسبة المسؤولين عنها، فإن آثارها الاقتصادية والإنسانية كشفت عن واقعٍ مغاير، حيث تحوّلت من وسيلة ضغط سياسية إلى عبء إنساني واقتصادي شامل طاولَ كل مَفاصل الحياة السورية.

تؤدي العقوبات وبشكل أساسي قانون قيصر الدور الرئيس في إعاقة أية عملية للإعمار في سوريا، في ظل الحاجة لحشد موارد مالية ضخمة لهذه العملية وتفاوت التقديرات بالنسبة لتكاليف إعادة الإعمار التي تتراوح بين 216 مليار دولار وفقاً لتقديرات البنك الدولي و مايقارب 900 مليار دولار وفقاً لاقتصاديين وخبراء ماليين محليين ودوليين، هذا بدوره يدفع باتجاه التعامل مع مسألة رفع العقوبات وإلغائها باعتبارها تمس الامن الوطني السوري.

رفع جزئي... لا يحرّر الاقتصاد السوري

مثّل إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في أيار 2025 رفع العقوبات الأمريكية بموجب أوامر تنفيذية رئاسية من خلال الترخيص رقم 25، إضافة إلى الإعفاء الصادر عن وزارة الخارجية الامريكية لمدة 180 المتعلق بقانون قيصر انتقال هام في طريقة التعاطي مع الملف السوري، إلّا أن العثرة الأساسية بقيت عدم رفع / إلغاء قانون قيصر بسبب شموليته لكافة القطاعات والتعاملات مع سوريا مما يحجب إمكانية الاستثمار بشكل حقيقي.

ترتبط مسألة العقوبات بمجموعة من المعايير والشروط التي ترى الولايات المتحدة ضرورة توافرها وتنفيذها لعدم السماح بوجود أية اختلالات أو السماح بعودة لنفوذ قوى معادية إلى الساحة السورية، وهذا يتضح بموافقة مجلس الشيوخ الأمريكي إدراج إلغاء قانون قيصر ضمن «قانون الدفاع الوطني»، في ظل انقسام حاد بين أعضاء الكونغرس بين مؤيد لاستمرار العقوبات كأداة ضغط على الإدارة السورية ومعارض لها باعتبارها تستهدف المواطنين وتمنع عملية استقطاب الاستثمارات، و وجود جناح ضمن الإدارة الأمريكية يضغط باتجاه رفع العقوبات بشكل كامل قبل نهاية عام 2025 وعدم تمديده، والتمهيد لإعادة بناء البنية التحتية التي تحتاج شركات ومؤسسات مالية قادرة على العمل دون المخاطرة بالتعرض لعقوبات ثانوية، هذا يسمح بخلق فرص عمل وعودة المهجرين طوعياً، واحتواء بعيد المدى للصراع إذ يساهم الاقتصاد المتعافي في خفض معدلات الفقر والاحتقان الاجتماعي وهما مكوّنان مهمّان لدرء تجدد العنف أو انتشار الجماعات المسلحة، إلاّ أن الاعفاءات المحدودة والرفع الجزئي للعقوبات مع بقاء القيود لا يمكن أن يحرر الاقتصاد السوري من وطأة العقوبات، في ظل تخوف رؤوس الأموال من الفوضى والاستقطابات السياسية.

عقوبات مشروطة بحسابات سياسية

تحكم الحسابات السياسية مسار الرؤية الأميركية وطريقة التعاطي مع الإدارة السورية، إذ تركز على خلق حوافز للامتثال وقيود مراقبة من خلال رفع أو تخفيف عقوبات مشروط يمكن أن يُستخدم كأداة لفرض إصلاحات ملموسة (قضائية، وصول مراقبين دوليين، تحرير سجناء، ...إلخ)، هذه الآلية تراها الإدارة الأميركية كأداة ضغط عكسية أكثر فاعلية من العقاب الصرف، إذ يمكن اعتماد آلية رفع مرحلي ومشروط من خلال تراخيص مشروطة للمعاملات الإنسانية والبنية التحتية مع متطلبات شفافية، قوائم مراقبة للأفراد والكيانات المتورطة في جرائم، وبرنامج دولي مستقل للتحقق، هذا يوازن بين العدالة والواقع الإنساني.

كما ان الانقسام في الآراء بين التيارات المختلفة في الإدارة الأميركية يؤدي إلى تأسيس آلية للرقابة تنسجم فيها المطالب الخاصة بالإصلاحات مع رفع العقوبات وقياس مدى الالتزام من قبل الإدارة السورية وإعطاء الفرصة للشعب السوري في الوقت ذاته، فالمطالب السياسية ترتكز على مسائل مكافحة الإرهاب وحماية الأقليات، وعدم الاعتداء على الدول المحيطة بسوريا في الإشارة « لإسرائيل»، وإبعاد المقاتلين الأجانب من المناصب العليا في الحكومة، بما في ذلك المؤسسات الأمنية والعسكرية، والتحقيق الجدي في الانتهاكات خاصة المتورطين في مجازر ضد الأقليات الدينية، هذه الشروط تخضع لتقييم ومراقبة مستمرة في حال الإلغاء الأولي من قبل الكونغرس، من خلال إحاطة تتقدم بها الخارجية الأميركية وتقرير مفصل عن قضايا الحوكمة والعدالة الانتقالية كل 90 يوماً لتصبح فيما بعد كل 180 يوماً لمدة 4 سنوات، وفي حال عدم تمكن الرئيس الأمريكي والخارجية تقديم تبرير للبنود أعلاه لـمرتين متتاليتين، فإن الكونغرس يوصي بإعادة فرض عقوبات «قانون قيصر» لعام 2019، وبقائها سارية حتى يتحقق الامتثال الكامل للشروط.

بين الفرص والتحديات

تخضع مسألة رفع العقوبات أو إلغائها لمقاربات متعددة تتشابك فيها الأهداف والمصالح السياسية والالتزام بتنفيذها، مع الواقع الاقتصاد الهش الذي تعاني منه سوريا بعد أكثر من 14 عاماً من الحرب المدمرة، بالتالي تبرز حجم التحديات التي تواجهها الإدارة السورية في القدرة على الاستفادة من الإعفاءات والتراخيص المتعلقة برفع العقوبات، بالمناورة في استقطاب استثمارات حقيقية تدخل حيز التنفيذ من قبل جهات اقتصادية متعددة و تفاقم الاحتياجات الإنسانية التي تُظهر أن أكثر من 16 مليون شخص في سوريا بحاجة إلى مساعدة إنسانية طارئة وفقاً لتقديرات الأمم المتحدة، والعمل على تفعيل» مذكرات التفاهم» التي تم توقيعها سابقاً مع الكثير من الجهات والشركات والتي اتضح أن جزءاً منها كان غير جدياً، وارتباط ذلك بقدرة الحكومة على ترسيخ حالة من الاستقرار والأمن في البلاد إلى جانب توفير البيئة القانونية والتشريعية المناسبة لاستقطاب المستثمرين الذين ينتظرون عملية الرفع الكامل للعقوبات، وما يشكله ذلك من فرصة حقيقية في إطلاق أكبر عملية إعمار لدولة بعد الحرب العالمية الثانية، وما يرافقها من تأثير جيواقتصادي على المنطقة يبقى مرهوناً للمصالح الإقليمية والدولية.

إلغاء العقوبات أو تليينها بشروط ذكية ليس هروباً من المساءلة، بل سعيٌ عملي لإنقاذ البشر وإعادة بناء ما تهدِم بدورات العنف والفقر، قانون قيصر ولد كرد فعل سياسي وأخلاقي على نظام سابق بهدف ردعه وتطويق مسؤوليه، لكن استمرار السياسات العقابية الجامدة بعد الانهيار الاقتصادي والإنساني الواسع لا يخدم لا العدالة ولا الاستقرار.

إنّ الحديث عن ضرورة إعادة النظر في العقوبات المفروضة على سوريا لا ينطلق من اعتبارات سياسية ضيّقة، بل من منطق إنساني واستراتيجي يستند إلى قاعدة بسيطة: لا يمكن لأي دولة أن تتعافى أو تستقرّ في ظل اقتصادٍ مختنق ومعزول، كما أن استمرار معاناة ملايين المدنيين تحت وطأة القيود الاقتصادية يُضعف مصداقية المنظومة الدولية، ويجعل أدواتها القانونية تبدو أقرب إلى أدوات عقاب جماعي لا إلى وسائل تحقيق العدالة، من هنا فإن النقاش حول رفع أو تعديل العقوبات، وفي مقدمتها قانون قيصر، لم يعد خياراً سياسياً فحسب، بل ضرورة أخلاقية وإنسانية وأمنية لإعادة تفعيل مسار التعافي الاقتصادي، وتهيئة بيئة أكثر استقراراً في منطقة تعاني أصلًا من فائض التوتر ونقص الأمل.

منعطف استراتيجي للقضية الفلسطينية: القانون الدولي يتحدى الكنيست

د. سعيد سلّام - مدير مركز فيجن للدراسات الإستراتيجية

شهدت الساحة الدولية تصعيدًا دبلوماسيًا وقانونيًا غير مسبوق عقب مصادقة الكنيست الإسرائيلي على مشروع قانون يهدف إلى فرض السيادة على أجزاء من الضفة الغربية المحتلة. هذا القرار لم يبقَ في إطار السجال الداخلي، بل تحوّل فورًا إلى قضية دولية معقدة تخضع لمعايير القانون الدولي وقرارات مجلس الأمن، وأطلق موجة واسعة من الإدانات من عواصم إقليمية ودولية، أعادت القضية الفلسطينية إلى صدارة الأجندة الدبلوماسية والحقوقية العالمية.

وفي تطور قضائي بالغ الدلالة، أصدرت المحكمة الجنائية الدولية قرارًا بالإجماع يدين «إسرائيل» على خلفية انتهاكات جسيمة وممنهجة للقانون الدولي الإنساني في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وأكد القرار أن «دولة إسرائيل، بصفتها سلطة قائمة بالاحتلال، أخفقت في تنفيذ التزاماتها القانونية»، في إشارة واضحة إلى ممارساتها التي تتعارض مع المواثيق والاتفاقيات الدولية. وقد نص القرار، وبالإجماع، على أربعة محاور أساسية: أولًا، التأكيد على إخفاق «إسرائيل» في الوفاء بالتزاماتها القانونية كقوة احتلال؛ ثانيًا، الإدانة الرسمية لخططها الاستيطانية في الضفة الغربية؛ ثالثًا، الإدانة الصريحة باستخدامها القوة المفرطة ضد المدنيين؛ ورابعًا، الإدانة الواضحة باتباعها سياسة التهجير القسري بحق الشعب الفلسطيني.

هذه الإدانة تُضفي بعدًا قانونيًا صلبًا على المواقف الرافضة، وتؤكد أن الاحتلال أخفق في الوفاء بالتزاماته، ما يرفع كلفة المساءلة الدولية ويعيد تسليط الضوء على معاناة المدنيين الفلسطينيين، مع التأكيد على أن الأفعال المدانة قد تقع ضمن تعريف «جرائم الحرب» بموجب نظام روما الأساسي.

المواقف الرسمية الصادرة عن دول الإقليم والمجتمع الدولي لم تكن مجرد ردود فعل عابرة، بل عكست قلقًا استراتيجيًا وتحولًا في ميزان المصالح. هذا الإجماع يقوم على ركيزتين أساسيتين: الأولى،

رفض مطلق لأي محاولة لفرض سيادة أحادية أو تغيير للحدود يتناقض مع القانون الدولي ومبدأ «عدم جواز اكتساب الأرض بالقوة»، وتحديدًا قرار مجلس الأمن رقم 2334. الثانية، إدراك عميق لحساسية الأوضاع الإقليمية والمخاطر المترتبة على أي خطوة أحادية قد تشعل فتيل الانفجار الأمني والسياسي.

وقد تجسد هذا الرفض في مواقف رسمية حاسمة. حيث اعتبرت الكويت القرار انتهاكًا للقرار الأممي 2234 وللقانون الدولي ودعت إلى موقف دولي رادع. ووصف الأردن الإجراءات بأنها لا شرعية ودعت المجتمع الدولي لتحمّل مسؤولياته القانونية والأخلاقية. أما تركيا فوصفت الخطوة بأنها عمل تخريبي يقوض وقف إطلاق النار الهش في غزة ويهدد الاستقرار الإقليمي. وشددت السعودية على رفضها التام للإجراءات الاستيطانية وأكدت دعمها لحق الفلسطينيين في دولة مستقلة على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، واعتبرت قطر الخطوة تعديًا سافرًا على الحقوق الفلسطينية وانتهاكًا صارخًا للقانون الدولي. بينما أشارت الولايات المتحدة إلى أن الضم قد يبدد خططًا إقليمية وأن واشنطن غير مستعدة لدعمه في الوقت الراهن. هذا التلاقي في المواقف، بما في ذلك التحفظ الأمريكي الذي يُعد تفكيكًا لـ «الحماية الدبلوماسية المطلقة»، يضيّق هامش المناورة أمام الاحتلال ويعزز من نطاق الرفض الدولي.

عمليًا، يُشكّل هذا الموقف الجماعي المُدعَّم بالإدانة الجنائية الدولية «صندوق أدوات دبلوماسي وقضائي» متنوع وذو ثقل، يمكن تفعيله بآلية مدروسة ومتدرجة. لا يقتصر هذا الصندوق على البيانات المشتركة القوية، بل يمتد ليشمل تحركات دبلوماسية حاسمة في الأمم المتحدة، سواء في الجمعية العامة أو مجلس الأمن للدفع نحو قرارات تحت الفصل السابع في حال استمرار التحدي للقانون الدولي. كما يتضمن هذا الصندوق دعمًا قانونيًا وحقوقيًا مُمنهجًا لتوثيق الانتهاكات، بما يُغذي ملفات المساءلة أمام المحكمة الجنائية الدولية والمحاكم الوطنية ذات الولاية القضائية العالمية، وصولًا إلى إمكانية تطبيق عقوبات اقتصادية انتقائية وذكية تستهدف مؤسسات أو أفراداً متورطين في سياسات الضم والاستيطان. وتبقى الفعالية القصوى لهذه الأدوات مرهونة بقدرة الأطراف المعنية على الانتقال النوعي من مستوى الإدانة الخطابية إلى مستوى الإجراءات الملموسة والمنسقة على الأرض، مع ضرورة الحفاظ على التوازن الدقيق بين تفعيل أقصى درجات الضغط السياسي والقانوني، وضبط مخاطر أي تصعيد أمني شامل قد يهدد الاستقرار الإقليمي برمته.

يتكامل الزخم الدبلوماسي والقضائي مع الدور المحوري الذي يضطلع به الفاعلون غير الحكوميين، الذين يُشكّلون عنصراً حاسماً في تشكيل البيئة الدولية للضغط وتوجيه الرأي العام العالمي. فالمؤسسات الحقوقية، ووسائل الإعلام العابرة للحدود، والجاليات الفلسطينية والعربية حول العالم، تتمتع بقدرة فعّالة على تحويل الزخم السياسي إلى قوة دفع مستمرة لا تنطفئ، تُبقي القضية حاضرة بقوة وتدفع الحكومات نحو تبني مواقف أكثر صرامة، لا سيما عبر حملات المقاطعة وسحب الاستثمارات (BDS). وفي هذا السياق، يأتي قرار المحكمة الجنائية الدولية بوضوحه وإدانته ليُحدث تغييراً نوعياً في قواعد اللعبة على مستويات عدة: فهو ينقل القضية من دائرة السجال السياسي المتقلب إلى إطار المساءلة الجنائية الدولية الصارمة، مما يفتح المجال واسعاً أمام تتبع المسؤولية الفردية والمؤسسية عن الجرائم المرتكبة، ويُشرِّع نظرياً لآلية أوامر التوقيف. فضلاً عن ذلك، فإن هذا القرار يعزز شرعية الإجراءات الدبلوماسية والعقابية التي تتبناها الدول الرافضة، وفي الوقت ذاته، يرفع بشكل كبير الكلفة السياسية والشخصية لأي طرف يسعى لتقنين الضم عبر تشريعات داخلية، جاعلاً من هذه الخطوات عرضة لتداعيات قضائية ودبلوماسية طويلة الأمد.

قانونيًا، تُعد أي محاولة لفرض السيادة على أراضٍ احتُلت بعد عام 1967 انتهاكاً مباشراً وواضحاً لمبدأ القانون الدولي الجوهري، وهو مبدأ «عدم جواز اكتساب السيادة عبر الاحتلال أو استخدام القوة». يُعزز هذا الموقف بمراجع دولية لا تقبل الجدل؛ فقرار مجلس الأمن رقم 2334 يؤكد بطلان وعدم شرعية الاستيطان، وتفرض اتفاقيات جنيف على القوة القائمة بالاحتلال التزامات مضاعفة تتعلق بحماية السكان المدنيين ورفاههم، بينما يأتي قرار المحكمة الجنائية الدولية ليضفي ثقلاً إضافياً بإدانته خطط الضم والاستيطان وتأكيده إخفاق دولة الاحتلال في تنفيذ التزاماتها القانونية. إن تحويل «التشريع الداخلي» إلى واقع ميداني عبر سياسات ضم واستيطان ممنهجة يفتح الباب أمام مسارات مساءلة جنائية ودبلوماسية متعددة الأوجه، حيث يمنح قرار المحكمة الجنائية الدولية غطاءً قضائيًا دوليًا غير مسبوق، يُضاعف من قوة الاعتراض القانوني، ويُصعِّب على الاحتلال الاستمرار في فرض وقائع جديدة على الأرض دون مواجهة تبعات متصاعدة.

سياسيًا، يفتح القرار الجنائي الدولي الباب أمام تصعيد دبلوماسي متدرج وفاعل، يتجاوز الإدانات التقليدية ليُشرِّع خطوات أكثر صرامة، قد تشمل سحب السفراء للتشاور، والدفع بقوة نحو تقديم مبادرات حاسمة في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وربما الدفع باتجاه فرض تدابير اقتصادية أو عقوبات انتقائية على الأفراد والكيانات المتورطة، في ظل تزايد الانتقاد الدولي وتآكل آليات الحماية. وعلى الصعيدين الأمني والإنساني، فإن سياسات الضم لا تقتصر على تكريس واقع استيطاني غير شرعي، بل تُشعل بؤر توتر جديدة، وتُعرقل أي ترتيبات تهدئة هشة، وتُفاقم المعاناة الإنسانية بشكل قاسٍ عبر هدم المنازل وتشريد الأسر وفرض قيود خانقة على الخدمات الأساسية. وفي هذا السياق، يوفر قرار المحكمة إطارًا قانونيًا حصيناً لتوثيق هذه التداعيات الإنسانية والأمنية وربطها بمسؤوليات جنائية محددة، مما يعزز الحجج المطالبة بالمساءلة ويمنع محاولات تهميش هذه الانتهاكات أو تطبيعها سياسياً.

إن فعالية مواجهة مشروع الضم تظل مرهونة بقدرة الأطراف الرافضة على توحيد أدوات الضغط وتكاملها بشكل استراتيجي وفاعل. فالمطلوب ليس الاكتفاء ببيانات الإدانة، بل الانتقال إلى تنسيق دبلوماسي موحد يُترجم إلى مبادرات عملية في المحافل الدولية، مدعوماً بـ جهد قانوني متماسك يفتح ملفات المساءلة، وضغط إعلامي متواصل يفضح الانتهاكات، إلى جانب شراكات قوية مع منظمات حقوق الإنسان لتوثيق الجرائم وتثبيتها في السجلات الدولية. وفي هذا الإطار، تمتلك المنظمات القضائية الدولية اليوم فرصة غير مسبوقة للاستفادة من حكم المحكمة الجنائية الدولية لملاحقة قضايا جنائية ضد أفراد وهيئات متورطة في الانتهاكات، بما يعزز مناخ المساءلة بشكل جذري ويحد من الإفلات من العقاب، ويُرسخ مبدأ سيادة القانون الدولي.

إن تصاعد حدة المواجهة حول مشروع مصادقة الكنيست لا يعكس مجرد خلاف سياسي عابر، بل يكشف عن صراع أعمق يتعلق بجوهر النظام الدولي ومعايير القانون التي تنظّم شرعية الاحتلال والاستيطان. فإدانة المحكمة الجنائية الدولية، المدعومة بإجماع دولي وإقليمي صريح، أحدثت نقلة نوعية؛ حيث أعادت القضية الفلسطينية إلى مسار قانوني دولي ذي آثار ملموسة، ونزعت الغطاء عن الممارسات كجرائم محتملة، ومنحت المواقف الرافضة قاعدة صلبة لتوسيع دائرة المساءلة ومواجهة محاولات فرض الأمر الواقع. التحدي الجوهري اليوم يتمثل في قدرة المجتمع الدولي على ترجمة هذا الإجماع السياسي والإطار القضائي إلى إجراءات عملية ورادعة تتجاوز الإدانة اللفظية: تشمل تفعيل آليات حماية للمدنيين، اتخاذ خطوات دبلوماسية منسقة، وتطبيق ضغوط اقتصادية وقانونية توقف الانتهاكات، مع استغلال الإطار الجنائي لزيادة الكلفة الوجودية على متخذي القرار. إن الطريق نحو ذلك طويل ومعقد، لكنه يظل حاسماً لمنع تآكل قواعد القانون الدولي الإنساني، وللحفاظ على ما تبقى من فرص السلام العادل والشامل، باعتباره الخيار الوحيد القادر على إنهاء دوامة العنف وإعادة الاعتبار لحقوق الشعوب وكرامتها.

ترامب: وقف الحرب
حماس: قبلة الحياة

مروة محمد

الشهيد يحيى السنوار قائد السابع من أكتوبر عام 2023 استطاع بحنكته وتخطيطه وبراعته وقدرته على المناورة بإرادة قوية وعزيمة فولاذية، أن يَهزَّ أركان الكيان الصهيوني، ويُحرك المياه الراكدة، ويكسر السردية الصهيونية، كما حرك المشهد الفلسطيني الذي يعاني ويلات الانقسام وتشتت الجهود، ومن بطش النازية الجديدة، وحصار وتجويع وقتل وتدمير وتطهير عرقي وإبادة جماعية، وتقطيع أوصال الضفة والتهديد بضمها للكيان.

الشعب الفلسطيني البطل لم يستكن ولم يستسلم ولم يرفع الراية البيضاء، بل تحدى الطغيان والفاشية وقاوم وما زال. كل هذا واليمين الفاشي الصهيوني يدير ظهر المجن لكل قرارات الشرعية الدولية، ومبادرات النظام العربي الرسمي، والتطبيع، ومعاهدات السلام التي أُبرمت معه. ويدعي أنه كيان مسالم، ومن حقه أن يدافع عن وجوده ويواجه الإرهاب الذي يهدده ويشكل خطرًا عليه، مستخدمًا كل وسائل العلم المعرفة في سبيل ذلك.

ويخشى الخطر المحدق به من كافة الأطراف التي تتربص له وتهدف إلى إزالته؛ لأنه يعيش في محيط معادٍ للسامية، لهذا كان قراره الذي لا رجعة فيه بتغيير وجه ومكانة الشرق الأوسط، وبسط سيطرته وهيمنته عليه، ونهب ثرواته تحت شعار حماية النظام الرسمي والدفاع عنه في وجه المؤامرات والخطر الذي يهدده من أعداء وهميين، صوره لهم وأقنعهم بذلك.

وينطبق على ذلك المثل الشعبي الذي يقول: « بحبي لك قال له: صاحي لك». وهذا ما قاله ترامب هذا السمسار التاجر الذي يمثل شيلوك العصر، وهذا ما خطط له، وما يرغب من خطته.

حماس والفصائل الفلسطينية بقيت يدها على الزناد، وعلى أهبة الاستعداد في الهجوم والمنازلة السياسية لكل المحاولات التي تهدف إلى النيل منها ومن القضية الوطنية، فأعلنت عن قبولها للخطة بعدما اشبعت الموضوع نقاشًا وحوارًا ومشاورات.

قد يقول المشككون: وماذا بعد؟ من انتصر؟ من هُزم؟ وهذا ما قلناه لحماس والفصائل، فكانت تعاند وتجيب بالرفض، بل لم تكتفِ بالرفض بل وجهت الاتهامات، وقالت ما هبَّ ودبَّ في حق من طالب بالخضوع لمطالب الكيان. والجواب على ذلك غاية في البساطة؛ لأن السؤال غاية في السذاجة، ويحمل في طياته روح الشماتة والتشبث بالرأي والدفاع عن الخطأ ودعم رؤية العدو، لربما يعود ذلك بالمنافع على أصحاب هذا الرأي. وتمهيدًا للإجابة على ذلك، أستطيع أن أجزم أن الصوت العالي المندد والمستنكر لما حدث في السابع من أكتوبر ويخطئه بدأ يخفت ويتراجع، مستمرًا في توجيه النقد بصوت خافت مهزوز، يدل على التراجع والتقرب من حماس والمقاومة. وما لبثت أن تراجعت هذه الأصوات ممنية نفسها بتحقيق مرادها وما ترمي وترغب به، ومحاولة في تضليل وكسب ود وعطف، وثم استقطاب الفئة المترددة والمتشككة إلى جانبها وفي صفها، والتي باتت تدعو إلى للوحدة وأن قبول حماس بالخطة خطوة إيجابية، ويبقى تسليم السلاح ومغادرة دفة القيادة والحضور والتواجد في المشهد الغزاوي، ومن بعده المشهد الفلسطيني العام، والمطالبة بضمانات دولية واستكمال ما جاء في الخطة؛ لأن العدو غدار وله اسبقيات خرق كل الاتفاقيات ويمكن أن ينقلب الموقف ويعيدنا إلى المربع الأول، ويستأنف الحرب والتهجير قسريًا أو طوعيًا، ويقضي على الأخضر واليابس.

وكل هذه المحاذير واردة حاضرة في عقل وذهن المفاوض الفلسطيني، واستخدم دهاءه وذكاءه وخبرته في الاشتباك التفاوضي، فكان رد حماس بمقاتليها وجمال وجوههم الذي يتناغم مع قوة سواعدهم، يمتشقون بنادقهم التي سارعت لتحمل مسؤولياتها ومطاردة العصابات المسلحة التي عاثت فسادًا وتخريبًا وتواطؤًا مع العدو الصهيوني وعملائه، وشاركوا في إراقة الدم.

أما ترامب فالمتتبع لخطاباته وهلوساته وهو يردد استعدنا رهائننا وما على حماس إلا أن تكمل بقية بنود الخطة وتوقف ملاحقتها للعملاء الذين أقر بأنهم كذلك، ثم عاد وتراجع عن أقواله. فمكاسب الكيان وحماس من خطة ترامب:

فلسطينيًا:

-1 عدم التهجير وعودة أهل غزة إلى الاطلال في مدينة غزة.

-2 المفاوضات بين الكيان والمقاومة بحضور الوسطاء.

-3 وقف الحرب، وهذه من أولويات الشعب.

-4 دخول المساعدات الغذائية والإنسانية.

-5 انحياز الرأي العام في الغرب إلى الموقف الفلسطيني.

-6 ما زالت المقاومة هي التي تمتلك القرار في القطاع وملاحقة العملاء وحفظ الأمن.

صهيونيًا:

-1 ما زالت قوات الاحتلال متواجدة في حوالي 47% من القطاع.

-2 عودة الأسرى الصهاينة وجثامين القتلى.

وبقية الخطة ما زالت تخضع للمفاوضات؛ لأنها كانت عناوين تكتنز الكثير من الغموض وعدم الوضوح، ويطمح ترامب أن يحولها إلى محمية تتبعه وتأتمر بأمره.

وأن هذا الاتفاق أوقف الحرب؛ لأن استمرارها يؤذي ويُفضح ويعري الكيان ومن ورائه أمريكا.

نتيجة الحرب:

قال وزير الأمن القومي الصهيوني (إيتمار بن غفير): «الفرحة التي تابعناها في غزة والضفة تظهر من الذي خضع في هذه الحرب. أدعو نتنياهو للتروي وإيقاف هذه الصفقة السيئة، وعدم إعادتنا إلى الوراء». والصفقة مشينة لأنها تشمل تحرير مئات من المخربين القتلى.

الخلاصة: أن وقف الحرب ليس بالضرورة نهاية الصراع؛ لأن صراعنا اشتباك تاريخي مفتوح.

المقاومة كسرت عنجهية الكيان الصهيوني خلال عامين.

الطريق الأوحد والوحيد لحل القضية الفلسطينية وتحرير فلسطين التاريخية بعودة المشهد الفلسطيني للوحدة والحوار البناء، والمقاومة الطريق الوحيد للتحرير.

غزة بحاجة إلى إعادة إعمار وليس رفع أنقاض، وعلى أمريكا أن تقدم نصيبها وما عليها لإعادة الإعمار.

أغلبية الشعب الفلسطيني يؤمن ويدعم ويؤيد المقاومة ويقف معها بقوة وبكل ما يملك.

السلاح يمكن مناقشته فلسطينيًا مع الكل الفلسطيني، والمقاومة في المرصاد لكل من تسوّل له نفسه المساس بالشعب والقضية بسلاحها وقاعدتها الشعبية.

قبلة الحياة التي قبلتها حماس للخطة حقنت الدم الفلسطيني وأوقفت الحرب، وما زالت تقادم وتتحدى وتفاوض كما قاتلت في الميدان.

المقاومة لم تنكسر في الميدان
والشياطين تسكن في تفاصيل خطة ترامب

عليان عليان ـ باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

بعد مرور عامين على معركة طوفان الأقصى ، ذهب بعض المحللين السياسيين في كبريات الصحف الأمريكية ، ومن ضمنهم «جاي تايلر» – الصحفي في جريدة واشنطن بوست والمختص بشؤون الأمن القومي الأمريكي - إلى القول بأن حركة حماس وبقية فصائل المقاومة قد هزمت ، وأن عليها في ضوء هذا الاستخلاص أن تنفذ أل 20 نقطة التي وردت في الخطة بدون إخضاعها للنقاش والمساومة، وذهب البعض الآخر من الإعلاميين الأمريكان الذين تستضيفهم الفضائيات العربية بشكل يومي إلى القول، بأن «حماس» يجب أن لا تشارك في المفاوضات لأنها باتت خارج المشهد العسكري ، بعد هزيمتها المزعومة في الميدان.

استخلاصات كاذبة

لكن هذين الاستخلاصين، لم يستندا إلى حقائق مادية ملموسة على الأرض، ويكذبهما البيان الذي صدر عن حركة حماس بعد طرح ترامب خطته مباشرة، وتثمين الرئيس الأمريكي للبيان حيث تضمن البيان ما يلي:

1. تثمين حماس للجهود العربية والإسلامية والدولية، وجهود الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الداعية إلى وقف الحرب على قطاع غزة، وتبادل الأسرى، ودخول المساعدات فورا ورفض احتلال القطاع، ورفض تهجير شعبنا الفلسطيني منه.

2. أن الحركة من أجل وقف الحرب، وتحقيق الانسحاب الكامل من القطاع، تعلن عن موافقتها على الإفراج عن جميع أسرى الاحتلال، أحياء وجثامين، وفق صيغة التبادل الواردة في مقترح الرئيس ترامب، ومع توفير الظروف الميدانية لعملية التبادل، وفي هذا السياق تؤكد الحركة استعدادها للدخول فورا من خلال الوسطاء في مفاوضات لمناقشة تفاصيل.

3. تجدد الحركة موافقتها على تسليم إدارة قطاع غزة لهيئة فلسطينية من المستقلين (تكنوقراط) بناء على التوافق الوطني الفلسطيني، واستنادا للدعم العربي والإسلامي.

4. ما ورد في مقترح الرئيس ترامب من قضايا، تتعلق بمستقبل قطاع غزة، يرى المفاوض الفلسطيني أنها ترتبط بموقف وطني جامع، بالاستناد إلى القوانين والقرارات الدولية ذات الصلة، ويتم مناقشتها من خلال إطار وطني فلسطيني جامع، ستكون حماس من ضمنه وستسهم فيه بكل مسؤولية.

المقاومة توافق على بعض البنود بشروط

في ضوء ما تقدم يتبين لنا ما يلي:

1. أن المفاوضين الإسرائيليين والأمريكان لا يفاوضوا أشباحاً، بل يفاوضوا خصماً عنيداً نال إعجاب العالم أجمع، حارب العدو الصهيوني المدعوم أمريكياً وأطلسيا، لمدة عامين دون أن تلين له قناة، وأصبح أنموذجا يحتذى بها في حركات التحرر التي تناضل ضد الاستعمار والعنصرية، وهي أطول حرب يخوضها العدو منذ نشأة كيانه الغاصب عام 1948.

2. أن موافقة المفاوض الفلسطيني على إطلاق سراح الأسرى الصهاينة الأحياء والأموات جاء مشروطاً بوقف الحرب، وتحقيق الانسحاب الكامل من قطاع غزة، وإدخال المساعدات والمواد والمعدات المطلوبة للقطاع.

3. أن المفاوض الفلسطيني تعامل بذكاء مع خطة ترامب، حيث لم يرد في بيان حماس موقفها من جميع البنود العشرين، بل ردت على البنود الخطيرة والمركزية، معلنةً موافقتها على حكومة التكنوقراط، على قاعدة ربط مستقبل القطاع وحقوق الشعب الفلسطيني بالكل الفلسطيني، لأن حماس لا يمكنها أن تقرر مستقبل القطاع وحدها، وأن مستقبل القطاع وحقوق الشعب الفلسطينية يرتبط بموقف وطني جامع، بالإستناد إلى القوانين والقرارات الدولية ذات الصلة، ويتم مناقشتها من خلال إطار وطني فلسطيني جامع، ستكون حماس من ضمنه وستسهم فيه بكل مسؤولية.

4. هذا الرد من قبل المقاومة، ينسف ضمنيا موضوع الوصاية الدولية على القطاع، ويؤكد على قرارات الشرعية الدولية التي تجاهلها ترامب في خطته.

واللافت للنظر أن ترامب أعجب ببيان حماس، ووضعه فوراً على صفحتة في منصة Truth social قائلاً: أعتقد أنهم مستعدون لسلام دائم. يجب على (إسرائيل) أن توقف قصف غزة فوراً»، وبعد هذا الرد سارعت فصائل المقاومة، إلى الإعلان عن رفضها نزع سلاحها مشيرةً إلى أن هذا السلاح يسلم فقط للدولة الفلسطينية حال قيامها.

مفاوضات المرحلة الثانية

المرحلة الثانية للمفاوضات ستكون صعبة، في حال استكمال المرحلة الأولى للمفاوضات التي شارك فيها كل من جهاد نخالة- أمين عام حركة الجهاد الإسلامي- والرفيق جميل مزهر – نائب الأمين العام للجبهة الشعبية، إلى جانب رئيس فريق التفاوض – رئيس حركة حماس في قطاع غزة- «خليل الحية»، وقد تم في جزء من هذه المرحلة تحرير 250 أسيراً فلسطينياً من ذوي الأحكام المؤبدة والعالية، مقابل الإفراج عن 20 أسيراً إسرائيلياً، بينما تتعثر في هذه المرحلة بشأن الإفراج عن رفات 28 أسيراً صهيونياً ،جراء ما لحق بقطاع غزة من تدمير للمباني والشوارع والأبراج، إذ أن العثور على رفات الأسرى – الذين جرى تسليم (12) منهم للجانب الإسرائيلي- يحتاج لفترة طويلة، جراء عدم سماح حكومة العدو بدخول المعدات اللازمة للبحث عن رفات الأسرى الصهاينة من تحت ركام البنايات، وعدم السماح للفريق التركي المختص للدخول إلى القطاع للمساهمة في البحث عن جثث الإسرائيليين .

كما أن العدو الصهيوني، لم ينفذ ما هو مطلوب منه في المرحلة الأولى، على صعيد فتح المعابر لإدخال المواد الغذائية والطبية والمعدات اللازمة لرفع الأنقاض، وربط ذلك بإفراج « حماس» عن جميع الجثث، رغم أن خطة ترامب لم تنص على الإفراج عن جميع الجثث فوراً مؤكدةً أن البحث عن هذه الجثث يحتاج إلى وقت جراء الدمار الهائل الذي لحق بالمباني والأحياء والأنفاق في القطاع .

ثوابت المفاوض الفلسطيني

لقد حدد المفاوض الفلسطيني والمتحدثون باسم فصائل المقاومة في قطاع غزة موقفهم من ما جاء في المرحلة الثانية من خطة ترامب على النحو التالي:

1. رفض نزع سلاح المقاومة: السلاح لدى فصائل المقاومة «سلاح شرعي ووطني» يُستخدم فقط ضد الاحتلال، ومقاومة الاحتلال مشروعة وفق ميثاق الأمم المتحدة.

2. الرؤية المشتركة لفصائل المقاومة: بأنّ من يجب أن يحكم القطاع هم الفلسطينيون أنفسهم وأن الحركة ترفض أي وصاية دولية على آليات إدارة الشأن الفلسطيني.

3. أن تشكيل لجنة الإسناد المجتمعي (لجنة التكنوقراط) التي تحكم المرحلة الانتقالية في قطاع غزة، هي مسؤولية وطنية فلسطينية جرى الاتفاق بشأنها من مختلف الفصائل، بأن تضم شخصيات مهنية موثوق بها ولا تتبع أي فصيل.

وهذه المواقف لفصائل المقاومة ستصطدم بما ورد في خطة ترامب، بشأن نزع سلاح حماس والمقاومة، وبشأن مجلس الوصاية الانتدابية الأمريكية (مجلس السلام) وحقها في تشكيل حكومة التكنوقراط، والاشراف على المناهج التعليمية في قطاع غزة، ما يعني أن المفاوض الفلسطيني سيخوض معركة صعبة، ولن يتنازل في مواجهة بند نزع سلاح المقاومة على نحو: أن الجانب الأمني في القطاع هو من اختصاص المقاومة وسلاحها بينما ينحصر دور لجنة التكنوقراط التي تحكم في الفترة الانتقالية، في تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية والإشراف على عملية إعادة الإعمار / وأن حركة حماس والفصائل مستعدة لإبرام هدنة تمتد من 5- 10 سنوات.

ما تقدم من تكتيكات تفاوضية للمقاومة، ينسف مسألة تدريب شرطة فلسطينية جديدة على أيدي بعض الدول العربية، لا سيما وأن الشرطة الفلسطينية عالية التدريب موجودة على الأرض، وينسف مسألة تشكيل مجلس الوصاية الانتدابية ومهامها، وينسف محاولة الدول الوسيطة والغربية تثبيت هذه الوصاية، عبر قرار يتم استصداره من مجلس الأمن.

من المنتصر ومن المهزوم ؟

إذا عقدنا مقارنة بين إنجازات المقاومة وإنجازات العدو في حرب السنتين، نجرؤ على القول بأن المقاومة لم تهزم، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار، أن ما يحدد صفة النصر أو الانكسار هو مدى تحقيق أي طرف للأهداف السياسية المتحققة له من الحرب، إذ لا يقاس مفهوم النصر أو الهزيمة بمقدار الخسائر التي ألحقها كل طرف بالطرف الآخر، بل يقاس بمدى تحقيق كل طرف لأهدافه السياسية المعلنة

فالعدو الصهيوني الذي فشل فشلاً ذريعاً، على مدى عامين في المواجهات البرية مع المقاومة جراء لجوئها للحرب غير المتناظرة (حرب العصابات) لتحييد ميزان القوى المختل بالمطلق لصالح العدو، وباستنادها لمعجزة الأنفاق، ولتماسك منظومة القيادة والسيطرة ولتكتيكات فصائل المقاومة، التي أوقعت بالعدو خسائر هائلة على الصعيد البشري وعلى صعيد المعدات. فالعدو عمد إلى التعويض عن فشله في الميدان، عبر استخدامه سلاح الجو والمدفعية لتدمير مباني ومؤسسات قطاع غزة الخدمية والصحية والتعليمية بدعم أمريكي وغربي، إذا أن ما يزيد عن (200) ألف طن من القذائف ألقيت على قطاع غزة في إطار حرب إبادة، ناهيك عن حرب التجويع، وقد أسفرت حرب الإبادة والتجويع عن إصابة واستشهاد حوالي 240 ألف فلسطيني.

لقد حدد العدو سلسلة أهداف لحربه على القطاع، لكنه فشل في تحقيق أي هدف منها، إذ إنه ورغم الخسائر البشرية والمادية في قطاع غزة، وغير المسبوقة في التاريخ، نجزم أن المقاومة انتصرت المقاومة في حرب السنتين، أو نتواضع قليلاً بالقول « إنها لم تهزم» من زاوية أنها أفشلت أهداف العدو، ولم تتنازل في المفاوضات عن أي من ثوابتها وهي: وقف العدوان / الانسحاب الكامل لقوات الاحتلال من قطاع غزة/ صفقة تبادل عادلة للأسرى/ ادخال المساعدات المطلوبة لقطاع غزة / إعادة إعمار القطاع.

إنجازات المقاومة

لقد حققت المقاومة الفلسطينية الباسلة في قطاع غزة حتى اللحظة، إنجازات كبيرة غير مسبوقة في تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني، رغم انقسام النظام العربي ما بين متآمر أو مقصر متخاذل.

1. ألحقت بالعدو خسائر بشرية ومادية هائلة لم تلحق بها في كافة الحروب السابقة وتمكنت من تحرير (5) آلاف من الأسرى الفلسطينيين من سجون الاحتلال خاصةً من ذوي الأحكام العالية والمؤبدة.

2. نقلت قضية تحرير فلسطين، من زاوية الإمكانية التاريخية إلى زاوية الإمكانية الواقعية وأعادت القضية الفلسطينية، إلى سلم أولويات المجتمع الدولي بقوة واقتدار.

3. أعادت الاعتبار للرواية العربية الفلسطينية في مختلف دول العالم وبخاصة في أوساط الرأي العام الغربي، ووجهت ضربة قاسية لمسار التطبيع مع العدو الصهيوني ولنهج التسوية المذل.

4. برهنت على أهمية وحدة الساحات في إطار محور المقاومة من زاوية إسناد مختلف الساحات للمقاومة الفلسطينية.

5. والتطور الأبرز: أنها أحدثت انزياحاً كبيراً جدا في الرأي العام العالمي والغربي على وجه الخصوص لصالح القضية الفلسطينية ،من خلال المظاهرات المليونية التي عمت ولا تزال تعم عواصم العالم وعواصم الدول الغربية على وجه الخصوص، والتي خلقت حالة من الانقسام بين الحكومات وشعوبها، وعبرت ولا تزال تعبر عن إدانتها للمحارق الصهيونية، وعن انحيازها للرواية العربية في فلسطين .

وأخيراً: الأهم من كل ما تقدم أن الكيان الصهيوني بات كياناً منبوذاً في العالم أجمع، وبات يواجه عزلة دولية غير مسبوقة منذ إنشائه الغاصب عام 1948، لدرجة أن الرئيس ترامب صرخ في وجه نتنياهو: أنك لا تستطيع مواجهة العالم أجمع.

على خطى الطوفان نحو تعزيز التضامن العالمي ومحاصرة السردية الصهيونية

د. وائل الزريعي ـ مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء

لم يكن ليصدر تصريح بلفور، الذي يتجاهل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، ويمنح ارض فلسطين للكيان الصهيوني، الا بعد تهيئة الرأي العام في اوروبا لتقبل مسخ جديد من صناعة الامبريالية ليكون (وطنا قوميا لليهود). لقد استخدمت القوى الامبريالية والحركة الصهيونية كافة الأدوات الدعائية، لخلق حالة من التعاطف والتضامن الغربي مع (اليهودي الضحية)، وحقه في العودة الى ارض الميعاد، حيث شكلت الثقافة اهم الأدوات الناعمة في تشكيل الوعي الجمعي في الغرب، وتم الاستعانة بكل اشكال التعبيد الثقافي وبناء الوعي الجمعي من ادب ومسرح وسينما، في خلق بيئة فكرية تضامنية، مع الرواية الصهيونية.

بعد النكبة استمرت الحركة الصهيونية في وضع المساحيق لتجميل الوجه البشع للاحتلال، وللمجازر المرتكبة ضد الشعب الفلسطيني، فأطلق على تهجير وقتل السكان الاصليين (حرب الاستقلال)، وتحولت العصابات التي ارتكبت المجازر ضد أصحاب الأرض الى (جيش الدفاع)، مع اصطدام الكيان بالوجود الفلسطيني وروح التضامن العربي السائدة في ذلك الوقت، كان لابد من استكمال صورة اليهودي الضحية المحاط بغابة من العرب تريد القاءه في البحر، وهو ما بثته الدعاية الصهيونية باحتراف للمواطن الغربي عبر كافة وسائل الاعلام والاتصال الممكنة. أدرك الكيان الصهيوني منذ البداية ان شريان حياته، ووجوده مرتبط بالدعم الغربي، ولكن هذا الدعم لا يمكن ان يستمر او يبرر دون العمل على تثبيت السردية الصهيونية. لقد بنت الحركة الصهيونية سرديتها الموجهة للغرب على عدة عناصر أهمها (عقدة الهولوكوست)، من خلال الاستثمار في عقدة الذنب لدى المواطن والسياسي الغربي بعد الحرب العالمية الثانية، كما هو الحال مع العديد من الدول الغربية، ولعل ابرزها المانيا، التي أصبحت عقدة الذنب ملازمة لها،

وعليها التكفير عنها بكافة الطرق المالية والدبلوماسية، لم ينسى الكيان لكي يحافظ على هذه الرواية بإنشاء ما يتجاوز المئة متحف عن الهولوكوست عبر العالم، كما عمل الكيان منذ قيامه على خلق تحالفات ولوبيات تروج لهذه السردية من خلال جماعات الضغط، وشراء الذمم في الاوساط السياسية والثقافية والاكاديمية الغربية لإنكار الحق الفلسطيني. وتحت شعار معاداة السامية كان يتم تحييد او محاصرة أي صوت يذكر العالم بجرائم الصهيونية. لقد تعرضت السردية الصهيونية للتصدع خلال الانتفاضة الاولى والثانية، حين اصطدم العالم بالصورة الحقيقية للاحتلال، ونقلت الشاشات عبر العالم (الجيش الأكثر أخلاقية في العالم) يواجه حجارة الأطفال بالرصاص الحي، فأصبحت صورة الطفل فارس عودة في مواجهة الدبابات، ومحمد الدرة وهو يلفظ انفاسه امام الكاميرات امثلة دامغة على الاجرام الصهيوني، ومع ذلك عمل الاحتلال، على محو اثار الجريمة بكافة الوسائل، واستعادت آلة البروباغندا الصهيونية زمام المبادرة بالعمل على إبقاء الصورة المرسومة في ذهن المواطن الغربي حول كون الكيان هو واحة الديموقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط. لقد اعتبر الكيان ان حرب السرديات وصورته في الغرب، احد ركائزه الاستراتيجية للبقاء، لذلك فان اسوء كوابيس الكيان الصهيوني هو هدم هذه الصورة، والعزلة الدولية.

رغم كل ذلك فان بعض المعاول التي واجهت السردية الصهيونية خرجت من داخل الكيان نفسه كالمؤرخ ايلان بابيه، وكذلك العديد من الأصوات اليهودية في الغرب، ولعل أبرزها المفكر نعوم تشومسكي. كما ان فشل مسار أوسلو بسبب امعان الكيان في التنكيل بالشعب الفلسطيني وقضم المزيد من الأرض زاد في تصدع صورة (الدولة الباحثة عن السلام مع جيرانها من العرب).

لكن ما حدث للسردية الصهيونية بعد السابع من أكتوبر كان الأهم، فمع كل قطرة دم سفكت في غزة، ومع كل بيت هدم وشجرة اقتلعت تهاوى جزء من السردية الصهيونية، وظهر الوجه الحقيقي لبشاعة الاحتلال للعالم، فقد شكل العدوان الهمجي على قطاع غزة بعد السابع من اكتوبر، نقطة تحول في المشهد الدولي، حيث أثارت جرائم الاحتلال موجة عارمة من التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني وأصبح للسردية الفلسطينية اذان تستمع، وعيون ترى ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من جرائم يندى لها جبين الانسانية. لقد أصبح المواطن في الغرب ينظر للقصة من منظور مختلف، ليعيد الطوفان رسم الصورة عن صراع غير متكافئ بين قوة احتلال مدعومة من قبل قوى عظمى، وشعب يخوض نضالا من أجل التحرر. اهم دوافع التضامن العالمي كان الدافع الأخلاقي والإنساني بسبب حجم الدمار والضحايا من المدنيين، خاصة الأطفال والنساء، فتحول التضامن مع فلسطين من تعاطف إنساني ، إلى حركة عالمية منظمة، تتخذ اشكال متعددة للتعبير عن مساندة الشعب الفلسطيني وحقه في الدفاع عن نفسه، وتستخدم أدوات العولمة من وسائل التواصل الاجتماعي للتعبير عن تضامنها، حيث لعبت هذه الادوات دور بارز ، في كسر الحجب الإعلامي وإيصال الصورة الحقيقية للعالم، وأصبحت منصات التواصل الاجتماعي ساحات لمعارك رقمية تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على السياسات الخارجية للدول.

خلال العدوان الأخير على قطاع غزة، حدثت صحوة تضامنية إنسانية مع الشعب الفلسطيني، حيث بلغ عدد المظاهرات ما يقرب من 48000 مظاهرة عبر العالم، وعرفت الفترة بين مايو وسبتمبر 2025، زيادة في الاحتجاجات المؤيدة لفلسطين بنسبة 43 بالمئة مقارنة بالخمسة أشهر التي سبقتها.

بالنسبة للرأي العام في الولايات المتحدة، والتي تعتبر الداعم الرئيسي لدولة الاحتلال، فقد أظهرت الاستطلاعات ان نسبة متزايدة من الأمريكيين (39%) تعتبر ان الكيان تجاوز الحدود في عملياته العسكرية. كما ان نسبة كبيرة من الجمهور الأمريكي أصبحت ممتعضة من حجم الدعم العسكري الأمريكي للكيان الصهيوني، ففي شهر سبتمبر من العام الحالي نظمت صحيفة نيويورك تايمز استطلاعا حول نسبة التأييد للفلسطينيين، المفاجأة كانت ان % 35 من الأمريكيين عبروا عن تعاطفهم مع الفلسطينيين، مقابل 34% مع الصهاينة، وهي المرة الأولى التي يتفوق فيها التعاطف مع الفلسطينيين منذ بدء الصحيفة في سؤال الناخبين عن تعاطفهم مع الشعب الفلسطيني منذ عام 1998 ، مما يمثل تحولاً جذريا مقارنة بالأشهر الأولى للحرب، حيث كنت نسبة تأييد الفلسطينيين لا تتجاوز% 20. على مستوى الطبقة السياسية شهد الحزب الديمقراطي انقساما حادا حول دعم الكيان الصهيوني، وبرز جناحه اليساري كقوة معارضة للسياسات الصهيونية، خاصة بين الشباب وطلاب الجامعات، اما الحزب الجمهوري فشهد انقسامات في قاعدته الانتخابية، وبدأ جزء من مؤيدي ترامب يتساءل عن صحة مبدأ الدعم المطلق للكيان في ضوء الاتهامات بالإبادة الجماعية، وهي الازمة التي دفعت دونالد ترامب لتحذير حكومة الكيان الصهيوني من العزلة الدولية المتنامية، فالإدارة الأمريكية لا ترى هذه العزلة مجرد رد فعل عاطفي، بل انها قد تترجم إلى ضغوط ومتغيرات استراتيجية ملموسة، بما يتعارض مع المصالح الامريكية. اما في أوروبا فقد أحدثت الجرائم الصهيونية تحولات كبيرة في الرأي العام كان لها انعكاسات على سياسات الدول، ولعل ابرز مظاهر الحراك الجماهيري في أوروبا المظاهرات الحاشدة في لندن وباريس وبرلين تأييدا للحق الفلسطيني. هذا التحول في الرأي العام الاوروبي اكدته العديد من الاستطلاعات، ففي استطلاع لاحد مراكز سبر الآراء، في أبريل 2024 اتضح ان أكثر من نصف الأشخاص في سن التصويت في بلجيكا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والسويد يريدون حظر تجارة الأسلحة مع الكيان الصهيوني، وتجاوزت النسبة 60 بالمئة في إيطاليا وبلجيكا. كما أظهرت استطلاعات أخرى في يونيو 2025، الى وصول التأييد للكيان الصهيوني لأدنى مستوياته منذ عام 2016 في المانيا، وفرنسا والدنمارك بنسبة غير مسبوقة.

لقد انعكست هذه التحولات الشعبية على السياسات الرسمية للدول الاوروبية، حيث بدأت البرلمانات في تبني مواقف اكثر توازنا ، مع فرض عقوبات على المستوطنين في الضفة الغربية، كما اعلن الاتحاد الاوروبي في مايو من العام الحالي عن فرض عقوبات ضد المستوطنين، مع دعوات بإعادة النظر في اتفاقيات الشراكة مع الكيان الصهيوني، وشهدت حركة المقاطعة الاقتصادية زخماً غير مسبوق كأحد اشكال عزل الكيان وداعميه، لتتوسع حملات مقاطعة الشركات الداعمة للكيان لتشمل سلاسل عالمية كبرى، مما تسبب لها في خسائر اقتصادية هامة، وامتدت المقاطعة إلى المجال الأكاديمي والثقافي، فقاطعت جامعات ومؤسسات أكاديمية غربية عديدة الشراكات مع الجامعات الصهيونية، فيما يشبه مقاطعة

نظام الفصل العنصري السابق في جنوب افريقيا. جميع هذه المعطيات تشير بشكل او باخر لحجم التضرر الذي مس صورة الكيان الصهيوني، فرغم تعمد الاحتلال منع الاعلام الغربي من دخول القطاع خلال العدوان، فان الدماء المسفوكة في غزة، وصرخات الجوعى التي نقلتها وسائل الاعلام غير التقليدي قد لطخت صورته الى الابد.

كيف يواجه الاحتلال الصهيوني طوفان التضامن العالمي

لقد أسهمت حركة التضامن العالمية في تعزيز السردية الفلسطينية من خلال كسر العزلة الإعلامية عنها، وخلق رأي عام ضاغط على الطبقة السياسية في الغرب ، واضعاف الشرعية الأخلاقية للكيان الصهيوني، فلعبت حملات التضامن دور كبير، في فضح الطبيعة الاستعمارية للاحتلال، وكشفت زيف ادعاء (الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط)، كل ذلك ساهم في اعادة القضية الفلسطينية إلى واجهة الأحداث العالمية لتتصدر قائمة أعدل القضايا الإنسانية، لكن على الرغم من ذلك فما زال الاحتلال يمتلك بعض الاوراق التي تعيق عزله بشكل كامل، وأولها استمرار دعم الولايا ت المتحدة الامريكية والدول الاوروبية، كذلك ازدواج المعايير الأخلاقية مما يسمح للكيان بالإفلات من القانون الدولي، ويضاف الى ذلك التهمة الجاهزة بمعاداة السامية والتي يتم استخدامها في مواجهة كل من ينتقد جرائم الاحتلال.

لكن هذا لا يعني عدم استشعار الكيان لحجم التحول في الرأي العام العالمي وانعكاساته المستقبلية، ومن بوادر التحرك لمواجهة تصدع السردية الصهيونية بذل الكيان الصهيوني لجهود مكثفة لمواجهة حملات التضامن الرقمي مع الشعب الفلسطيني والتنديد بجرائم الاحتلال، حيث عقدت عدة لقاءات مع مؤثرين مؤيدين للكيان الصهيوني لإطلاق حملات على وسائل التواصل الاجتماعي باستخدام حسابات عدة للدفاع عن صورة الاحتلال، ومحاولة تشويه صورة المقاومة. وهو ما صرح به رئيس وزراء الاحتلال مخاطبا المؤثرين على وسائل التواصل الاجتماعي (استخدموا اسلحتكم) مما يؤكد على أهمية حرب السرديات للكيان الصهيوني، فبالإضافة للتكتيكات الرقمية التي تم اتباعها، خلال العدوان الأخير على قطاع غزة من حجب للمحتوى الداعم للقضية الفلسطينية، واغلاق حسابات النشطاء، واستخدام الخوارزميات بتواطؤ من الشركات المالكة للمنصات، علينا ان نتوقع مستقبلا ان تصبح اغلب منصات التواصل الاجتماعي ساحات رقمية لترويج السردية الصهيونية حصرا.

على صعد أخرى اعتمد الكيان الصهيوني عدة تكتيكات واستراتيجيات، ومنها تعزيز التحالفات الدولية وتوظيف العلاقة الاستثنائية مع الولايات المتحدة لدعم موقفه في المحافل الدولية، الإسراع في بناء تحالفات إقليمية من خلال الاتفاقيات الابراهيمية، والتركيز على الدول الاوروبية الملتزمة بموقفها من الكيان لتعديل المواقف في الاتحاد الاوروبي، كما يتم العمل على بناء حملة علاقات عامة دولية تصور ما حدث من جرائم بعد السابع من أكتوبر على انها حالة دفاع شرعي عن النفس في مواجهة العدو، بتوظيف لغة قانونية كالدفاع المشروع، وابراز الكيان الصهيوني في صورة الضحية التي تتعرض للهجمات والصواريخ من قطاع غزة. كل ذلك يتم من خلال بنية تحتية إعلامية ومراكز متخصصة للعلاقات العامة وبالتعاقد مع شركات متخصصة دولية ، في ظل وجود العديد من شبكات الدعم عبر المنظمات اليهودية لتعبئة التجمعات اليهودية في العالم دفاعا عن حق الكيان في الوجود. على صعيد المواجهة مع المقاطعة الاكاديمية والثقافية يتبنى الكيان تكتيكات لتعزيز التبادل الأكاديمي

عبر دعوة الباحثين والطلاب لزيارة الجامعات الصهيونية، وإطلاق العديد من المؤتمرات العلمية في الجامعات. رغم ذلك فان هذه الاستراتيجيات وحملة العلاقات العامة تصطدم بما هو متداول من جرائم عبر منصات التواصل الاجتماعي، وهو ما يعطي أولوية للتوثيق قبل ان يتم حذف معظم المواد المنشورة وغسل الأدلة الرقمية للإبادة بتواطؤ من شركات التكنولوجيا والتي يهيمن عليها، وعلى ادارتها ضباط سابقين في جيش الاحتلال.

إعادة صياغة السردية الفلسطينية

منذ النكبة افتقرت السردية الفلسطينية في المواجهة مع الاحتلال لاستراتيجية واضحة، وموحدة وطويلة الأمد، فكانت الرواية الفلسطينية دوما في خانة الدفاع في محاولة لدحض الادعاءات الصهيونية بدلا من سرد القصة على لسان الضحية، بحيث تحمل خطاب واضح المطالب للعالم يعبر عن الحقوق الوطنية الفلسطينية الغير قابلة للتصرف.

ان إعادة بناء السردية الفلسطينية وصياغتها يمثل ضرورة استراتيجية في المواجهة مع الكيان الصهيوني،

مما يتطلب ترسيخ رواية وطنية موحدة، تعرض قصة فلسطينية متماسكة للعالم بعيدا عن التفتت الحالي. يجب ان تستفيد السردية الفلسطينية من نمو حركة التضامن العالمية، لإعادة رسم الصورة الانسانية للقضية الفلسطينية، والتركيز على بعدها الإنساني، مما يستلزم تطوير خطاب فلسطيني جديد يركز على فضح الإبادة الجماعية وجرائم الحرب وانتهاك القانون الدولي الإنساني. لتتحول السردية من خطاب سياسي تقليدي إلى خطاب قائم على الحقوق والقانون الدولي، بما يضع الكيان الصهيوني في موقف المدان دوليا ويفتح الباب لمحاكمته. فعلى الصعيد القانوني يمكن الاستفادة من الآليات القانونية والدولية، والارتكاز على القانون الدولي لمتابعة الاحتلال على جرائمه، وتحقيق المساءلة الدولية. لتحقيق ذلك هناك ضرورة لدعم وتمويل المنظمات الحقوقية الدولية والفلسطينية التي تقدم الأدلة للمحاكم الدولية. واللجوء للمحاكم الدولية المتخصصة في الاشكال المختلفة للإبادة كالإبادة البيئية والثقافية. يمكن أيضا للمحاكم الشعبية الدولية ان تلعب دور مهم، في تأجيج الرأي العام الدولي، والاستمرار في فرض حالة من العزلة على الكيان وداعميه.

و نظرا لأهمية وسائل التواصل الاجتماعي، في عرض القصة من منظور فلسطيني ، فهناك ضرورة لتعزيز المقاومة الرقمية ، مما يتطلب تعزيز القدرات الرقمية للنشطاء لمواجهة التضليل الممنهج للاحتلال، والعمل على نقل المعاناة الإنسانية بشكل فوري ومباشر، وحشد الرأي العام عبر هاشتاغات وحملات عالمية، وتطبيق تكتيكات فعالة لتعزيز السردية الفلسطينية، كتوثيق الانتهاكات، والاستمرار في رفع الصوت عبر أكبر عدد ممكن من المنصات، باستخدام أدوات التواصل المرئي لنقل المعلومات عن الاوضاع في فلسطين تحت الاحتلال، وبناء تحالفات مع مؤثرين ونشطاء عالميين لنقل الصورة. كما يعد توثيق الجرائم أولوية في فضح الرواية الصهيونية، على ان يتم ذلك بشكل منهجي ومحترف لتوفير أدلة دامغة للمحاكم الدولية، وفي الوقت نفسه كشف وحشية الاحتلال للرأي العام العالمي عبر وسائل الإعلام التقليدية ووسائل التواصل الاجتماعي، مما يغذي حركات التضامن ويوسعها. أيضا هناك ضرورة لبناء مؤسسي يتبنى نشر السردية الفلسطينية ويعمل على عزل الكيان الصهيوني في كافة المحافل من خلال بناء تحالفات مع مكونات المجتمع المدني في العالم، والحركات الطلابية والهيئات الثقافية والاكاديمية بما يعزل الكيان الصهيوني ويفقده شرعيته الدولية.

هذه الآليات ليست منفصلة، بل هي متكاملة وتعزز بعضها البعض. فالنجاح في الساحة القانونية يعزز حملات المقاطعة، وحملات المقاطعة تزيد من العزلة الدولية للكيان الصهيوني، مما يسهل تحقيق انتصارات قانونية جديدة.

في النهاية الأكيد المقاومة الفلسطينية قد نجحت في تحقيق أحد أهدافها الاستراتيجية، وهي عزل الكيان وفضحه امام الرأي العام العالمي، فما حدث منذ السابع من أكتوبر قد غير العالم، وكما زلزلت اقدام المقاومين اركان الكيان يوم العبور، فان تضحيات وصمود الحاضنة الشعبية في قطاع غزة قد احدثت تحولا عميقا في الوعي الغربي، تجلى في تغير موازين التعاطف الدولي خاصة في الغرب، ومهد الطريق لانتصار الرواية الفلسطينية. ما حدث منذ السابع من أكتوبر قد أحدث تغيرا بنيويا في التصورات العالمية لما يحدث في فلسطين. تغيرا لم يكن ليحدث الا بسبب التدفق الهائل للمعلومات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وما احدثه من تغير في مواقف الشباب والنخب السياسية في الغرب، والذي من تجلياته الاعترافات المتتالية بدولة فلسطين، ومراجعة اتفاقيات التعاون مع الكيان الصهيوني، والضغوط لوقف الدعم العسكري، لكن رغم ذلك تبقى التحديات قائمة لمجابهة النفوذ الصهيوني عبر العالم، فلا تزال الفجوة واسعة بين الرأي العام والمواقف الرسمية للعديد من الدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة. كما أن استمرار الدعم الأمريكي الرسمي للكيان الصهيوني يشير إلى أن الطريق مازال طويلا قبل أن تترجم تحولات الرأي العام إلى تغيير جذري في السياسات الدولية.

هذه التحولات في السياسة الدولية تبقى مرهونة بقدرة الفلسطينيين وداعميهم من احرار العالم على بناء استراتيجية واضحة، وطويلة الأمد لنشر السردية الفلسطينية، والاستفادة من حالة التضامن العالمي لعزل الكيان الصهيوني ومحاصرة سرديته في كل مكان.

السلام الذي تصنعه «الأسلحة التي لم يحلم بها أحد»!!

محمد العبد الله ـ كاتب وباحث سياسي فلسطيني ـ سورية

«قاوم ولو بعصا، قاوم ولو بحجر، بكلمة إن لم يكن برصاصة».

القائد المشتبك، الشهيد يحيى السنوار

«لن نقضي على الإمبريالية بازدرائها. ولكن بالنسبة لنا، فإن أفضل أو أسوأ صرخة ضد الإمبريالية، مهما كان شكلها، هي حمل السلاح والقتال».

أميلكار كابرال (1924-1973م)

قائد ثوري لحركة التحرر من الاستعمار البرتغالي في غينيا بيساو والرأس الأخضر.

مدخل

جاء خطاب ترامب في جلسة «الكنيست» في الثالث عشر من أكتوبر / تشرين الأول 2025 في سياق الموقف الأمريكي / الغربي / الاستعماري، الذي تعرفه شعوب المنطقة، خاصة، أبناء الشعب الفلسطيني. لكن اللافت، أن التركيز على عنصري «القوة والسلاح» من أجل تحقيق «السلام» وبزوغ «فجر تاريخي لمستقبل شرق أوسط جديد» كانا عبر التلويح باستخدام «أسلحة لم يحلم بها أحد، مع الأمل بأن لا نضطر لاستخدامها»، وليس من خلال الحوار بين الشعوب، أو العلاقات/ التفاهمات السياسية. مضيفاً: «إن واشنطن زوّدت «إسرائيل» بكل هذه الأسلحة لتتمتع بالقوة الكافية لتحقيق السلام، وأن نتنياهو كان يتصل بي مراراً ويطالب بشتى أنواع الأسلحة، وبعضها لم أكن أعرفه، لكنني أرسلتها لهم، وقد أحسنوا استخدامها» بدون أية مراعاة لقادة عدد من الدول العربية والإسلامية الذين كانوا يُشددون في أحاديثهم، ومواقفهم «اللفظية» على ضرورة «وقف قتل المدنيين»، أولئك الذين انتظروا وصوله لعدة ساعات في «شرم الشيخ» لسماع قراره «وقف إطلاق النار» في غزة.

المال والسلاح الأمريكي والإبادة

لعب السلاح الأمريكي بمختلف أنواعه الدور الأكبر في كل ما تعرض له قطاع غزة منذ 8 أكتوبر/ تشرين الأول2023 وحتى الآن. فقد أسقطت قوات جيش الغزاة الصهاينة على تلك المساحة الصغيرة 356 كيلو متر مربع أكثر من 200 ألف طن من المتفجرات، ما يعادل في كمية المتفجرات 13 قنبلة نووية من التي ألقيت على هيروشيما، أدت لاستشهاد 68 ألفاً، وحوالي 170 ألفاً من المواطنين معظمهم من الأطفال والنساء، بالإضافة لأكثر من 10 آلاف مازالوا في عداد المفقودين، يُضاف لهم 465 فقدوا حياتهم بسبب حرب التجويع، بينهم 157 طفلاً.

إن مراجعة التقارير الصحافية والإعلانات الأمريكية تكشف الدعم الأمريكي العسكري. فمنذ اليوم الأول للإبادة وحتى 27 / 3 / 2025 حطت في الكيان 800 طائرة ورست 140 سفينة محملة بأسلحة أمريكية لدعم «إسرائيل» (القاموس اللغوي للإبادة الجماعية- دراسة «أنمار رفيدي ووسام رفيدي» – مجلة الجنوب صيف 2025).

وقدرت دراسة جديدة نشرتها جامعة براون، يوم الثلاثاء السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2025، ضمن مشروع «ثمن الحرب» (Costs of war) الدّعم الأمريكي للكيان الصهيوني منذ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023 (أي خلال سنتَيْن) بنحو 34 مليار دولار، منها 21,7 مليار دولار من المساعدات العسكرية المباشرة، أو ما يُعادل حوالي 3400 دولار على الحرب والأنشطة العسكرية لكل مُستعمر في فلسطين المحتلة منذ العدوان القاتل والمُدَمِّر على فلسطينيِّي غزة، أي: «إن أسرة صهيونية من أربعة أفراد تتلقى دعمًا شهريًا قدره 577 دولارًا أمريكيًا، من دافعي الضرائب الأمريكيين، منذ عامين»، وفق التقرير. (اقتباس من مقال «فلسطين - تواطؤ «غربي وعربي في الإبادة» الباحث الطاهر المعز).

قام السلاح الأمريكي «الناري والبيولوجي» تاريخياً، بدور واضح وفاضح بذات الوقت، في القتل الجماعي. ومع وصول المستعمرين البيض لأمريكا الشمالية، بدأت عمليات الإبادة المنهجية للسكان الأصليين بالنار والذبح، واستخدام فيروس الجدري كسلاح بيولوجي لقتلهم. وأبرز حالة موثقة تاريخياً وقعت خلال القرن الثامن عشر. في يوليو 1763، اقترح الجنرال البريطاني جيفري أمهيرست، في رسائل إلى الكولونيل هنري بوكيه «ألا يمكن التفكير في وسيلة لإرسال الجدري إلى تلك القبائل؟ يجب علينا استخدام كل حيلة ممكنة لتقليص عددهم». وتنفيذاً للخطة، تم توزيع البطانيات الملوثة بفيروس بالجدري على السكان الأصليين الذين يحاصرون حصن بيت من أجل إبادتهم.

في أثناء العدوان الأمريكي الوحشي على فيتنام الذي استمر من أوائل نوفمبر/ تشرين الثاني 1955 إلى 30 أبريل/ نيسان 1975. استخدم الجيش الأمريكي كل ما في ترسانته التدميرية، ومن ضمنها الأسلحة الكيميائية والبيولوجية، كالمادة السامة BZ، و «العامل البرتقالي» من برنامج «الحرب السامة / عملية رانش هاند» الذي قامت برشه الطائرات الأمريكية فوق الغابات ومناطق الاكتظاظ السكاني.

كما استخدم جيش الاحتلال الأمريكي في العراق «الفوسفور الأبيض» خلال الهجوم على مدينة الفلوجة في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام 2004. وقد وصف أحد الجنود الأمريكيين المشاركين في الهجوم على «الفلوجة»، الفسفور الأبيض وأثره على المواطنين من أهالي المدينة، بالقول «الفسفور الأبيض يحرق الأجساد، بل في الواقع، يذيب اللحم حتى ينكشف العظم. رأيت جثثاً محترقة لنساء وأطفال. والفسفور ينفجر ويولد سحابة من الدخان فوق المكان». وقد استخدم جيش «المستعمرة/ الثكنة» الصهيوني، الفسفور الأبيض في حروبه المتكررة على قطاع غزة، وهو ما ظهر بشكل واضح ضد المدنيين أواخر عام 2008 وأوائل عام 2009 التي أطلق عليها العدو اسم «الرصاص المصبوب»، بينما أسبغت عليها المقاومة الفلسطينية اسم «عملية الفرقان». وقد نتج عن هذا العدوان الإجرامي سقوط أكثر من 1430 شهيداً فلسطينياً، منهم أكثر من 400 طفل و240 امرأة و134 شرطياً، إضافة إلى أكثر من 5400 جريح. ودمرت أكثر من 10 آلاف منزل دماراً كلياً أو جزئياً.

صناعة السلام على الطريقة الأمريكية

يأتي السلام على مر التاريخ الإنساني حسب الوصفة الاستعمارية الغربية بمختلف أسماء دولها «فرنسا، إنجلترا، إيطاليا، ألمانيا، إسبانيا، البرتغال، وبلجيكا» وفي شكلها الأمريكي، راهناً، محمولاً على السلاح، الأبيض والناري والبيولوجي. وهذا «توماس جيفرسون» الملقب برسول الحرية الأمريكية وكاتب وثيقة استقلالها، يأمر وزير دفاعه بأن يواجه الهنود الذين يواجهون التوسع الأمريكي بالبلطة وأن لا يضع هذه البلطة حتى يفنيهم فقال له: «نعم إنهم قد يقتلون أفراداً منَّا، ولكننا سنفنيهم ونمحو آثارهم من الأرض».

لكن «وليم برادفورد» حاكم مستعمرة «بليموث» لأكثر من 30 عامًا في القرن السابع عشر، وجد تبريراً آخر لإبادة أصحاب الأرض الأصليين قائلاً: «إن نشر هذه الأوبئة بين الهنود عمل يدخل السرور والبهجة على قلب الله، ويفرحه أن تزور هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم الأمراض والموت، وهكذا يموت 950 هندياً من كل ألف، وينتن بعضهم فوق الأرض دون أن يجد من يدفنه إنه على المؤمنين أن يشكروا الله على فضله هذا ونعمته». وهكذا، نحن أمام أفكار تحاول تغليف «الاستعمار الاستبدالي» كما شرحه الكاتب والمفكر الفرنسي «جاك بوس»، بالتضليل، والكذب، بأنها «تُفرح الله»!، وهذا ما يُعاد إنتاجه منذ أكثر من قرن من الزمن على ألسنة حاخامات ورجال دين في تبرير إبادة الشعب الفلسطيني.

خاتمة

في الخطاب « الأكثر جنوناً « كما وصفته «آنا بارسكي» المراسلة السياسية لصحيفة «معاريف»، يفتخر ترامب بأن «إسرائيل» استخدمت سلاحنا على نحو جيد»، ومقياس الجودة الذي اعتمده ترامب كما غيره من الرؤساء الأمريكيين، والمؤسسين للمستعمرة العنصرية البيضاء، هي نتائج استخدام هذا السلاح في المذابح / الحروب الاستعمارية. لقد استخدم هذا السلاح – ومازال – في تحويل أجساد أطفال ونساء ورجال غزة إلى أشلاء متناثرة، وقامت صواريخ الطائرات، مع قذائف المدفعية والدبابات بتدمير واسع «أرض محروقة"، وشطب أسماء آلاف العائلات من السجل المدني. هكذا يفهم التوحش الاستعماري «جودة السلاح «.

لكن ما لا يجرؤ على الاعتراف به قادة حروب الإبادة، أن هذا التدمير وتلك المذابح لم تحققا «نصراً» لهم، على من أسماهم ترامب وقادة المستعمرين «الإرهابيين». إن كيان الإرهاب «الدولة المارقة» الأكثر عدوانية وإرهاباً، فشل، - بالتدمير والاقتلاع والمذابح- ومعه تحالف حكومات الهيمنة والتوسع، في تحقيق أهداف العدوان على قطاع غزة، واضطر الجميع للذهاب لطاولة التفاوض، أمام صمود وثبات الشعب، وبسالة المقاومة التي جعلت جيش المستعمرة، وتجمع المستوطنين داخلها يدفع «ثمناً باهظاً ومؤلماً: عامان من الحرب، ومئات القتلى، وآلاف الجرحى، وعشرات الآلاف الذين يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة» كما كتبت «آنا بارسكي» في صحيفة «معاريف»، مضافاً لذلك، الانهيار في عدة قطاعات اقتصادية، والهجرة المعاكسة، ونزع الشرعية الحقوقية والأخلاقية والسياسية، عالمياً، كما تتحقق في الجامعات وشوارع وميادين المدن ، ومدرجات الملاعب، وقاعات الاحتفالات.

معضلة نتنياهو:
اقتلاع الفلسطينيين والحسم على صعيد الوعي

إبراهيم أبو ليل - كاتب وباحث سياسي فلسطيني- سورية

بعد عامين من العدوان على قطاع غزة وجرائم الإبادة ضد الشعب الفلسطيني، يخفق الاحتلال الإسرائيلي في تحقيق الأهداف التي أعلنها رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو: «استعادة الأسرى والقضاء على المقاومة». ومنذ أشهر ونتنياهو يعمل لنثر ستار دخان من الوعود العابثة؛ عن تحقيق أهدافه التي يتحدث عنها تحت شعاراته الجوفاء مثل «النصر المطلق»، مع تكرار بيانات «الكابينيت» الإسرائيلي والتصريحات التي يدلي بها نتنياهو، لعبارة أن «إسرائيل في مرحلة الحسم النهائي في قطاع غزة»، بدأ يتضح الهدف الحقيقي للحرب الأكثر رعباً في حياة الإسرائيليين، مع إقرار أبواق اليمين الإسرائيلي المتطرّف بأن الحسم الأكثر أهمية من الحسم في ميدان القتال، هو على صعيد الوعي الذي يتخذ في العقل الفلسطيني معنىً وجودياً، وأن الحسم مع الفلسطينيين يتم عبر اقتلاعهم من أرضهم.

يسابق نتنياهو الزمن في ظل الصراخ الذي يعلو في الجبهة الداخلية الإسرائيلية، واحتجاجات عائلات الأسرى وخوفهم على أبنائهم من أن يفقدوا حياتهم، إلا أنه يحظى بالتصفيق والهتافات من قاعدته السياسية والتيار الصهيوني المتطرف في الحكومة الإسرائيلية، على خلفية الجرائم التي يرتكبها بحق الفلسطينيين في قطاع غزة، حيث تحولت الحرب تدريجياً إلى نوع من التحدي الوجودي بالنسبة لهم، وهذا التحدي هو فكرة راسخة في الوعي الفلسطيني وتنبع منه كل أشكال المقاومة. وبموجب المستشار الإستراتيجي الإسرائيلي بوعز ليبرمان وحديثه الذي أكده لموقع «القناة 7 الإسرائيلية» اليميني المتطرّف بتاريخ (2025/8/18)، فإن غزة قبل أن تكون ساحة معركة عسكريّة هي ساحة معركة فكريّة. ولهذا أمر نتنياهو الجيش الإسرائيلي بـ «هدم مدينة غزة واقتلاعها من جذورها»، وذلك وفقاً للخطة المختصرة التي اقترحها وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير، لتحويل غزة بأكملها إلى «غنيمة عقارية»، وفقاً للخطة الشاملة التي اقترحها وزير المالية وزعيم تيار الصهيونية الدينية بتسلئيل سموتريتش". إذ كشف النقاب عن المصالح التي تختبئ خلف جرائم الإبادة والخطط العسكرية العدوانية: عربات جدعون الأولى، وبعدها عربات جدعون الثانية، ولاحقاً ربما الثالثة، هي أسماء رمزية عسكرية لإعداد منطقة غزة لتكون «واحة عقارية».

إن مجرد الإعلان عن الخطة، وأن وزيراً مؤثراً في الحكومة الإسرائيلية يعرضها كـ «خطة تجارية»، ويتم نقاشها مع الإدارة الأمريكية، يدل على الفجوة بين تصريحات رسمية لنتنياهو الذي يحاول نسج وعود فارغة حول استعادة الأسرى وإنهاء المقاومة، وبين التطلعات الاستعمارية – الاقتصادية التي تسود في الغرف المغلقة. ويأتي ذلك في سياق التنفيذ العملي للمخططات الصهيونية العنصرية، من أجل فرض الحلول السياسية للقضية الفلسطينية وفق التصورات الصهيونية. وقد كانت هذه الحلول موضع نقاش وبحث في مراكز الأبحاث الإسرائيلية، منذ عام 2000 عندما شرعت النخب والقيادات الإسرائيلية بالحديث عن التحدي الديمغرافي وما اعتبرته «خطر القنبلة الديمغرافية» الذي يهدد مستقبل الوجود الصهيوني في فلسطين. ويتجلى تنفيذ تلك المخططات من خلال التوغل الاستيطاني الذي يحاصر الضفة الغربية ويقطّع أوصالها، وعزل مدينة القدس المحتلة عن باقي مدن الضفة وتهويدها بالكامل، للحيلولة دون قيام أي كيانية فلسطينية فيها، إضافة إلى التخلص من قطاع غزة الذي يشكل معضلة حقيقية للقيادة الإسرائيلية، وعقبة كأداء أمام المخططات الصهيونية التي تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية. وقد كشفت صحيفة «إسرائيل اليوم» المقرّبة من نتنياهو الأهداف الحقيقية لحرب الإبادة، عندما تحدّثت عن خطّة التهجير هذه، وكتبت إن نتنياهو يريد «تنحيف» قطاع غزّة سكّانياً بتهجير أكبر عدد من الفلسطينيين منه. وطرحت الصحيفة سيناريوهات إضافية للتهجير عبر معبر رفح، مثل تهجير السكّان على متن السفن كما جرى للفلسطينيين من سكّان المدن الفلسطينية في نكبة عام 1948.

هذا النمط من التفكير لدى الإسرائيليين ليس جديداً، بل كان تفكيراً جوهرياً لدى آباء الحركة الصهيونية من أجل إنشاء دولة يهودية قابلة للحياة، وبعد إنشائها كان إقناع العرب، من خلال بناء «جدار حديدي» عسكري لن يتمكنوا من إخضاعه، بالموافقة على إقامة دولة يهودية وإنهاء الصراع. ذلك أن فكرة اقتلاع الفلسطينيين وتهجيرهم قسراً إلى خارج أراضيهم، هي متأصلة في الحركة الصهيونية وفي تفكيرها، كما في ممارساتها الميدانية. وقد تحولت هذه الفكرة إلى برنامج علني ورسمي، جرى طرحه في الائتلاف الحاكم الذي تزعمه أريئيل شارون عام 2001، ما أضفى شرعية علنية على هذا الموضوع. وقد تبنى هذا البرنامج علناً أحد رموز التيار الديني الوزير المقتول رحبعام زئيفي الذي تمت تصفيته على أيدي مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. غير أنّ زئيفي نفسه أكد أنه استقى فكرة التهجير من آباء الحركة الصهيونية. ففي واحد من مقالاته الكثيرة في هذا الشأن، وهو بعنوان «الترحيل من أجل السلام» والذي نشره في صحيفة «هآرتس» في 17 آب/أغسطس 1988 كتب قائلاً: «صحيح أنني أؤيد ترحيل عرب الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الدول العربية، لكنني لا أملك حق ابتكار هذه الفكرة، لأنني أخذتها من أساتذة الحركة الصهيونية وقادتها، مثل ديفيد بن غوريون الذي قال من جملة أمور أخرى: إن أي تشكيك من جانبنا في ضرورة ترحيل كهذا، وأي شك عندنا في إمكان تحقيقه، وأي تردّد من قبلنا في صوابه، قد يجعلنا نخسر فرصة تاريخية».

وفي الحقيقة، لقد أخفق قادة الاحتلال الإسرائيلي في كسر الإرادة الفلسطينية، ولم يتمكن الجيش الإسرائيلي من التغلب على الوعي الفلسطيني اعتماداً على مفهوم «الجدار الحديدي» الذي طرحه اليهودي المتطرف فلاديمير جابوتنسكي في عشرينيات القرن العشرين، واستند عليه ديفيد بن غوريون الذي كتب وثيقة نظرية لما يسمى «الأمن القومي الإسرائيلي» عام 1953، وهي بمثابة تقييم إستراتيجي لعمل الجيش الإسرائيلي، دون الأخذ بعين الاعتبار العوامل التاريخية التي تجعل من الفلسطيني عصياً على الاقتلاع، ويكون هو الغالب على صعيد الوعي الذي يتحول إلى مقاومة ضد محاولات النفي والاقتلاع. في حين أن الكيان الصهيوني دفع في تاريخه ثمناً باهظاً لالتزامه بمفهوم أمني يقوم على «الردع والحسم» لم يصمد أمام الاختبار في الصراع مع المقاومة، وهو بحسب قادة الاحتلال والنخب والمفكرين الإسرائيليين، أمر خطير ويهدد مستقبلهم الوجودي. ويرى البعض أن ظاهرة مزقتها الحرب مثل الكيان الصهيوني لا تملك بعد عقيدة أمنية محدثة لها عواقب سلبية كبيرة، أولاً وقبل كل شيء الافتقار إلى «البوصلة الأمنية» التي يمكن لصناع القرار من خلالها صياغة قراراتهم.

من خلال كل ما هو معروف، وما أظهرته الحرب الحالية في قطاع غزة، يتضح أن الإخفاقات التي أصيب بها الجيش الإسرائيلي وقادته في معركة البقاء؛ التي يخوضها الشعب الفلسطيني على أرضه طيلة عقود الاحتلال، هي نفسها ما زالت قائمة، وقد أضيفت إليها إخفاقات جديدة منذ السابع من أكتوبر 2023.

معركة طوفان الأقصى
في ميزان الصراع الوجودي مع المشروع الصهيوني

نعيم إبراهيم - كاتب وإعلامي فلسطيني - سورية

هل طوت معركة طوفان الأقصى ملف الصراع الوجودي مع المشروع الصهيوني في فلسطين؟ هل انتهت الحرب الصهيونية العدوانية في غزة؟ ماذا بعد طوفان الأقصى؟ ما التداعيات المستقبلية على صعيد المقاومة الفلسطينية والكيان الصهيوني؟ ما الترتيبات ما بعد الحرب في قطاع غزة، ضمن تحركات تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وتشارك فيها دول عدة؟ بعد وقف الحرب، هل من أثمان سياسية للمرحلة المقبلة؟ هل يجب العودة إلى العباءة العربية سياسيا وإعادة انتاج الشرعية السياسية والكف عن القول باستقلال القرار الفلسطيني؟ وبمعنى أشمل ماذا عن مستقبل المشروع الوطني الفلسطيني والمشروع الصهيوني على أرض فلسطين التاريخية؟ أسئلة طفت على السطح منذ الإعلان عن وقف إطلاق النار في غزة واستئناف عملية تبادل الأسرى، لا تحتاج إلى كبير عناء في البحث عن أجوبة لها.

لا بد من تنشيط الذاكرة عبر الاشارة الى أن طوفان الأقصى عملية شنتها المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة ضد الاحتلال الصهيوني فجر يوم السبت 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، وشملت هجوما بريا وبحريا وجويا وتسللا للمقاومين إلى عدة مستوطنات صهيونية في غلاف غزة.

أعلن عن العملية محمد الضيف، قائد الأركان في كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة (حماس)، واعتُبرت أكبر هجوم على الاحتلال منذ عقود. وتسلل المقاومون الفلسطينيون إلى مستوطنات غلاف غزة عبر السياج الحدودي وعبر وحدات الضفادع البشرية من البحر، إضافة إلى مظليين من فوج «الصقر» التابع لكتائب القسام.

وقال الضيف، في رسالة صوتية مسجلة فجر يوم السبت الموافق السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023 «نعلن بدء عملية طوفان الأقصى بضربة أولى استهدفت مواقع ومطارات وتحصينات عسكرية للعدو. وأضاف أن هذه الضربة الأولى تجاوزت 5 آلاف صاروخ وقذيفة خلال أول 20 دقيقة من العملية.

واعتبر الضيف أن «اليوم هو يوم المعركة الكبرى لإنهاء الاحتلال الأخير على سطح الأرض»، ودعا الفلسطينيين في الضفة الغربية وأراضي 48 للانضمام إلى هذه الحرب بكل ما يملكون من أسلحة نارية وأسلحة بيضاء وبالاحتجاجات والاعتصامات.

كما دعا الشعوب العربية والإسلامية إلى الدعم بالمظاهرات والاعتصامات وكل أشكال الضغط الشعبي.

لقد جاءت هذه المعركة التي شاركت فيها فصائل فلسطينية عديدة أيضا كتتبير للاحتلال الصهيوني، وللرد على جرائمه المستمرة. ويحمل الاسم الذي اختارته المقاومة الفلسطينية للعملية «طوفان الأقصى» دلالة الرد على الانتهاكات الصهيونية المستمرة للمسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية في مدينة القدس.

وقال جيش العدو الصهيوني عقب العملية إنه «في حالة حرب» و«سُمع دوي صفارات الإنذار في جنوب إسرائيل ووسطها ومدينة القدس»، في حين أفادت وسائل إعلام صهيونية بوقوع «معارك بالأسلحة النارية بين مجموعات من المقاومين الفلسطينيين وقوات الأمن في بلدات بجنوب إسرائيل».

وتحدث جيش العدو عن «عملية مزدوجة» قامت بها المقاومة الفلسطينية تشمل إطلاق صواريخ و«تسللا». وقال وزير الحرب الصهيوني يوآف غالانت إن حماس تشن «حربا على دولة إسرائيل».

ومن جهته قال الرئيس الصهيوني إسحاق هرتسوغ في بيان إن «دولة إسرائيل تمر بوقت عصيب»، في حين قال رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو في بيان مصور «نحن في حرب وسوف ننتصر».

وأسفرت العملية خلال ساعاتها الأولى عن مقتل مئات الصهاينة بين جنود ومستوطنين، وأسر وفقدان أكثر من 100، بعضهم جنود، وأدت إلى إغلاق المطارات المحلية وسط وجنوب كيان العدو أمام الاستخدام التجاري، وألغيت عشرات الرحلات الجوية إلى تل أبيب بمطار بن غوريون. وقال الناطق العسكري لكتائب القسام أبو عبيدة إن «عدد الأسرى لدى كتائب القسام بين 200 إلى 250»، وأضاف أن «عشرات الأسرى فقدوا حياتهم جراء القصف الإسرائيلي». ويوم 31 يناير/كانون الثاني 2024 ارتفعت حصيلة القتلى من الجنود الإسرائيليين إلى 223 قتيلا حسب صحيفة «تايمز أوف إسرائيل».

وأعلنت القسام مقتل قائد كتيبة الاتصالات في جيش الاحتلال. في حين كشفت صحيفة «جيروزاليم بوست» أن 750 صهيونيا في عداد المفقودين، كما أكد المفوض العام للشرطة الصهيونية فقدان عدد من أفراد الشرطة وانقطاع الاتصال بهم.

وقالت وسائل إعلام صهيونية : إن مقاومين استولوا على مركز الشرطة في سديروت. في حين أعلنت مصادر صهيونية أخرى أن 3 مستوطنات في غلاف غزة وقعت تحت سيطرة المقاومة الفلسطينية.

واقتحمت المقاومة في الساعات الأولى عدة نقاط حول القطاع وداخل الغلاف من بينها زيكيم وسديروت ومنيفوت وكيسوفيم ودير البلح وخانيونس وأشكول ورفح، فيما استهدفت مناطق أبعد قصفا بالصواريخ في تل أبيب واللد والقدس وأسدود وعسقلان وسديروت وبئر السبع.

وردا على عملية «طوفان الأقصى»، أطلق جيش الاحتلال الصهيوني عملية عسكرية ضد قطاع غزة سماها عملية «السيوف الحديدية»، وبدأها بقصف جوي مكثف على القطاع. في حين دوت صافرات الإنذار في المستوطنات المحيطة بغلاف غزة. وأعلن جيش الاحتلال إجلاء لكامل سكان الغلاف.

كان هذا توثيقا للساعات الاولى من معركة طوفان الاقصى ونتائجها ولحرب الابادة التي شنها العدو في اليوم التالي، حيث استمرت المواجهات على مدار عامين قدم الشعب الفلسطيني خلالهما ولا يزال التضحيات الجسام على الصعد كافة ليحوّل المعركة من هجوم عسكري مفاجئ إلى ملحمة مقاومة تاريخية قلبت موازين الصراع مع الكيان الصهيوني وليكشف هشاشة تفوقه العسكري رغم وحشيته.

ويؤكد الواقع أيضا أن عملية طوفان الأقصى لم تكن عملاً عشوائياً بلا مبرر أو مغامرة دموية أقدم عليها رجال المقاومة بدافع سفك الدماء، بل كانت ردًّا مشروعا على عدوان الاحتلال المتواصل منذ خمسةٍ وسبعين عامًا، والذي يتصاعد خطوةً بخطوة كل يوم. ربما كانت المقاومة الفلسطينية تقدم ردوداً يومية على سياسات الاحتلال هذه في السابق، لكنها كانت ردودًا عابرة ومحدودة التأثير.

إن ما ميّز طوفان الأقصى هو أنه نقل المعركة لأول مرة إلى عمق الكيان الصهيوني. وقد قيل للمقاومة إن القيام بذلك هو بمثابة انتحار، وإنهم بذلك «استحقوا» الغضب الحتمي من قبل حكومة بنيامين نتنياهو. إن صدور هذا القول ممن ظلوا لسنوات يشاهدون ويدينون الاعتداءات الصهيونية بشكل يومي، يظهر أن جوهر القضية الفلسطينية، والظلم المتأصل لدى الاحتلال الصهيوني، لم يُفهم بشكل كافٍ حتى من قبل كثيرين .

كما حوّل الشعب الفلسطيني غزة من معركةٍ إلى معادلةٍ عالمية ونقلها الى قلب العالم في اصطفاف اجتماعي جديد تجاوز اليمين واليسار معا ليجسد تطور الوعي العالمي تجاه القضية الفلسطينية بعد هذه العملية، وعلى فشل الاحتلال في تحقيق أي نصر حقيقي رغم الدعم الأمريكي اللامحدود و«خطة ترامب» التي سعت إلى تحويل الهزيمة الميدانية إلى مكسب سياسي للكيان الصهيوني.

لقد نجحت المقاومة الفلسطينية من خلال طيف واسع من فصائلها التي خاضت المعركة، بردٍّ دبلوماسي ذكي في قلب الموازين مجددًا، وتحويل المأزق إلى انتصار سياسي وأخلاقي جديد، مؤكدة أن قرار غزة هو شأنٌ فلسطيني خالص، وأنها (المقاومة) تمثل اليوم ضمير الأمة ووجدانها.

ووصفت فصائل المقاومة معركة طوفان الأقصى بنقطة تحول استراتيجية في نضالنا والمقاومة لن تنكسر وستظل دروسها وعبرها تدرس في الأكاديميات العسكرية سواء في التخطيط أو التنفيذ. وتجلت وحدة الساحات بين فصائل محور المقاومة، من فلسطين ولبنان واليمن والعراق، بمشاركة فعالة من إيران، التي ساهمت في استنزاف العدو وتطوير معادلة الردع باستخدام الصواريخ والطائرات المسيرة لضرب العمق الصهيوني، مما عزز حضور المقاومة على الساحة الإقليمية.

إن نضال الشعب الفلسطيني ضد المشروع الصهيوني الإحلالي لم يكن وليد معركة طوفان الأقصى فقط بل مستمر منذ العام 1948 و حتى ما قبل ذلك لكن في هذه المرحلة من الصراع الوجودي استطاعت المقاومة كما سلف أن تنقل المعركة الى قلب العدو الصهيوني و جاءت النتائج كما يلي :

- فقدان «إسرائيل» امتيازاتها التي حظيت بها منذ تأسيسها المصطنع واحدة تلو الأخرى، واستنزفت كل التعاطف الذي راكمته عبر وسائل الإعلام والثقافة والسياسة.

- ورغم كل الدعم الأمريكي، الذي استثمر الكثير في «إسرائيل» فقد تكبّدت في الحرب خسائر فادحة لا تُحصى، إذ لم يعد ممكناً حصر أعداد قتلاها وجرحاها والمصابين باضطرابات نفسية أو من أقدموا على الانتحار أو تركوا الخدمة وفرّوا من «إسرائيل»

- أمّا العجز عن هزيمة المقاومة طوال عامين، فقد خلق في نفوس الصهاينة إحساسًا بالهزيمة لا يُقدَّر بثمن، وجعل خسائرهم تفوق كل حساب.

- إن ردّ المقاومة على كل المبادرات والمناورات الأمريكية الغربية الصهيونية، قلب المشهد رأسا على عقب و يُمكن اعتباره حلقة انتصار جديدة أو صفحة ذهبية أُضيفت إلى سلسلة النضال الملحمي الممتد منذ عامين أفضى إلى نتيجة جعلت رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو يخسر كل شيء في سعيه

للحصول على مكاسب ضئيلة.

- كما فرّقت المقاومة في ردّها بذكاء بين ما تمتلكه على الصعد كافة ولها حق اتخاذ القرار بشأنه، وبين الحقوق الوطنية التي لا يمكن إلا للشعب الفلسطيني تقريرها. فقد وافقت على إطلاق سراح الأسرى، لكن ربطت ذلك بإنهاء الحرب العدوانية، ورفض احتلال قطاع غزة، ومنع التهجير، وضمان وصول المساعدات الإنسانية. وفي الوقت نفسه، تجاوزت ببراعة الخطة التي تفترض وصاية دولية.

- أعادت المقاومة التأكيد في سياق لا يمكن الاعتراض عليه على أن إدارة غزة هي أيضاً شأن يخص الإرادة الشعبية الفلسطينية، وجزء من حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واتخاذ القرار الوطني.

ماذا بعد ؟

إن رؤية الشعب الفلسطيني تنطلق من شعاره الاستراتيجي أن «القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة العربية والذي بنى عليه رؤيته «القتالية» عبر فصائل المقاومة مجتمعة، كما أن هذه الاستراتيجية ترسخت بعد انسحاب الاحتلال الصهيوني من قطاع غزة في العام 2005 وتمحورت هذه الاستراتيجية حول ثلاثة محددات هي:

*عدم المشاركة في أي سلطة أو ترتيبات سياسية منبثقة عن أوسلو أو محكومة بمرجعيته أو تتقاطع معه بأي شكل من الأشكال.

*المحافظة على المقاومة وضمان استمرارها ما دام الاحتلال موجوداً على أي جزء من بلادنا .

*المحافظة على الوحدة الوطنية الفلسطينية والتي لن تتأتى إلا من خلال حوار فلسطيني – فلسطيني جاد وحقيقي يفضي إلى مصالحة وطنية شاملة وصولا إلى إنجاز المشروع الوطني الفلسطيني في التحرير والعودة وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على كامل أرض فلسطين التاريخية

إنهم يكرهون الزيتون.. إنهم يكرهون الحياة
«قراءة في السلوك الصهيوني الفاشي في الضفة الفلسطينية في زمن الطوفان»

محمد عبد القادر - كاتب وناقد فلسطيني - الأردن

إذا أردت أن تكتب عن قطاع غزة، تَنْهال أمامك على الورق أوضاع الضفة الفلسطينية تتبعها القدس، وتليها فلسطين الكبرى. كان هذا الجسد الذي قطعته القوى الاستعمارية والإمبريالية والفاشية، يعيد بناء نفسه في الذاكرة والعقل والوجدان. وإذا كانت هذه الدراسة تسعى لإضاءة جوانب من تضحيات الأهل في الضفة الفلسطينية ومعاناتهم وتحدياتهم في زمن الطوفان، فلا بد أن تحضر غزة.. غزة الطوفان التي فتحت في العروق دماً جديداً، ورؤى سابرة، وآمالاً عظيمة.

أن تكتب عن الضفة في سياق حرب عدوانية صهيونية فاشية متعددة في الأطراف على غزة، فلا بد أن يكون تقدير تضحيات أهلها أول البدايات، تضحيات الشهداء والجرحى، وعشرات الآلاف من الأطفال، وتدمير البيوت والمستشفيات والمدارس والجامعات والبنى التحتية والمؤسسات الوطنية والدولية. وسط كل هذه التضحيات، يشرق علم المقاومة على مدى عامين أو يزيد، ما انتكست الراية ولا وهنت العزائم.

وسط هذه المعاناة، وهذه التحديات، أصاب الطوفان رأس العدو، فقفز إلى الوهم، ظن أن غزة قد أصبحت في قبضته، وأن أهلها سيفرون مذعورين عبر البحر والأرض والفضاء. وأشتد عليه الوهم، فركز عدوانية مكثفة على الضفة، محاولاً استنساخ جرائمه في غزة.

وكما أخفق في تحقيق أهدافه الاستراتيجية الكبرى في غزة الصمود والبطولة، فشل فشلاً ذريعاً في تحقيق شيء من تلك الأهداف في الضفة. هذا عدو لا ينجح إلا في مجالات محددة:

القتل، الاعتقال، التدمير، الحصار، الحواجز، التجويع. وهي ممارسات في عالم الإبادة والتطهير العرقي ومعاداة الإنسانية. وإذ تتعدد جرائم قادة الكيان السياسيين والأمنيين والعسكريين. فسوف تركز هذه الدراسة على محاور محددة تبدأ بـ:

1. محور الزيتون:

جاء في الأخبار أن مستوطناً اعتدى على امرأة فلسطينية مثنى أثناء قطفها للزيتون شرقي رام الله، ما أدى إلى فقدانها الوعي، وضربها مراراً على رأسها، كما اعتدى على اثنين من المتضامنين الأجانب.

والسؤال: لماذا يكرهون الزيتون؟

لأنه شجر خَالد، مقيم، مقاوم. يذكرهم بوجودهم الطارئ.

معظم شجرات الزيتون في فلسطين أكبر عمراً من الكيان، وأكبر من تاريخهم المزيف. الزيتونة شجرة تعتمد على ذاتها، وتمتص احتياجاتها من قلب الأرض، والماء من السماء، وتكتفي بما يصلها من عرق الفلاحين.

«لو يذكر الزيتون غارسه.... لصار الزيت دمعاً». أوراقها صامدة كجذعها وفروعها. وحين يبرد الفلاح وأسرته، لا تضن عليهم شجرة الزيتون ببعض أغصانها التي تمنحهم الدفء. وإن عزّ طعام، يهلّ الزيت. وحتى إن عزّ العلاج وتيبست المفاصل، يأتي نور الله – كما يسمى عند الأجداد والجدات – هو الزيتون.. يعلم الأطفال فنون الزرع والحصاد والشتل ومتعة القطاف. يمنحهم مصروفهم اليومي إلى المدرسة، ويعلم طلبة الجامعات في بلادنا بعوائده، وبرزقه يبني الفلسطينيون بيوتهم ويرفعونها طابقاً للابن الكبير وآخر لمن يليه. هو المونة التي لا تنقطع على مدى السنين. يحمي أهله من المجاعة، وهو خط الدفاع الأول عن أصحابه. يأتي العدو المستوطن، يكسر شجرة الزيتون.. تنكسر أو لا تنكسر! لكن هذا الكائن الذي لا يتحرك منفرداً سرعان ما يفر مثل جراد مطارد.

2. محور الأرض

وهل ينفصل الزيتون عن الأرض؟

الزيتون قيمته ورمزيته، وللأرض قيمتها الأوسع ورمزيتها، لكنهما حين يجتمعان يشكلان الوطن، والعدو في فلسطين لا يستطيع حمل الزيتون أشجاراً فيحتل الأرض وما عليها. قبل أيام هاجم المستوطنون حقلاً للزيتون. فرأوا أقفاف الزيتون مليئة بالقطاف، سرقوا حب الزيتون، وجاء آخرون وحولوا المنطقة إلى بؤرة استيطانية.

إنهم يغتصبون الأرض في الضفة الغربية، وهو اغتصاب فعلي شبيه باغتصاب وحش بشري لفتاة طاهرة.

الأرض للعدو وسيلة للتماهي مع الأكاذيب والأساطير والخرافات والصحف الصفراء. ومثلما يقطعون أوصال زيتونة صبية عفيفة، يقطعون نسيج الأرض. أبناء الغيتو يحولون جسد الأرض إلى كانتونات يغلقونها بالحواجز والبوابات والآليات. لهؤلاء، الأرض تعني وعداً أسطورياً عمره آلاف من السنوات، فيرد التاريخ ادعاءهم السخيف بأن الكنعانيين – أجدادنا – كانوا في أرض فلسطين منذ آلاف الأعوام، وقبل الوعود الخرقاء المزعومة. الأرض للفلسطيني زمانه ومكانه وتاريخه وآثاره الحقيقية، وهي حاملته وفضاؤه ومصدر جماليته وحياته. هي رمزية البلد والوطن والقرية، بل هي الوطن كله. هي قاعدة إنتاجه وزرعه وحصاده. هي الأرض التي تتماهى مع العِرض – هكذا يسميها الفلسطيني – لذلك يحميها بدمه ويفتديها بأبنائه. والعدو لا يتقن إلا جرائم الاغتصاب.

والآن، وأنا أكتب هذه السطور، اندفع قطعان المستوطنين لمهاجمة مزارعين في (ديراستيا). وحوش بشرية يكاد المشاهد أن يختنق بمظهرهم ورائحتهم عبر الشاشات. هم أدوات العنصرية الفاشية المعادية للحياة، ويتقاسمون مع سلطات الاحتلال الوظائف والمهمات والأدوار.

3. المخيم الفلسطيني والأونروا

لماذا يهاجم العدو بعد مخيمات غزة مخيمات الضفة الفلسطينية؟

للمخيم قيمة حياتية كبيرة لمن عاشوا فيه، قيمة إنسانية في الأساس. طفولة خُلقت فيها ونمت وتطورت وشبت فيها، لكن العين كانت دائماً على فلسطين: البيت والوطن والروح..

على حيفا ويافا وعكا والناصرة ومئات القرى. وما كان المخيم غاية للإقامة مدى العمر. على أن للمخيم بعداً سياسياً وقانونياً، تماماً مثل الأونروا ومدارسها وعياداتها الإنسانية – السياسية. في المخيم والأونروا رموز أساسية قانونية، تجسد قضية اللاجئين الفلسطينيين، وتاريخية المعاناة منذ النكبة والنكسة حتى حرب الإبادة وما بعدها.

وكما دمرت دبابات وطائرات ومدافع العدو الصهيوني مدارس الأونروا وعياداتها في غزة، فعلت ذات الشيء – وإن بصورة جزئية – في مخيمات جنين وطوباس وطولكرم، وغيرت ملامحها وبنيتها التحتية.

لقد كانت الجرائم الوحشية التي ارتكبها العدو في مؤسسات الأونروا في الضفة وغزة، محاولة يائسة منه لإخفاء جريمة كبرى عمرها 77 سنة. وكانت محاولة تدمير مخيمات الضفة طريقة مكشوفة لمحو تجسيدات اللجوء الفلسطيني، وإلغاء علاقة الأمم المتحدة ومنظماتها بقضية اللاجئين الفلسطينيين.

أحدث العدو خراباً نعم، وأحدث تشريداً داخلياً ..نعم، ولكن الصمود العظيم لأهلنا في الضفة الفلسطينية أجهض محاولات العدو في:

- ضم الأرض
- والتطهير العرقي
- والتهجير

4. النتائج المحتملة لاستمرار الوحشية الصهيونية في الضفة الفلسطينية:

- مزيد من التضحيات البشرية والاعتداءات والاعتقالات.
- مزيد من قضم الأرض والبؤر الاستيطانية.
- احتمالية الضم تبقى قائمة، إذ لا مراهنة على ترامب.
- نهاية أوسلو رسمياً ونهاية خطة «حل الدولتين»
- السلطة الوطنية التي لم ترتقِ بمسؤولياتها الوطنية، ستكون في مهبّ الريح.
- إغلاق المسارات السياسية.
- مخاطر على الأردن: الأرض، البحر الميت.
- تأثير سلبي على أفق المقاومة.
- متابعة استنساخ نموذج غزة وما يحمله من موت وتعذيب وتشريد.
- استمرار اليمين الفاشي في الحكومة ومتابعة تحقيق أهدافه الاستراتيجية وتغيير خرائط المنطقة.

• خلاصة موجزة:

لقد قتلوا واحتلوا ودمّروا من أجل الماضي، ونحن قاتلنا وما زلنا من أجل الماضي والحاضر والمستقبل.

قراءة لمفهوم اليسار وبنيته ودوره

حاتم إستنبولي ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ القدس

كنت قد كتبت في مقال سابق حول الظروف التاريخية لظهور اليسار منذ فجر التاريخ الذي بدأ مع ظهور الملكية الخاصة التي رافقها غياب العدالة في التوزيع الاجتماعي للخيرات المادية.

اليسار وقواه هم تعبير عن تيار اجتماعي يعكس مصالح القوى الاجتماعية المنظمة التي أخذت شكل حركات وجبهات وأحزاب انعكس موقفها نتيجة تحديد موقعها في عملية الإنتاج الاجتماعي ومواقفها التي تعبر عنها من خلال استخدام أدوات التحليل المادي للقوانين المحركة للمجتمعات وتفسيرها للظواهر الطبيعية وتطورات معارفها الفكرية عبر الزمن نتيجة انخراطها وتفاعلها الدائم الملموس في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وانعكاسها في سلوكها السياسي.

في هذا المقال سنتطرق إلى الجانب الفلسفي لمفهوم اليسار وتعبيراته وآلية اتخاذ مواقفه بين المعيار والناظم له وموقعه ودوره في إطار الظواهر السياسية وتفاعله مع القوى المحركة لها.

لنتفق أن الناظم لحركة اليسار هو موقفه الدائم من قضايا العدالة الاجتماعية في بعدها القانوني من تعميم قيم الحرية والمشاركة وتوزيع الخيارات المادية واحترام القيم الإنسانية للطفل والمرأة والعمال والعاملات وحقوقهم في التعليم والصحة والغذاء ومناهضة التمييز القائم على أساس العرق أو المعتقد أو الدين أو اللون أو الجنس واحترام الحقوق الاقتصادية والبيئية والعلمية أو استخدام العقائد الدينية أو الفكرية كأداة للاضطهاد الإنساني بكل أشكاله آخذين بعين الاعتبار التطورات العلمية التكنولوجية المتسارعة والعميقة التي حدثت وما زالت تتقدم باضطراد وتأثيرها العميق على قوى الإنتاج موقعها وتأثيرها في عملية التغيير الاجتماعي حيث حل الروبوت الآلي مكان آلاف العمال ناهيك عن التقدم الذي حدث في التبادل المعلوماتي من حيث الزمان حيث يتطلب عنوان مثل الصراع الطبقي إعادة قراءة من حيث تصنيف الطبقات وتعارضها وتناقضات مصالحها.

فيروس كورونا وغيره من الفيروسات والميكروبات وضع البشرية أمام تحديات مصيرية جديدة وفرض حدوداً جديدة بين المجتمعات الفقيرة والغنية وأصبح تناقض الفقر والغنى بمعناه الشامل (الاقتصادي والمعرفي) هو الذي يحكم العلاقات الإنسانية.

هذا التناقض الذي تعمق من خلال امتلاك الوسائل المتقدمة (Digital) كوسيلة لتحقيق مكاسب مالية وعلمية هائلة في زمن قياسي.

هذا العامل الجديد فرض واقعاً تبادلياً متعدد الأشكال والأساليب يلعب فيه رأس المال المالي عاملاً رئيسياً مقرراً في انتقال الثروات المادية وتمركزها في إطار عدد محدود من البشر يتحكمون بالموارد البشرية والمادية.

بالإضافة إلى وقائع اجتماعية جديدة على قوى اليسار أن تعيد قراءة انعكاسها على التغيرات الاجتماعية واصطفاف القوى وتحالفاتها وانتقال فئات اجتماعية لمواقع جديدة في لوحة توزع القوى ودورها السياسي وموقعها في عملية الإنتاج الاجتماعي حيث تراجع الدور الإنساني المباشر في عملية الإنتاج لدور الآلية وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات (حسب رأي ابني أن علينا تغيير شعار يا عمال العالم اتحدوا إلى شعار يا روبوتات وكمبيوترات العالم اتحدوا).

كل هذا سيكون له تأثير عميق في كافة المجالات وخاصة الحربية منها حيث بدأ عصر حروب الروبوتات التي توضح في أحدثها حيث حسمت الروبوتات معركة (كاراباخ)

هذا يفرض تطوير معيار اليسار تعريفه من حيث سلوك ومواقف قواه التي تساهم بشكل فعال في تعميق المحتوى القيمي للسلوك الإنساني الذي يعتمد قيمها في نضالها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والبيئي والعلمي وسيكون العنوان الحقوقي الإنساني القانوني عنواناً رئيسياً لنضال اليسار وقواه بعناوين مثل الحرية والعدالة والمشاركة التي من الممكن أن يستثمر التقدم التكنولوجي في المشاركة من خلال تعريف الهوية الشخصية إلكترونياً وعنوان مثل البيئة يجب أن يحظى بأولوية لأهميتها الملحة في التعامل مع متطلبات الحفاظ على عناصر الحياة البيئية والإنسانية.

أما عنوان مواجهة الجرائم بحق الإنسانية التي ترتكب من خلال توسيع استخدام الروبوتات والدرونات في الأعمال الحربية والاغتيال خارج إطار القانون مما يعوق المسؤولية القانونية المباشرة في تحديد المسؤولية عن الانتهاكات والجرائم بحق القيم الإنسانية والبيئة يجعل مهمة وضع إطار قانوني لاستخدامها مهمة ملحة لقوى اليسار.

كل هذه المعطيات تؤكد صحة الأسس المعرفية لليسار فهو الفكر الذي يعتمد قوانين الديالكتيك المادي في قراءة وتفسير الظواهر الاجتماعية هذا الفكر الذي يحمل خصائص تطوره الدائم لأنه يتطور لكونه يعكس الواقع المادي بحركته الدائمة وتطوره ومدى اكتساب وإدراك خاصية قوانينه يمكن قوى اليسار من التعاطي مع التحديات بكافة جوانبها بعيداً عن الارتجالية والرغبة الفردية واسقاطاتها على الواقع.

الناظم والمعيار هو مدى قدرة القوى على إدراك العلاقة بين (الملموس -المجرد- الملموس) أي قراءة الواقع بصورة جدلية في إطار حركته وتطوره آخذين بعين الاعتبار المتغيرات التي تطرأ في كل لحظة من حيث زمانها ومكانها وإعادة إنتاجها برؤية تسهم في تطوره وتعتمد قيم العدالة الإنسانية والبيئية كناظم وسلوك القوى في تطبيقاتها كمعيار.

إن مدى قدرة الالتزام الواعي بالناظم والمعيار يحدد تصنيف القوى والأحزاب والأفراد على أنهم يساريون.

اليسار لا يقيم كما يقيم الجنس كذكر وأنثى أي يكتسب الطابع المطلق للصفة أو لا يمكن الذهاب إلى الطبيب وطلب منه كتابة وصفة موقف يساري لصرفها من الصيدلية لهذا يمكن أن تكون يسارياً في الموقف السياسي ولكن في السلوك الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والبيئي يمينياً على سبيل (مثل الشيوعي الذي يعلن التزامه بالفكرة ولكن عندما يتعلق الأمر في توزيع الميراث يصر على المبدأ الديني في التوزيع ويحرم أخواته وأمه من التوزيع العادل للميراث بناء على حقوق المساواة الذي يسعى فكره لتحقيقها) هذا كمثال وليس للحصر.

اليسار كمفهوم معرفي يتسم بتعددية جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والقانونية والسياسية وامتلاك أحد هذه الخواص دون الأخرى لا يعكس تصنيف القوة أو الفرد على أنه يساري بل يمكن تصنيفه على أنه موقف يساري في الجانب المحدد الذي عبر عنه.

اليسار كمشروع (ثقافي, اقتصادي, سياسي, اجتماعي, بيئي) يسعى لتحقيق كل هذه الجوانب من خلال خطة تحمل أهدافاً بعيدة وأهدافاً قريبة محددة لإنجاز هذه المهام من خلال تعميم العدالة الاجتماعية وحرية خيارات المجتمعات والأفراد والمشاركة الواعية للقوى الاجتماعية عبر ممثليها وحمايتها من خلال القانون الذي يجب أن يطبق على الجميع بشكل عادل ومتساوٍ.

القانون الذي يحمل عدالته كناظم ومعياره احترام تطبيقه بشكل عادل على الجميع كمجموعات وأفراد بغض النظر عن موقعها السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي.

وفي سياق مفهوم اليسار بالضرورة يجب التطرق إلى مفهوم الظاهرة والحالة والضرورة والصدفة والعام والخاص والوحيد.

الظاهرة تحمل في جوهرها الحالة أو مجموعة من الحالات التي تعبر عن القوى وتعارضها وتسارعها في إطار الظاهرة والضرورة التي فرضت تشكل الحالة الجادة من أجل التغيير الإيجابي التقدمي للظاهرة وتقدمية الظاهرة الاجتماعية أو مرجعيتها تعكسها محصلة القوى الداخلية التي تتصارع بين رؤيتي اليمين واليسار وميزان القوى الذي يحكم صراعهما في اليمين واليسار يحكمها قانون وحدة وصراع الأضداد (المتناقضات) كما السالب والموجب قانون الفعل ورد الفعل في الرياضيات والفيزياء.

أما الحالة المتشكلة عبر تأثير الظاهرة العامة على الظاهرة الخاصة ودور الوحيد الفرد في إطار الظاهرة الخاصة الذي يشكل حالة مؤثرة في تطور الظاهرة (سلباً أو إيجاباً) بحكم موقعه وتجربته ووعيه وإدراكه لدوره في إطار تطوير الظاهرة أو إعاقته لتطويرها.

هنالك حالات وطنية فردية وجدوا أنفسهم بالصدفة في إطار الظاهرة اليسارية في مرحلة التحرر الوطني نتيجة لعوامل وظروف خاصة أصبح لهم دور مؤثر نتيجة احتدام الصراع واستقطاب القوى في إطار الظاهرة وغالباً ما كانت وتكون هذه الحالات لا تملك مؤهلات الوعي المعرفي لتحديد دورها وغالباً ما تكون هذه الحالات مقررة في ميزان القوى الداخلي في إطار الظاهرة واصطفافها يكون ناتجاً عن عدم وعي لدورها وأهميته وتأثيره على تطور الظاهرة ومنها من تدرك دورها الذي ينم عن وعي منفعي فردي وفي حال تعارضت المنفعة مع الموقع تغادر الظاهرة ومن الممكن أن تستثمر في تجربتها الخاصة في إطار ظاهرة نقيضة ليشكل اصطفافها الجديد عاملاً مضراً في الظاهرة الأصل (انتقال البعض إلى الفكر الديني والليبرالي).

وحالات زرعت في إطار الظاهرة عن وعي لتشكل في الإطار العام دوراً كابحاً

لتطور الظاهرة وهذه أخطر الحالات لكونها تملك وعياً ودعماً مادياً من قوى خارجية تريد تقويض الظاهرة من داخلها وهذا يخص القوى والمجتمعات والدول والتنظيمات ودائماً ما تحمل هذه الحالات صفة تآمرية من حيث الدور والفعل على الظاهرة وعلى القضية الوطنية.

أما عن التناقضات التي تحكم الظاهرة فهي تأخذ شكلين داخلي وخارجي

الداخلي بين اليمين واليسار في إطار الظاهرة ويبقى المظهر العام للظاهرة يسارياً ما دامت محصلة القوى التي تتصارع في داخلها تعكس المواقف اليسارية وأدوات معرفتها ووسائلها وفي بعض الحالات ونتيجة احتدام الصراع مع الظواهر الخارجية تتراجع القوى المحركة لليسار في داخل الظاهرة ليتحول موقفها لليمين ويكون أحياناً بفعل تأثير البنية اليمينية للمجتمع وانعكاساته على السلوك لبعض مكونات الظاهرة أو خارجي على سبيل المثال لا الحصر تأثير البترودولار على الظاهرة الفلسطينية والعربية.

في الحالة الكوبية والبوليفارية استطاع اليسار حسم الصراع داخل الظاهرة اليسارية وحقق انتصارات تاريخية للتحرر الوطني والاجتماعي.

في الحالة السوفييتية انتصرت قوى اليمين بالرغم من البنية الاجتماعية اليسارية للمجتمع ولكن الدور الذي لعبه بعض الأفراد في إطار الظاهرة اليسارية من تآمر عليها بمساندة القوى الخارجية أدى إلى تراجع حركة اليسار بالإضافة الى تحويل الدور القيادي للحزب إلى دور بيروقراطي في إدارة الدولة وتحويل المركزية الديمقراطية إلى مركزية بيروقراطية ادت إلى إفراغ دور الحزب السياسي وكبح الصراع الداخلي في إطار الظاهرة مما أدى لتقوية نفوذ القوى اليمينية المعادية التي وظفت النقمة على الفساد إلى نقمة على الفكر اليساري التقدمي وأجهضت المكتسبات الإنسانية التي حققتها ثورة أكتوبر.

في الحالة الشرق أوسطية أخفق اليسار في قراءة التجربة التاريخية للمنطقة ودور الموروث التاريخي في تبلورها وغَيَب دوره في التكوين الثقافي والنفسي والاجتماعي والتاريخي. ولم تحظَ بجهد لإعادة قراءة مادية للفكر الديني بصورة نقدية إيجابية لإبراز الجوانب الثورية فيه من خلال قراءة ضرورته التاريخية في زمانه ومكانه والقوى المتصارعة داخل الظاهرة الدينية. وأخص المسيحية والإسلام لدورهما في مواجهة الظروف والقوى الرجعية في زمانهما (التي تمثلت في عنصرية استعلائية الفكرة اليهودية التي كان محركها ومنشؤها فكرة المرابي الاستغلالي).

التحولات التي طرأت على الفكر الديني ودور الاستعمار في مساندة أكثر الاتجاهات رجعية فيه في محاولة دائمة لإبقاء هيمنة التخلف والتبعية وإجهاض ومحاربة أية إمكانية لتطور الفكر الوطني التحرري الديمقراطي.

الفكرة التي حكمت بعض القوى في نسخ التجارب العالمية وفكرها ووسائلها الخاصة أدى إلى تغييب الدور الخاص للظواهر اليسارية في منطقتنا (حتى درج المثل القائل إذا أمطرت في موسكو يحملون المظلات في منطقتنا في إشارة إلى التبعية).

بالطبع هذا مثل أطلقته القوى اليمينية للتحريض على اليسار الذي كان يغيب الخصوصية التاريخية للمجتمعات في المنطقة.

باستثناء تجربة وحيدة قُبِرَت في مهدها هي تجربة الحزب الشيوعي السوداني الذي تكالبت القوى اليمينية على إنهاء أكثر الحالات وعياً وتأثيراً في الحركة الديمقراطية اليسارية التي مثلها كل من عبد الخالق محجوب والشفيع ورفاقهما.

في الحالة السورية كانت حالة فرج الله الحلو الذي أذيب بالأسيد تشكل حالة متقدمة من أجل وحدة الشيوعيين في سورية ولبنان.

الحالة اليسارية الفلسطينية الأبرز كانت حالة غسان كنفاني الحالة الوطنية الديمقراطية الشاملة التي فُجِرَت من قبل الموساد الإسرائيلي لكبح تأثيرها على تطور الظاهرة الوطنية الفلسطينية المعاصرة.

أما في إطار حركة فتح فكان اغتيال كل من كمال ناصر والعدوان والنجار وماجد أبو شرار وغيرهم الذين شكلوا حالة وطنية متقدمة في إطار الصراع داخل حركة فتح بين اليمين واليسار.

أما عن العامل الخارجي وتأثيره على الظاهرة اليسارية فقد أخذ عدة طرق ووسائل للتأثير أهمها اغتيال العناصر الأكثر وعياً في إطار الظاهرة الذين لهم دور واعٍ في تعميق المحتوى الديمقراطي التقدمي للظاهرة ودورها الاجتماعي (اغتيال القادة الفلسطينيين السياسيين والعسكريين والمفكرين والمبدعين).

استخدام الحالات المزروعة في الظاهرة من أجل حرف اتجاهاتها الفكرية وإعطاء أولوية لأفكار تعمل لإيجاد مخارج لأزمة الخصوم والأعداء والدفع لاتخاذ مواقف تتعارض مع المصلحة الوطنية العامة.

الحركة الوطنية الفلسطينية كظاهرة عامة تحمل في ثناياها ظواهر خاصة تتعارض من حيث البنية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وتتفاوت أوضاعها المعيشية ومستوى انخراطها في عملية الإنتاج الاجتماعي متأثرة بعامل المكان (الشتات الفلسطيني) وظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

إذا ما أضفنا لها البنية الثقافية العامة فإن الاتجاه العام للرأي العام يميل إلى اليمين من حيث المحتوى الثقافي هذا العامل كان له تأثير على مدى فعالية اليسار الذي لم يعطِ أولوية إعادة قراءة الموروث الثقافي التاريخي والديني دوره وتأثيره على البنية التنظيمية والسياسية لليسار ومخاطر تأثيرها على دوره.

ممكن أن نتحدث بالمظهر العام عن ما اصطلح تسميته باليمين واليسار الفلسطيني مظهرين رئيسين حكما الحركة الوطنية الفلسطينية تأثرت وأثرت بهما الحركات التحررية العربية والعالمية.

في عنوان اليمين الذي كان يعكس الحالة الوطنية العامة هذا اليمين ليس محصوراً في تنظيم محدد بل هو عابر للتنظيمات.

تنظيم فتح كقوة نمت نتيجة مجموعة انتقالات وتحولات مجموعة من القوى الاجتماعية المتعارضة بخلفيات فكرية مختلفة ولكن المظهر العام لبنيتها الفكرية كان وما زال يمينياً.

فتح حكمها تناقض داخلي ما بين قواها الداخلية المتصارعة التي كانت محصلة ميزان قواها الداخلية تعبر عن المظهر العام لليمين السياسي الفلسطيني الذي حكم سلوكها بحكم التركيبة السياسية والاجتماعية لها ووجد دعماً من القوى اليمينية العربية بكل الإمكانيات المتاحة بل إن السعودية على سبيل المثال كانت تربط اعترافها بمنظمة التحرير الفلسطينية بشرط وجود فتح في قيادتها وعبرت عن ذلك من خلال الدعم المالي الذي كان يمر عبر فتح للمنظمة.

اليمين الفلسطيني كان متلاحماً مع رؤية اليمين الرجعي في النظام السياسي للبلدان العربية المدعوم من الاستعمار وأدواته المالية والاقتصادية.

كانت العلاقة تقوم بين اليمين الرجعي العربي واليمين الفلسطيني على دعم التوجهات الأكثر يمينية في الحركة الوطنية الفلسطينية من أجل إخضاعها وترويضها لمواجهة تأثير تيار اليسار السياسي الفلسطيني العابر للتنظيمات بما فيها فتح.

هذا اليسار كان ناظمه عدالة القضية الفلسطينية من حيث كونها قضية تحمل أبعاداً حقوقية وطنية وإنسانية وقانونية وسياسية.

القوى المعادية للقضية الفلسطينية كانت تعمل على تقويضها من خلال البوابة الخلفية بوابة القوى الرجعية المهيمنة على السلطة في النظم السياسية للدول العربية التي تعمل في إطار جبهة التحالف البريطاني- الفرنسي-الصهيوني ومن ثم الأمريكي.

أما في عنوان اليسار الفلسطيني الذي لا يمكن حصره في تنظيم محدد بمعنى لا يوجد أي تنظيم يمثل حصرياً اليسار الفلسطيني كون اليسار تياراً اجتماعياً والتنظيمات التي أعلنت عن تبنيها الفكر اليساري تخضع لذات المعايير التي تحكم حركة فتح الخلاف أن الصراع في فتح

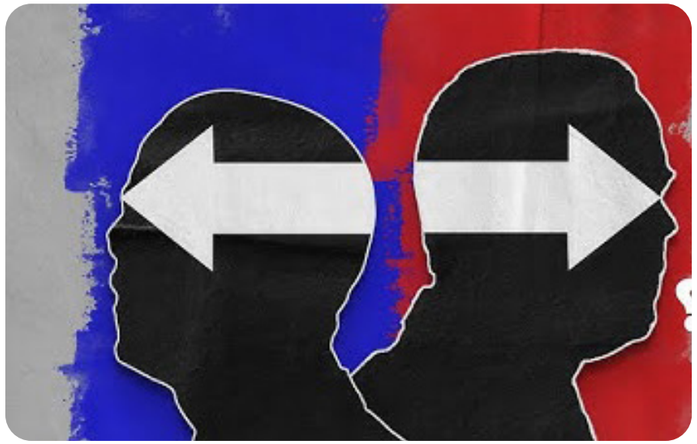

بين البنية اليمينية وبين الحالات اليسارية داخلها في حين التنظيمات اليسارية التناقض الذي يحكمها بين البنية الفكرية اليسارية وبين تأثير البنية اليمينية للمجتمع وتأثيره على البنية التنظيمية لليسار.

المظهر العام الذي اعتمد لتقييم اليسار وتنظيماته بني على أساس الموقف السياسي من عدالة القضية الوطنية الفلسطينية ولهذا فإن التمايز بين اليسار واليمين الفلسطيني كانت فوارق ضئيلة بحكم خصوصية الحالة الفلسطينية وشتاتها والاندماج في عملية الإنتاج الاجتماعي في خصائص وظروف مختلفة تفاوتت فيها انعكاساتها على الحالة البنيوية الفكرية والتنظيمية بالاضافة إلى خصائص سمة المرحلة التحررية الوطنية.

إذا ما اعتبرنا الجبهة الشعبية والديمقراطية والشيوعيين ومن يدور في فلكهم هم الظاهرة الخاصة لليسار الفلسطيني. هذه الظاهرة التي يحكمها صراع وتعارض داخلي بين مكوناتها من يمين ويسار وصراع خارجي مع قوى اليمين الرجعي والبنية الاجتماعية اليمينية العامة فإن يَساريتها هي نتيجة تعارض وتصارع الاتجاهات الداخلية وحسمها لصالح موقف اليسار الذي غالباً ما عُبِرَ عنه بشكل رئيسي بالمواقف السياسية والنظرية ولكنها لم تنعكس في السلوك الاجتماعي والثقافي.

الظاهرة اليسارية داخل الحركة الوطنية الفلسطينية يحكمها الصراع ما بين اليمين واليسار في إطار الظاهرة بين مفاهيم اليمين السياسي والاقتصادي والاجتماعي التي تحملها متأثرة بالثقافة السائدة (البنيوية) وبين حالات يسارية واعية ناظِمها المعرفي أدوات المعرفة المادية الأكثر وضوحاً لهذه الظاهرة كانت التجربة اليمنية.

تفاوتت سيادة المفاهيم والمواقف اليسارية للظاهرة اليسارية الفلسطينية عبر الزمان ارتباطاً بخصوصية المكان حيث شهدت تقدماً في السبعينيات والثمانينيات وتراجعت في التسعينيات والألفية الثانية وما زالت تعاني من تخبط في المواقف ناتج عن عدم حسم موقفها من الهوية المعرفية واستخدامها كمنهج لسلوكها من حيث تحديد وسائلها وأدواتها ارتباطاً بموازين القوى القائمة من حيث الزمان والمكان.

في الأغلب كحالة في كل تنظيم ومنها حالات خارجها من حيث الانتماء التنظيمي جميعها تشكل نسبياً مفهوم اليسار الفلسطيني الذي يحمل ناظم ومعيار عدالة القضية الفلسطينية (تحقيق عدالة المخيم) هذه العدالة التي تحمل جوهراً حقوقياً تاريخياً وطنياً وسياسياً وإنسانياً وقانونياً.

الموقف اليساري هو الموقف الذي يعكس الواقع المادي والسياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي وهو موقف يتعارض مع الجمود ويكتسب حيويته وصحته من خلال عكسه للواقع المادي في إطار حركته الدائمة والمستمرة

ويحدد حركته اليومية التي تعرف بـ المعيار السلوكي الذي عليه بالضرورة أن يكون في إطار الناظِم العام الذي يحمل جوهر عدالة القضية الفلسطينية وفي الحالة الفلسطينية فإن عنوان المخيم الفلسطيني هو الناظم والمعيار للعدالة الفلسطينية (عدالة المخيم).

تحقيق عدالة المخيم يجب أن يحكم السلوك اليومي للقوى اليسارية ومواقفها أي أن كل حركتها السياسية ناظمها تحقيق عنوان العودة الفلسطيني الذي طرد وهجر من أرضه وعانى على مدى أكثر من مئة عام من تآمر على وجوده وهويته الإنسانية ويتعرض منذ أكثر من سبعين عاماً لعملية إلغاء ممنهجة وسرقة ومصادرة إرثه الثقافي والسياسي والاجتماعي وحقوقه القانونية والوطنية تستخدم في تبريره أكثر فكرة رجعية قائمة على الصفاء العرقي والديني وإعطائها مشروعية إلهية وتدعمها أكثر القوى رجعية رأسمالية في العالم ولهذا تكتسب العدالة الفلسطينية بعداً و معياراً عالمياً تصطف جانبها كل القوى التي تحمل موقفاً يسارياً متصادمة مع الاستغلال الرأسمالي الذي يعبر عن أسوأ تعبيراته وممارساته في دعم النظام الاحتلالي الإحلالي في فلسطين.

وفي هذا الصدد أود أن أشير إلى أن ما وصلت إليه القضية الفلسطينية من تكالب واضح ومعلن بهدف تصفيتها تتحمله كل القوى الفلسطينية بيسارها ويمينها وكل بحجم تأثيره بالقرار السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي.

والسؤال الملح والأهم لليساريين:

ما هو الفارق بين حكومة نتنياهو واليمين الصهيوني وحكومات الأنظمة العربية الرجعية اليمينية من حيث موقعها وموقفها من عملية الإنتاج الاجتماعي والعدالة الإنسانية من حرية ومشاركة واحترام حقوق مواطنيها؟ وكيف يفسر إعلان التحالف القائم بين هذه النظم وبين نظام نتنياهو العنصري؟ أليست هذه النظم جميعها بما فيها إسرائيل هي نتاج لاتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور؟ أليست هذه النظم بما فيها نظام نتنياهو هي جزء أصيل من النظام الرأسمالي الاستغلالي العالمي وموقعهم في الجبهة المعادية للعدالة الحقوقية الإنسانية الاجتماعية بكل جوانبها؟

ما الفرق بين قصف اليمن أو قصف غزة وقصف سورية أو قصف العراق أو ليبيا أو لبنان؟ أليس الذين يقومون بها هم في جبهة واحدة وعبروا عن ذات المنظومة الرأسمالية الأكثر يمينية التي لا تعير أية قيمة لقيم العدالة الإنسانية؟

العدالة الاجتماعية والقانونية والسياسية والبيئية والإنسانية واحدة والنضال لتحقيقها يكتسب أهمية جمعية لكافة القوى المناهضة لعملية الاستغلال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والاستخدام المزدوج للقانون الدولي ومعايير تنفيذه.

لكل ما سبق فإن المرحلة تتطلب إعادة لقِراءتها من جديد على قاعدة المتغيرات والاصطفاف الجديد المعلن للقوى المعادية ويجب إعطاء أهمية قصوى للحفاظ على جوهر قانونية عدالة القضية الوطنية الفلسطينية التي تتعرض إلى التصفية المتدرجة.

المهمة الأهم لليسار الفلسطيني كمعبر عن قوى التيار الاجتماعي أن تحدد مهامها المحددة من أجل الحفاظ على الظاهرة النضالية الوطنية الفلسطينية وتوحد جهودها وتخوض كافة معاركها السياسية للحفاظ على قانونية الهوية الوطنية والثقافية والسياسية وإعادة النهوض بالحالة الفلسطينية من خلال تغيير أدائها الداخلي عبر إعطاء حيز سيادة الديمقراطية الداخلية فلا يمكن أن تطالب بديمقراطية م. ت. ف. من دون تفعيل الديمقراطية الداخلية واستحقاقاتها.

إن مهمة توحيد تيار اليسار الفلسطيني على قاعدة الناظم الوطني عدالة عودة فلسطينيي المخيم والمعيار السلوك اليومي المرتبط بمهمات محددة لخوض المعركة القانونية والسياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية.

إذا كان هذا هو مفهوم التيار الشعبي العابر للتنظيمات والقوى المطروح فيجب أن يكون مشروطاً بضرورة إعطاء الصفة الديمقراطية ليكون تياراً شعبياً ديمقراطياً معبراً عن التيار الاجتماعي اليساري المقاوم.

فلا يوجد مشكلة في خوض أية معركة تحت هذا المفهوم والمعيار الذي يحكمه الناظم حتى لو كانت الانتخابات الفلسطينية القادمة التي يجب أن ينظر لها كمحطة نضالية لمواجهة مخاطر تصفية القضية الفلسطينية باعتبارها محطة لتفعيل كافة المؤسسات والقوى الاجتماعية واستثمار الحالة الشعبية التي تعارض استحقاقات أوسلو وتبعاته أو المعارك التي تخاض في مواجهة صفقة القرن التي تحمل تصفية تامة للقضية الفلسطينية التي وضحها تصريح سموتريش الصهيوني العنصري الفاشي وزير مالية دولة إسرائيل الإرهابية عبر تحديده للهدف النهائي وهو تخليص الشرق الأوسط من ارتباطه بالقضية الفلسطينية التي تعمل عليه كل من واشنطن وتل أبيب وشركائهم في معاهدات كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة وإبراهام.

ما دامت عدالة المخيم لم تتحقق فإن القضية الفلسطينية قائمة ولا تتحقق عدالتها إلا بتحقيق عدالة المخيم.

إن طبيعة المعركة تفرض أدواتها ووسائلها بناء على ميزان القوى القائم فهناك معارك الحفاظ على الذات (معارك مناضلي الحرية في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨) والمعارك المتنقلة زماناً ومكاناً لمِواجهة التصفية التي ستطال الجميع يميناً ويساراً لكون الهدف الصهيوني يتعارض من حيث المبدأ والجوهر مع الهوية الفلسطينية السياسية والاجتماعية والثقافية ويهدف إلى استمرار إلغاء الهوية القانونية الفردية والجمعية للإنسان الفلسطيني عبر دعمه للفئة الكمبرادورية العربية والفلسطينية المرتبطة بمصالحها الصهيونية الاستعمارية الإحلالية .

وفي هذا الصدد أذكر بموقف سمعه أحد القادة الفلسطينيين في أوائل الثمانينيات من أحد القادة السوفييت وكان رده على شعار تحرير كل فلسطين أجاب القائد السوفييتي: هل وصلتم إلى حدود تل أبيب وطلبنا منكم العودة؟

هذا يحمل معنى أن أي شعار لتحقيقه يلزمه ميزان قوى يحققه.

تحقيق الهدف

طوفان الأقصى في عيون المخيم

وفاء حميد صحفية فلسطينية سورية

يعد طوفان الأقصى المفصل التاريخي الذي أدته المقاومة، وأعادت القضية الفلسطينية إلى الواجهة من جديد، رغم الألم والدمار والحرمان والتجويع الذي يتعرض له شعب غزة، إلا أنها سطرت أقوى ملامح الصمود والتحدي في وجه عدوان غادر فاشي، ألقى بحمم حقده على بلد مسالم، لكنه أثبت زيف رواياته الصهيونية التي إدعاها أمام العالم وأنهم أبناء محرقة مظلومين، لتكون جسرا لعبور استعمارهم ليقبعوا في وطن ليس لهم ويقتلعوا أهلها منه، لكنهم صدموا بصمود أسطوري أدهش العالم أجمع.

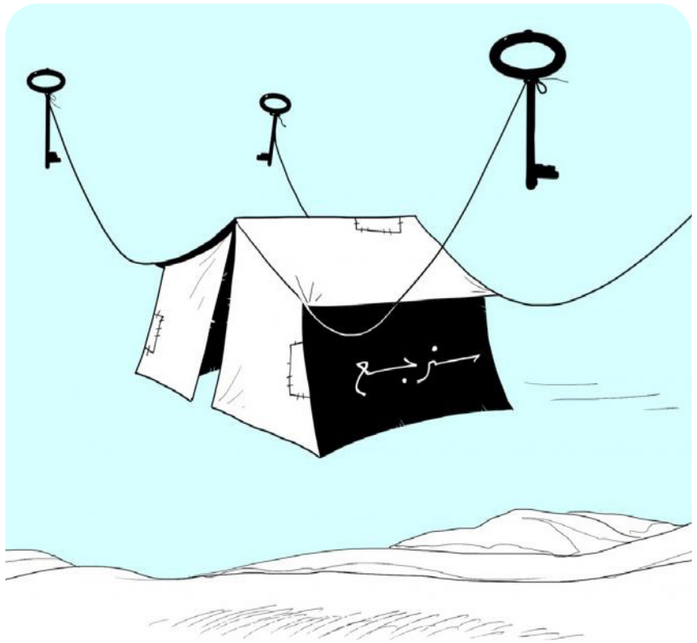

و بمرور عامين على حرب السابع من أكتوبر استمعنا إلى نخبة من السياسيين والمثقفين حول رأيهم بهذا اليوم العظيم ومدى مصداقية صفقة وقف إطلاق النار...

د.حسن نعيم إبراهيم سفير منظمة حقوق الإنسان الدولية، رئيس تحرير وكالة الأنباء، عشتار برس الإخبارية، عضو الحملة الدولية لكسر الحصار عن مطار صنعاء ، والباحث والمحلل السياسي ابراهيم أبو ليل...

أجابنا اولا الدكتور نعيم ابراهيم عن الاسئلة التالية:

- ماهو رأيك بحرب السابع من أكتوبر، بعد مرور عامين؟

إن ما جرى في السابع من أكتوبر ما هو إلا طوفان وإعصار وبركان وزلزال هز العالم كله، وما أقدمت عليه المقاومة مجتمعة وليس حماس وحدها كان نتيجة حصار وقمع وظلم لهذا الشعب المظلوم منذ سنيين طوال، وأي نضال لأي شعب يريد أو يسعى لتحرير أرضه لا بد من تضحيات كما باقي الشعوب، التي تحررت عبر العالم ومن حق هذا الشعب التحرر من نير المحتل والغاصب لأرضه..

- هل تعتقدون أن عملية طوفان الأقصى التي قامت بها حماس صحيحة وجاءت في وقتها؟

نعم، جاء هذا الطوفان العظيم فغربل الزعامات العربية وغربل الشعوب فانكشف الغطاء من مع الحق ومن مع الباطل، وظهر للعيان وللعالم كله تآمر الأنظمة على هذا الشعب منذ عشرات السنين العجاف حيث كسر هذا الطوفان بصموده الأسطوري ولمدة عامين حقيقة جيش العدو الذي وصفوه لا يُهزم ولا يُكسر.

- الرئيس الأمريكي ترامب أعلن عن خطة من أجل تحقيق صفقة التبادل ما رأيكم بهذه الصفقة؟

ومن جهة صمود الإتفاق فهذا الشعب الباسل يعرف حقيقة هذا العدو وصفقاته المشبوهة وما يعلنه أمام العالم وما يخفيه، فهم فاوضوا الله على ما أمرهم بوساطة نبي الله موسى عليه السلام، ونقضوا العهد والميثاق الرباني فكيف مع بشر مثلهم..

نعم لا يؤتمن لهم ولا إلى مواثيقهم ولا إلى اتفاقياتهم أو عهودهم، إن ماجري من مفاوضات في شرم الشيخ ما هو إلا فرض سلام بالقوة الصهيو أمريكة بمباركة عربية وتركية إنها فقط لفرض استسلام وليس سلام...

- ما العوامل التي أدت إلى إخفاق الاتفاق السابق هل من الممكن أن يتكرر ؟

المرحلة الحالية تختص بالأسرى ولكن هناك الشروط الأصعب تسليم السلاح، خروج المقاومة من المعادلة فرض قوى إقليمية ودولية لتسيير أمور القطاع عدم الإعتراف حتى بسلطة رام الله أو حتى إعتراف بدويلة فلسطينية ولو مسخ ترزح تحت قبضة الإحتلال مجردة حتى من السلاح..

كما أجابنا الباحث والمحلل السياسي ابراهيم أبو ليل :

- هل ترى أن هناك أبعاد أمريكية صهيونية لهذه الصفقة، مخفية تحت بنود الخطة ووقف إطلاق النار، أم هي إعلان لفشل نتنياهو وانتصار غزة؟

الخطة هي في الجوهر إسرائيلية بصيغة أمريكية وهي تتصل بالمصلحة الإسرائيلية، ولا تهتم بالمصلحة الفلسطينية. وتسعى لحماية الكيان الصهيوني من العزلة الدولية والتآكل من الداخل، كما يريد استئناف عمليات التطبيع بين الدول العربية والكيان الصهيوني. وهذه الخطة هي تعبير عن فشل نتنياهو الذي يريد مواصلة جرائم الإبادة، وبذلك تكون غزة قد صمدت في وجه العدوان الغاشم وانتصرت سياسياً على جميع خطط نتنياهو رغم حجم الدمار وعدد الشهداء والجرحى.

- في حال نفذ كلا الجانبين بنود اتفاق وقف إطلاق النار، ما هو باعتقادك الترتيب لليوم التالي؟ هل ستكون قوى عربية أم أمريكية دولية عربية باسم حفظ السلام؟ أي تمهيد لإعادة الاحتلال من قبل قوات أمريكية بشكل مباشر؟

بحسب بنود الخطة سيتم تشكيل «مجلس للسلام» بقيادة أمريكية وبإشراف شخصيات مميزة مثل توني بلير، وهناك قوة عسكرية أمريكية يمكن أن تشارك ففيها بعض الدول. وهذا شكل من أشكال الاحتلال لأن قطاع غزة في هذه الحالة سيكون تحت الوصاية الأمريكية.

- هل لترامب أهداف خاصة في اتفاق وقف إطلاق النار وماهي؟

أهداف ترامب تتحدد في إجراء ترتيبات استراتيجية على المستوى الإقليمي تحت اسم «السلام» من أجل بناء الشرق الأوسط الكبير وفق الرؤية الأمريكية. إضافة إلى تحقيق أهدافه الشخصية في الحصول على جائزة نوبل للسلام.

- من سيدير الحكم في قطاع غزة؟

بعد إجراء الترتيبات بإشراف «مجلس السلام» وبوجود قوة أمريكية، سيتم العمل حسب الخطة على تشكيل حكومة تكنوقراط، تستبعد عنها حركة حماس والمقاومة، كما تستبعد عنها السلطة الفلسطينية على الأقل في المراحل الأولى، لأن نتنياهو يرفض تسليم القطاع للسلطة الفلسطينية في رام الله.

- بعد حرب الإبادة التي ارتكبتها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، ماذا يمكن أن تقولوا لهم؟

على الرغم من الجرائم التي ارتكبها الاحتلال، إلا أن الشعب الفلسطيني صبر وتحمل كل هذه الجرائم ولم يفقد إرادته في الصمود أمام العدو الغاشم، وبقي متشبثا بأرضه ومدافعا عن كرامته، ولم يتراجع عن التمسك بحقه، ويصر على مواصلة المقاومة ضد الاحتلال. ولقد صمدتم صمودا لم تصمده أي دولة عربية بكل مكوناتها وتسليحها عبر ما يسمى الصراع العربي الاسرائيلي..

وبدوره وجه الدكتور نعيم كلمة إلى أبناء غزة الصمود، قائلا:

وهنا أوجه تحية إجلال وفخر للشهداء الأبرار من سقطوا دفاعا عن الأرض والعرض والإنسان

والتحية كل التحية للجرحى وللأسرى

وللكل أخت وأم وأب وطفل وشيخ وإلى كل المقاومين الشرفاء ومن ساندهم في صمودهم الأسطوري

الذي هز العالم كله وأنعش النبض الإنساني عند شعوب الأرض قاطبة

فانهال الإعتراف بفلسطين ورفع العلم الفلسطيني في أصقاع الأرض لأول مرة في التاريخ

نوجه التحية لكل حر شريف وقف مع شعبنا في العالم

ان هذا الصراع والنضال لن يتوقف حتى تحرير الأرض فلسطين كلها من بحرها إلى نهرها وبقدسها موحدة لاشرقية ولا غربية

النصر لنا طال الزمن أو قصر ووعد الله حق...

اما بالنسبة لآراء بعض المواطنين في المخيم فقد وجهنا لهم هذه الاسئلة:

- هل تعتقدون أن عملية طوفان الأقصى التي قامت بها حماس صحيحة وجاءت في وقتها؟

يرى البعض أن حرب أكتوبر جاءت بوقتها وان الاحتلال قد تمادى بارتكابه المجازر والتنكيل بحق شعبنا الصامد في غزة وأن له أن يعرف أن لشعبنا قرار في مواجهته ومضى الوقت على أن يكون مدافع فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة...

يبدأ إعلان صفقة وقف إطلاق النار ما رأيكم بهذه الصفقة؟

هو وصف ممارسات أو سياسات معينة، لكن العدو ليس له أمان منذ الأزل وعلى المقاومة أن تأخذ كافة احتياطاتها من هذا العدو الغادر، المعروف عنه عدم الوفاء بالعهود تجاه الفلسطينيين أو أطراف أخرى.

- بعد حرب الإبادة التي ارتكبتها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، ماذا يمكن أن تقولوا لهم؟

أنتم شعب مقاوم ، ونخجل أمامكم من هذا الصمود الأسطوري، لو أمكن لنا أن نكون معكم في محنتكم لكانت فرصة أن نقف جنبا إلى جنب في وجه هذا الكيان الغاصب..

ترجمة

جيل زد ينتفض: النضال من أجل الاشتراكية الدولية

نيبال، إندونيسيا، المغرب، مدغشقر، بيرو، تيمور الشرقية، والفلبين – جيل زد في حالة تمرد

راشيل وايلدر ـ صحيفة Socialist Alternative الأمريكية ـ 23 أكتوبر 2025

ترجمة: نور نوارة

الفساد والبطالة وانعدام المساواة تنتشر عالميًا، لكن جيل زد ضاق بأزمات الرأسمالية وبدأ بالردّ. في إندونيسيا ونيبال، أطلق عشرات الآلاف انتفاضات ضد الفساد واتسعت مطالبهم نحو المساواة ومستقبل أفضل.

نشأ هذا الجيل في عالم متراجع اقتصاديًا منذ أزمة 2008، ثم الجائحة وصعود الأنظمة الاستبدادية وأزمة المناخ. البطالة تضرب الشباب في كل مكان، حتى في الولايات المتحدة التي تجاوزت فيها قيمة «نفيديا» 4 تريليونات دولار بينما يعجز الملايين عن إيجاد عمل.

جيل زد يعيش انحدارًا اجتماعيًا تاريخيًا، ولهذا يقود الاحتجاجات. أسقطت حركاتهم حكومات وعدت بالتغيير دون مساس بجذور الأزمة. المطلوب برنامج اشتراكي يضع الشركات تحت الملكية العامة ويوفّر السكن والعمل، فإسقاط الرأسمالية لن يتحقق إلا بقيادة الطبقة العاملة.

نيبال: الثورة تُسقط رئيس الوزراء

خرج الشباب في سبتمبر بعد حظر الحكومة 26 تطبيقًا للتواصل الاجتماعي في محاولة لإسكات مقاطع تكشف بذخ أبناء السياسيين. كانت المقاطع رمزًا للفجوة الطبقية في بلدٍ يعاني من بطالة وفساد. كتب أحدهم تعليقًا غاضبًا:

(المواطنون لا يملكون حتى الملح، وأنتم تأكلون على صحون من ذهب).

تحتل نيبال المرتبة 107 في مؤشر الفساد، وحملات القمع كشفت أولويات الدولة في حماية سلطتها. قُتل أكثر من 150 شخصًا، وأُجبر رئيس الوزراء الماركسي المزعوم ك. ب. أولي على الاستقالة. انتخب الشباب القاضية سوشيلا كاركي عبر تطبيق «ديسكورد» كرئيسة وزراء مؤقتة.

إندونيسيا: البرلمان يحترق

انطلقت احتجاجات طلابية ضد بدل سكن بقيمة 3,000 دولار لمسؤولي الدولة، تفوق أجور العمال بعشرات المرات. بعد مقتل سائق شاب برصاص الشرطة، تصاعد الغضب وشاركت نقابات عمال التوصيل.

في النصف الأول من العام، شهدت البلاد 20 ألف تسريح شهريًا، فيما نفّذ الرئيس برابوو سياسات تقشفية قاسية. حاول تهدئة الشارع بإلغاء البدل وتعويض أسرة القتيل، لكن الأزمة أعمق. استخدمت السلطات الرصاص والغاز وقطعت الكهرباء لقمع الاحتجاجات. ورغم تراجعها، أثبتت الحركة أن النضال الجماهيري قادر على انتزاع مكاسب، وأن الحل يكمن في قيادة الطبقة العاملة للنضال من أجل السيطرة الديمقراطية على المجتمع.

دروس من بنغلاديش

شهدت بنغلاديش العام الماضي انتفاضة أطاحت برئيسة الوزراء شيخة حسينة بسبب نظام الحصص الذي منح أبناء النخبة معظم الوظائف الحكومية. في بلدٍ يعاني بطالة مرتفعة، فجّر هذا النظام غضبًا واسعًا. ردّت الدولة بقتل أكثر من 1,500 متظاهر، لكن دخول العمال إلى المشهد أجبر الحكومة على التفاوض.

اختير الاقتصادي محمد يونس رئيسًا للحكومة الانتقالية، لكنه لم يعالج التضخم أو البطالة، مما جعل كثيرين يرون أن النظام لم يتغير. يجب أن تُستعاد ذكرى تلك التضحيات لبناء نضال أعمق يهدف لتغيير النظام لا وجوهه.

لا عودة إلى الوضع القائم

أصبحت احتجاجات نيبال وإندونيسيا مصدر إلهام في الفلبين وتيمور الشرقية والمغرب ومدغشقر وبيرو. رغم اختلاف السياقات، تتشارك الحركات غضب الشباب من الفساد واتساع مطالبهم نحو العدالة الاقتصادية.

لكنها تفتقر إلى بديلٍ واضح، ولم تُشرك الطبقة العاملة بعمق بعد. وحدها هذه الطبقة قادرة على إعادة تنظيم المجتمع وفق احتياجات الأغلبية. يجب أن تمتد الحركات إلى المصانع ومواقع العمل للمطالبة بالتأميم وفرض العمل والإسكان.

ورغم رفضها للأحزاب التقليدية، إلا أن غياب التنظيم الديمقراطي يجعلها هشة. المطلوب بناء أحزاب جديدة للعمال والشباب تدير النضال ديمقراطيًا.

ليست وسائل التواصل سبب هذه الثورات بل تعفّن النظام الرأسمالي نفسه. النضال ضد الرأسمالية يجب أن يكون عالميًا، وهذا ما تدعو إليه منظمة البديل الاشتراكي الدولي التي توحّد هذه الحركات في نضالٍ واحد من أجل تحرر الطبقة العاملة.

حوار الهدف الثقافي

مع الروائية الأردنية

كفى الزعبي

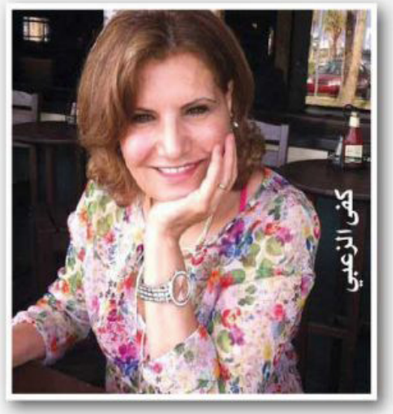

حوار:
أمينة عباس – صحفية سورية

مواليد 1965 وحاصلة على بكالوريوس في الهندسة المدنية من جامعة بطرسبورج في روسيا، أصدرت مجموعة من الروايات منها: «سقف من طين»، «عد إلى البيت يا خليل»، «ليلى والثلج ولودميلا»، «ابن الحرام»، و«سين».

روائية أردنية تقيم في روسيا منذ سنوات طويلة، استطاعت عبر رواياتها تقديم ما هو مختلف في عالم الرواية العربية على صعيد الشكل والمضمون، وصلت روايتها «شمس بيضاء باردة» إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية «البوكر» عام 2019، قامت مؤخراً بتوقيع روايتها «عُد إلى البيت يا خليل» بنسختها العربية في الأردن، بعد أن كانت قد أصدرتها عام 2009 بنسختها الروسية التي كتبتها إثر ما شاهدته على مدار أسبوعين من يوميات القتل والإجرام والتوحش في أحداث نيسان 2002 في مخيم جنين ومدن الضفة.

■ **نبدأ حديثنا عن روايتك «عُد إلى البيت يا خليل»، أية خصوصية تحملها هذه الرواية بالنسبة لك كروائية؟**

ربما تكمن خصوصية هذه الرواية في موضوعها.. قبل شهر من البدء بكتابتها لم يكن يخطر ببالي أنني سأكتب رواية عن القضية الفلسطينية، لا سيما وأنني كنتُ حينذاك منغمسة في كتابة روايتي «ليلى والثلج ولوديميلا» وتوقفت عن الكتابة مع بدء أحداث نيسان عام 2002 في مخيم جنين ومدن الضفة، وكان هذا الحدث وقتها صادماً بالنسبة لي على الرغم من معرفتي بتاريخ القضية الفلسطينية والمجازر التي ارتكبها الاحتلال الصهيوني بحقّ الشعب الفلسطيني، بيدَ أنها كانت المرة الأولى التي أشاهد فيها على الشاشة بثاً حياً ومباشراً على مدار قرابة الأسبوعين ليوميات القتل والإجرام والتوحش، ولعلّ ذلك المشهد يبدو الآن على خلفية المأساة الغزاوية الفظيعة بسيطاً ومحتملاً، لكنه آنذاك كان بمثابة مواجهة أولى بالصوت والصورة مع المأساة الفلسطينية، لهذا كان تأثيره هائلاً عليّ، وحينما انتهت كنتُ ممتلئة بمشاعر الغضب والحزن والعجز، لهذا أجّلتُ استكمال الرواية التي بين يديّ وشرعتُ بكتابة «عد إلى البيت يا خليل».

■ **ما سبب إصدارك لها أولاً باللغة الروسية عام 2009؟**

كانت وسائل الإعلام الروسية في تلك الفترة منحازة على نحو أعمى للسردية الإسرائيلية الصهيونية، لهذا انتابتني رغبة عارمة في إيصال الحقيقة للإنسان الروسي الذي يتلقى أخباراً زائفة تشوّه حقيقة القضية الفلسطينية وتصوّر الفلسطينيين كإرهابيين همجيين يعتدون على دولة (متحضرة).

■ **ماذا تطلَّب منك كروائية ليصل خطابك عن فلسطين بشكل صحيح إلى الآخَر؟ ومتى ينجح الأديب في تحويل الأحداث الحقيقية إلى مادة روائية؟**

لا شيء سوى الصدق الفني والابتعاد عن الفبركة والتكلف وعن اللغة الخطابية الإنشائية المبهرجة، وبموازاة ذلك محاولة تصوير الألم الحقيقي غير المبتذل الناتج عن مأساة حقيقية، ذلك أن الأدب -كصنف من صنوف الفن- يعتمد بالدرجة الأولى على مخاطبة المشاعر في إحداث التأثير المطلوب لدى المتلقي وليس عبر لغة ضحية تولْول وتشكو وتصرخ بل عبر تصوير الجريمة الفظيعة وانعكاساتها وأثرها عليه كضحية، أما تحويل الأحداث الحقيقية إلى مادة روائية فهذا ليس بالسؤال الصعب، فالحدث سواء كان حقيقياً أم متخيلاً هو عنصر رئيس من عناصر الرواية، والسؤال هنا هو حول كيفية توظيف هذه الأحداث الحقيقية في سياق محدد مقنع فنياً وقابل للتطور وتتحرك في فضائه الشخصيات وتمارس وجودها المأزوم.. إذا كان الحدث حقيقياً فإن بناء الشخصيات وبناء السياق هما السؤالان الأهمّ اللذان يحددان بالمحصلة نجاح أو فشل المقولات التي تهدف الرواية إلى طرحها.

■ **هل نجح الروائي العربي في كتاباته حول القضايا المصيرية في مخاطبة الآخر؟**

أظن أن الكاتب بغضّ النظر عن جنسيته لا يضع حينما يكتب نصب عينيه قارئاً ما سواء كان من أبناء أمته أم كان آخر، وللكتابة الناجحة شروط لا تدخل فيها جنسية القارئ، لهذا فإن السؤال حول نجاح الكاتب العربي في مخاطبة الآخر يقودنا إلى سؤال: هل نجح الكاتب العربي أصلاً في كتابة الرواية؟ وإجابتي هي: بالطبع نعم، فلدينا روائيون مبدعون كبار من مختلف الدول العربية، خصوصاً روائيو القرن العشرين، وبعضهم وصل للعالمية كنجيب محفوظ، وآخرون بدرجة أقل، وهناك من لم يحظَ بشهرة عالمية يستحقها كغسان كنفاني مثلاً، وأظن أن السبب يكمن في اللوبي الصهيوني المهيمن على المشهد الثقافي والأدبي العالمي.

■ **هل تتفقين مع من وصف رواية «عُد إلى البيت يا خليل» بأنها استكشاف وثائقيّ للحال الفلسطينية؟ وما مفهومك للرواية الوثائقية؟**

بالطبع لا أتفق.. صحيح أنني في هذه الرواية اعتمدتُ على أحداث تاريخية حقيقية تَتبعتُ على خلفيتها قصة متخيلة لشاب هو سليل عائلة عاشت المجازر الصهيونية بدءاً من مجزرة دير ياسين ثم مجزرة صبرا وشاتيلا، وانتهاء بمجزرة مخيم جنين، لكن ذلك حتماً لا يجعلها استكشافاً وثائقياً يهدف للتأريخ، فالعمل التوثيقي له شروط وسمات تختلف عن شروط الرواية، وحين نحكم على عمل أنه وثائقي فإننا ننفي عنه الشروط الفنية المطلوبة في الرواية كالبنية الفنية واللغة الأدبية والشخصيات والحبكة والصراع والتطور والخيال، فالخيال أيضاً حاضر في هذه الرواية، وأتذكر هنا تعليقَ كثير من القراء الروس على الرواية في مواقع الكتب ولم يصفها أي منهم بالرواية الوثائقية، وغالبيتهم أشاروا للواقعية السحرية فيها، وقد فوجئتُ حين قرأتُ ذلك، خصوصاً وأنني لم أقصد اللجوء للواقعية السحرية كشكل فني، ولم أعرف أنني كتبتُها، ولست أدري حتى اللحظة إن كانوا محقّين في حكمهم أم لا، لكنني أثناء الكتابة لجأتُ للخيال في كثير من المواقع كحلول لأسئلة فرضها الواقع، فمثلاً مسألة عودة البطل إلى فلسطين وهو لاجئ فلسطيني في لبنان، بينما من المعروف أن عودة اللاجئين من لبنان إلى فلسطين مستحيلة، أما باقي الشخصيات تحيا في الواقع نفسه مثلما تحيا في واقع آخر متخيل كان يمكن أن يكون لولا الاحتلال.. إنها تعيش الاحتمالات الأخرى الممكنة لوجودها حين يعادل وجودها في الواقع الغياب أو الموت، وفي هذه الاحتمالات يحضر الواقع الموازي (ما كان يمكن أن يكون) مثلما يحضر الماضي قبل الاحتلال بذكرياته، ومثلما تحضر أحلام ذلك الماضي التي تبدو كأنها ذكريات أخرى عيشت ثم مخاطبة الشخصيات لبعضها البعض في حوارات لم تجر في واقع الأمر.. هناك إذن عدة حيوات حقيقية ومتخيلة، متداخلة ومتشابكة تنتقل الشخصيات بينها على امتداد زمن الرواية، وبهذا المعنى حاولت فهم الشخصية الفلسطينية التي تحيا مأزقاً وجودياً من خلال استكشاف نوعية هذا الوجود في ظل ظرف لا إنساني يحتّمه احتلال يقوم وجوده على إلغاء الآخر وإبادته وفنائه.

■ **بدأتِ كتابة «عد إلى البيت يا خليل» كما أسلفت في العام 2002 أثناء حصار مخيم جنين للاّجئين واجتياح مدن الضفة الغربية، فهل ما تشاهدينه اليوم في غزة قابل للكتابة؟ وهل هناك كاتب قادر على الارتقاء بنصّه إلى حجم ما يحدث؟**

كل ما يجري في الحياة بدءاً من الأحداث الشخصية الصغيرة وانتهاء بالمآسي الكبرى هو قابل للكتابة، فالحياة هي مادة للكتابة، ومن المؤكد أن هناك روائيين قادرين على كتابة المأساة الغزاوية.. أقرأ أحياناً نصوصاً يكتبها بعض الغزاويين على صفحاتهم، وبقدر ما هي مؤلمة بقدر ما هي مدهشة من الناحية الفنية.. سردٌ عارٍ من بهرجة اللغة، بسيط لمواقف تبدو بسيطة لكنها قاسية ومشحونة بالألم، لفَتني ذات مرة نصّ عنوانه «عرس في غزة» ففي لحظة تحول العرس إلى ما يشبه العزاء (فرح جنائزي) بدا لي المشهد سوريالياً وعميقاً ومؤثراً إلى درجة أنني بكيتُ وأنا أقرأ النص، وأظنّ أن ذلك الروائي الذي سيقوى على الارتقاء بنصه ليوازي به حجم المأساة سيولد من رحم هذه المأساة ذاتها، من غزة نفسها سيكون واحداً، أو كثراً من الذين عاشوا هذه العذابات وطفحت ذاكرتهم بها، وسيأتي يوم تفيض فيه على الورق.

> نصوص بعض الغزاويين مؤلمة ومدهشة من الناحية الفنية

■ قرأتُ لكِ تصريحاً بعد صدور الرواية تقولين فيه: «بالنسبة لي الفن هو الوسيلة الأهم لإبقاء الألم حيّاً، ليس لذاته بل كوسيلة لمكافحته، فكم نحتاج اليوم من الروايات للقيام بفعل التطهير من الآلام التي يشعر بها كل واحد منا تجاه ما يحدث في غزة اليوم؟

ما قصدتُه بإبقاء الألم حياً ليس لغاية التطهر منه بل كوسيلة لاستثارة إنسانيتنا التي تبلدت.. نتألم في البداية، ثم نعتاد المشهد ما دمنا لسنا نحن الذين نتعذب، والإنسان أناني بطبعه، وحينما لا تكون المأساة مأساته الشخصية فهو قادر على طرح الألم من نفسه دون الحاجة إلى الأدب ليطهّره، مع أن غزة بالنسبة لنا كعرب هي مأساتنا الخاصة في الجوهر، لكننا لم نفقد شهيتنا للطعام، ولم نفقد لهفتنا للفرح والاستمتاع بالدفء أو ببرودة مكيف الهواء، بينما نغضّ البصر عن أهل غزة وهم جوعى ويحترقون ويُبادون.. إنه لمن الغريب أن نكون بهذه البلادة بينما تتأثر شعوب أخرى فلا يمرّ يوم إلا ونسمع فيه عن مظاهرات حاشدة في هذه المدينة أو تلك، أو نسمع عن أساليب مختلفة للاحتجاج، وبالنسبة لي هذا سؤال محيّر جداً: هل نحن العرب أنانيون وذاتيون إلى هذه الدرجة؟ هل نحن في غيبوبة؟ وما هو سرّ بلادتنا؟ لا أفهم كيف لا يقلب ما يحدث حياتنا رأساً على عقب؟ لذلك يحتاج الإنسان العربي برأي لكثير من الفنّ: الأدب، الموسيقى، المسرح، السينما، ليرتقي إلى إنسانيته ويجتاز أناه ويفكر بالآخر الذي هو أخوه، ويشعر بالتالي بضرورة الفعل.

■ هناك اعتقاد شائع بأن الأدب الروائي الذي تكتمل عناصره الفنية هو الأدب الذي يحرك مشاعر الإنسان وانفعالاته أكثر مما يحرك فكره، فهل تتفقين مع هذا الاعتقاد؟

أجل، صحيح أن الأدب يحمل مقولات فكرية وفلسفية وإنسانية وأخلاقية، لكنه في كلّ الأحوال يعتمد على أدوات فنية جمالية تخاطب أحاسيسنا، فالجمال ذاته مسألة حسية، ولا يمكن لنا التفاعل مع الأعمال الفنية -بما فيها الأدبية- إن افتقرت لعناصر الجمال والمتعة والقدرة على اختراق لامبالاتنا وإصابة مشاعرنا وتحريكها، فإن لم يحدث ذلك فسنحيد بنظرنا عنه أو نلقي الرواية من أيدينا حتى لو كانت تحمل أفكاراً عظيمة غير مسبوقة، والمتعة الناتجة عن جمالية النص بكل عناصره هي الباب الوحيد الذي ندخل منه إلى رحاب هذا النص وهي التي تبقينا فيه وتدفعنا لتلقي أفكاره وتأملها.

■ يقول ميلان كونديرا في كتابه فن الرواية: «يجب على الفن الروائي الجديد ألا يحمل رسالة نهائية حاسمة بل يظل افتراضياً وساخراً بالدرجة الأولى» فهل يصح هذا الكلام في الكتابة عن القضية الفلسطينية؟

مرت سنوات طويلة على قراءتي لهذا الكتاب، وما أذكره أن كونديرا يقول فيه: ما يميّز الرواية قدرتها على كشف ما لا يستطيع غيرها كشفه، وبهذا المعنى فهي تحمل رسالة مهمة: الكشف، أو إضاءة ما لا يستطيع غيرها إضاءته في الوجود الإنساني، أما بخصوص السخرية في الرواية فقد نظر إليها لا كرسالة غايتها الفكاهة والهزل بل كوسيلة ضد اليقين، كتب في سياق حديثه عن رواد الرواية الأوروبية في عصر النهضة، وعلى رأسهم سرفانتس الذي حوّل مفهوم البطل التقليدي إلى بطل هزلي، يضع على رأسه بدل الخوذة طنجرة نحاسية، ويحمل بيده رمحاً صدئاً، ويحارب طواحين الهواء، وفي هذا السياق فإن الكتابة عن القضية الفلسطينية تنطوي في مضمونها (حتى لو كانت ساخرة) على رسالة حاسمة لا يمكن تفاديها لأنها تنبع من قلب السؤال عن الشرّ والخير.. وأودّ القول هنا إنني من المعجبين جداً بإبداع كونديرا، غير أنني أواجه مشكلة في فهم سرّ ازدواجية المعايير لديه فقد انتقد بحدة وسخرية ثاقبة النظام الشيوعي (وليس لديّ اعتراض على ذلك، فكل الأنظمة قابلة للنقد والمساءلة) لكنه في الوقت نفسه غضّ البصر عن الغرب بأنظمته الرأسمالية الليبرالية والاستعمارية التي استعبدتْ قروناً شعوباً أخرى، ولم تكف تفعل. لم يأتِ كونديرا في كتبه ورواياته على نقد الغرب أو الإشارة للإنسان الآخر غير الأوروبي الذي كان ولا يزال ضحية للغرب، مثلما استفاض في الكتابة عن ضحايا النظام الشيوعي. أما فيما يخص القضية الفلسطينية فلا أعرف إن كان قد كتب شيئاً عنها، وربما كتب وفاتني أن أقرأ، لكنه كتب عن (إسرائيل) بما يفي بالغرض كما عند استلامه لجائزة القدس التي منحته إياها (إسرائيل) في العام 1985 فكتب واصفاً هذا الكيان المصطنع بأنه «الوطن الصغير الذي عثر عليه اليهود أخيراً».. عثروا عليه كأنما عثروا على لقية منسية ومهملة في غابة ما بمحض المصادفة ولم يؤذوا بتملكها أحداً.. بهذه الجملة القصيرة ألغى كونديرا شعباً كاملاً ووطناً لهذا الشعب كان اسمه فلسطين.. وبهذه الجملة شطب الاحتلال والجرائم التي ارتكبت لإنجازه، وظلت ترتكب على مسمع ومرأى منه! هذا الموقف بالنسبة لي ينسف صدقه في الإيمان بالمقولات العميقة التي قدمها حول الإنسان والرواية والوجود، كأنها مجرد تنظيرات جميلة لا تمت لقناعاته وسلوكه بصلة. ربما نحن بحاجة لرواية يكتبها مبدع بمستوى كونديرا يستكشف فيها على نحو ساخر سرّ موقف كثير من المبدعين الغربيين، ومن ضمنهم كونديرا ذاته، من قضية يتجلى فيها الشر المطلق، لكنهم يرونه خيراً.

■ وُصفت روايتك «ليلى والثلج ولودميلا» بأنها رواية ملحمية كلاسيكية بشكلها التقليدي، في حين اعتمدت الميتاسرد شكلاً فنياً لروايتك «س» فهل أنتِ من الروائيين الذين يشكل الشكل الفني هاجساً لديهم؟ ومتى يصبح هذا الهاجس خطراً على الرواية؟

الشكل الفني بالنسبة لي هو على علاقة جدلية مع المضمون، فكل منهما يحدد الآخر، حيث يصبح هذا الأمر خطراً حين يكون الشكل الفني غاية بحدّ ذاته.. في «ليلى والثلج ولودميلا» تناولتُ مرحلة انهيار الاتحاد السوفييتي وما تبعها من تحولات كبرى على جميع الأصعدة بما فيها تحولات القيم والمفاهيم، في ضوء هذه التحولات وموت الحلم العرب بالاشتراكية والتحرر، تناولت أيضاً سؤال الأنا-العربي، والآخر-الروسي وتزخر الرواية بالشخصيات الروسية والعربية وتعدد أصوات وخطوط درامية كثيرة، لهذا وجدتُ أن السرد بلسان الراوي العليم هو الوسيلة الأفضل للكتابة لتناول هذه الأسئلة وقراءة الظروف والسياقات التي وُجدت الشخصيات فيها وبحث كل منها عن الخلاص الفردي بعد انهيار الحلم بالخلاص الجماعي، مع الإشارة إلى أنني أتحفظ على مصطلح «الكلاسيكي» أو «التقليدي» في وصف الرواية، فالأسلوب الكلاسيكي هو ذاك الذي يعتمد التسلسل الزمني الصارم للأحداث ويقوم على معمار هرمي (بداية، عقدة، نهاية) ويقدم لتاريخ الشخصيات، وهذه أمور ابتعدتُ عنها في بناء هذه الرواية، أما الميتاسرد فأول تجربة لي في استعمال هذا الأسلوب كانت في رواية «عُد إلى البيت يا خليل» حينها حتّم عليّ موضوع الرواية اللجوء إلى هذا الشكل: موضوع القضية الفلسطينية.. هي إذن عن مكان لم أكن أنا ككاتبة فيه أبداً، ولم أعش تجربة الاحتلال، لهذا جعلت الكاتبة حاضرة في الرواية، تعلن للقارئ منذ اللحظة الأولى أنها تؤلف رواية وتدخله إلى مختبر تأليفها، وقد منحني هذا الشكل المجال لتبرير الخيال وحل كثير من الأسئلة الناتجة عن تصادم واقعية الأحداث التاريخية مع تطور السياق الذي تسعى الرواية إليه، وفي رواية «س» تجلّى هذا الشكل بالتحامه مع المضمون أو مع الفكرة العليا للرواية: الإنسان أسير نصه الواقعي الذي يحياه في الحقيقة.. نص مجهول المؤلف، تحكمه منظومات فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية.. إلخ، ولا مجال للهرب منه إلى بعد آخر.. إنه ورطة الإنسان الفرد المختلف نفسياً وفكرياً عن النص الذي يعيش في متنه وهو غريب فيه ويتوجب عليه الخضوع لأحكامه وقوانينه، حيث تحيا بطلة الرواية «س» داخل رواية تؤلفها روائية تبحث عن بطلتها لتخضعها لنصها، أي لتمارس سلطتها على النص، و«س» تتساءل وتحلم بالهروب من هذا النص هناك اذاً نصّان: نص الروائية ذاتها، وداخله النص الذي تؤلفه، وكل من المؤلفة وبطلتها تتساءلان: هل ثمة وسيلة للهرب من هذه النصوص؟ هل بالوسع التمرد على سلطة المؤلف؟

> الروائي الذي سيرتقي لحجم المأساة سيولد من غزة

■ تعيشين في روسيا منذ سنوات طويلة، فهل تغير مفهومك للوطن نتيجة هذه السنوات؟ وكيف انعكس ذلك على ما تكتبين؟

لا زالت مقيمة في روسيا ونتيجة لهذه الإقامة الطويلة في روسيا التبس لديّ معنى الوطن، لم أفقد انتمائي للأردن، لكنني صرتُ أنتمي أيضاً لروسيا، والآن تبدو لي فكرة الانتماء إشكالية إلى درجة ما، لم تعد تحمل المضامين التقليدية للكلمة، فأصبح الوطن مفهوماً أقرب إلى التجريد منه إلى مكان محدد واضح المعالم يتسم بغنائية أو شعرية ويثير الحنين، ولم أعد أشبه الأردن تماماً، ولستُ أشبه روسيا تماماً، أصبحتُ كائناً هجيناً، وثمة مسافة تفصلني عن المكانين، لهذا ربما سؤال المكان وسؤال الأنا والآخر حاضر فيما أكتب، وهي محاولة للاعتلاء والعثور -من خلال الأدب- على مساحة خيالية لمتناقضين تسود فيها هوية إنسانية جامعة بدل الهويات القاتلة كما يسميها أمين معلوف.

■ وصلتْ روايتك «شمس بيضاء باردة» إلى القائمة النهائية القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية للعام 2019 فماذا عنى لك هذا كروائية؟

قدمني للقارئ العربي، وللأسف نحن الآن في زمن تحتكر فيه الجوائز الكتّاب والقراء، فوحدها الروايات التي تدخل قوائم هذه الجوائز أو تفوز بها هي التي يقبل عليها القارئ.. لقد استحوذت الجوائز أيضاً على الدور الذي كان يقوم به النقد سابقاً، بات النقاد لا يلتفتون إلا للروايات التي تدخل هذا السباق، أما الكاتب الذي لا يدخلها فسيحكم على عمله بالظلام، لهذا وافقت دار النشر على تقديم روايتي تلك للجائزة، لكنني أعلنتُ بعدها عن رفضي الترشح ثانية للجوائز الخليجية لسببين: الأول إعلان دولة الإمارات، مانحة جائزة البوكر، تطبيعها للعلاقات مع الدولة الصهيونية، والثاني هو الإشكالية التي حدثت وقت مشاركتي في هذه الجائزة، فقد كتب حينها رئيس اتحاد كتاب الإمارات ورئيس الاتحاد العام للكتّاب العرب حبيب الصايغ مقالة في جريدة «الخليج» يستنكر فيها دخول روايتي القائمة القصيرة، في الوقت الذي كنتُ أنتقد فيه دعم دول الخليج لما سمّي بالربيع العربي.. إنه اعتراف بتسييس الجائزة، الكلام نفسه لم يكن غريباً، ما كان غريباً بالنسبة لي هو أن يصدر عن شاعر وكاتب ومثقف وفوق ذلك رئيس اتحاد الكتّاب العرب. أين إذن حرية الكاتب في اتخاذ هذا الموقف السياسي أو ذاك؟ وهل يجب محاكمة النص، ترشيحه أو عدم ترشيحه، بالاعتماد على مواقف صاحبه؟

> أصبح الوطن مفهوماً أقرب إلى التجريد

■ من هو القارئ الذي تستهدفينه في كتاباتك؟ وهل يمارس سطوته عليك؟

لا أستهدف أي قارئ، فأنا أكتب كي أعبّر عن نفسي وعن رؤيتي للعالم، ويعجبني الخوض في مواضيع تنطوي على أسئلة تبدو لي جوهرية وإشكالية، لأستكشف فيها الوجود الإنساني وكينونة الشخصيات فيه.

■ ما بين الرواية الأولى والرواية الأخيرة من هي اليوم الروائية كفى الزعبي؟ وأي جديد لديكِ؟

ما بين الرواية الأولى والأخيرة حدث تطور ونضج في تجربتي، وظلّت رؤيتي ومواقفي من المسائل الكبرى ذاتها، لكن الكتابة خلصتني من القناعات المطلقة، ووسعت من رؤيتي الشمولية للعالم، وأكتب الآن ثنائية «ليلى والثلج ولودميلا» وأفعل ذلك منذ أربعة أعوام، والطريف أنني ومثلما توقعتُ قبل أكثر من عشرين عاماً عن كتابتها حين اندلعتْ أحداث مخيم جنين وشرعت بكتابة «عد إلى البيت يا خليل» توقعتُ قبل عامين عن كتابة ثنائيتها، إذ اندلعت أحداث غزة المأساوية، وعدتُ لتحرير «عد إلى البيت يا خليل» كي أصدرها باللغة العربية، وانقطعت لمدة أشهر عن كتابة الثنائية، ولا أعرف إن كان ذلك يشير لعلاقة ما سرية وغيبية بين الروايتين.. صحيح أنني علمية في فهمي للعالم، لكن بعض

«طوفان الأقصى.. هل كان انفجارًا في الميدان أم يقظةً في الوعي الجمعي؟»

(قراءة ثقافية في رمزية الحدث وتحوّلات المعنى بين المقاومة والذاكرة)

تغريد بومرعي
كاتبة لبنانية مقيمة في البرازيل

في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023، أطلقت حركة حماس عملية أطلقت عليها اسم «طوفان الأقصى»، وقد اعتُبرت من قبلها ومن العديد من الأطراف الأخرى نقطة فارقة في الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. يُمكن النظر إلى هذه العملية كحدث عسكري- أمني، لكن من زاوية ثقافية تهمّنا أسئلة مثل: ما الذي جعلها محطّ اهتمام واسع؟ كيف تحوّلت إلى رمز؟ ما هي القراءة الثقافية والاجتماعية التي يمكن استخلاصها؟ وما دلالاتها في اللحظة الراهنة؟

من ناحية الخلفية التاريخية، من المهم وضع ما سبق طوفان الأقصى في السياق:

للصراع الفلسطيني- الإسرائيلي جذور تاريخية عميقة، تشمل الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية عام 1967 وما تلاه من استيطان وتوسّع وسياسات حصار تجاه قطاع غزة.

لقد شكّلت السنوات التي سبقت أكتوبر 2023 حالة من الجمود السياسي، والقمع العسكري، وتصاعد الاستيطان، وحالة من الإحباط العام في المجتمع الفلسطيني.

في هذا الإطار، برزت حماس كقوة مقاومة تحتفظ بقدرتها الرمزية لدى قطاع واسع من الفلسطينيين.

عملية طوفان الأقصى جاءت في هذا المناخ، وسُجّلت بأنها، بحسب قادة المقاومة، ردّ طبيعي على استمرار الاحتلال والسياسات التوسّعية والضمّ والتهويد بحق القدس ومحيطها.

من الجانب الإسرائيلي، اعتُبرت هذه العملية بمثابة «زلزال أمني» هزّ ثقة الكيان والأجهزة الأمنية فيه، وأعادت فتح نقاشات حول هشاشة الردع الإسرائيلي.

طبيعة عملية طوفان الأقصى:

لحظة البدء: فجر يوم السبت 7 أكتوبر 2023، أطلقت حماس عمليتها التي استهدفت مستوطنات غلاف غزة، وعدّت أنها شملت تسللاً برياً وجواً وبحراً.

التوصيف الداخلي للمقاومة يؤكد أنها «نقلة موضوعية» في مسار المقاومة، وأنها أعادت إسرائيل إلى «نقطة الصفر».

في المقابل، تُشير مقالات تحليلية إلى أن العملية شكّلت اختباراً لقدرات «محور المقاومة»، ومدّت الصراع إلى أبعاد إقليمية أوسع، وجعلت من الأزمة الفلسطينية محوراً جديداً في المعادلات.

البُعد الرمزي والثقافي:

الاسم «طوفان الأقصى» بحدّ ذاته يحمل دلالات قوية: «طوفان» = قوة جارفة، تحوّل، اقتحام، ربما ثورة. «الأقصى» = إشارة مباشرة للمسجد الأقصى، الذي يحظى بقدسية دينية وتاريخية لدى المسلمين، وكذلك يتّخذ عنواناً للهوية الفلسطينية. هذا الربط بين القوة والجغرافيا المقدّسة يعطي للعملية بعداً على مستوى الخطاب الثقافي.

في المجتمعات الفلسطينية والعربية، استُخدمت العملية كمحفّز للفخر والمقاومة، وتصويرها كمحور يُعيد القضية الفلسطينية إلى الواجهة السياسية والدولية.

في الجانب الإسرائيلي والإعلام الغربي، اعتُبرت لحظة انهيار لثقافة الردع، وصُوّرت باعتبارها هزيمة رمزية قبل أن تكون عسكرية.

من زاوية الثقافة الشعبية، يُمكن ملاحظة كيف استُخدمت العملية في الخطاب الدعائي، الشعارات، الإعلام الاجتماعي، وحتى في استحضار بطولات المقاومة، الأمر الذي يعزّز مفهومها كحادث ثقافي وليس فقط عسكري.

التأثيرات السياسية والاجتماعية على المستوى الفلسطيني:

أعادت العملية الديناميكية إلى المسار الفلسطيني، إذ أعادت طرح سؤال التحرير والهوية والمقاومة في صيغتها المعاصرة.

لكنها في المقابل رفعت تساؤلات حول التكلفة البشرية والمادية، وإمكانية الوصول إلى الأهداف المعلنة (ككسر الحصار، وقف الاستيطان) وهو أمر اعترف به بعض القيادات لاحقاً: «كسر الحصار ... لم يتحقق» تصريح لقيادي في حماس.

التأثير الاجتماعي: أوجدت حالة من الحضور المكثّف للقضية في وعي الجيل الفلسطيني والعربي، لكنها أدّت أيضاً إلى مزيد من المعاناة، لا سيّما في قطاع غزة التي عاشت حرباً شديدة.

على المستوى الإسرائيلي، خلّفت العملية أزمة ثقة داخلية، أظهرتها استقالة رئيس أركان الجيش الإسرائيلي لاحقاً، وهو ما يعطي دلالة رمزية على عمق التأثير.

أبرزت هشاشة المنظومة الأمنية الإسرائيلية في مواجهة اختراق مفاجئ، ما فتح نقاشات حول مستقبل الدولة، القيادة، العلاقة مع المجتمع.

من جهة الإعلام والدعاية، أصبحت «طوفان الأقصى» مادة متداولة بكثافة، استُخدمت في الحملات الإعلامية، والتعبئة، ووسائل التواصل الاجتماعي، مما يضعها في مسار ما يمكن تسميته «حرب الروايات».

من المهم أن ننظر أيضاً إلى الأبعاد النقدية للعملية، بما يشمل الجانب الأخلاقي،

التكلفة، وما بعد الحدث:

تكاليف بشرية ومادية ضخمة: الحرب على غزة وما تبعها خلّفت مأساة إنسانية. هذا الأمر يعيد سؤالاً: «إلى أي حدّ تُحسب العمليات العسكرية على أنها أدوات فعالة للتحرير؟».

تحقيق الأهداف: رغم ما أعلن، ليست كل الأهداف المعلنة تحقّقت بوضوح. بعض المعارضين يقولون إن العملية لم تغيّر بشكل فعلي المعادلات الاستعمارية أو الكيان الاستيطاني.

مخاطرة التصعيد: حين تتحوّل العمليات إلى رموز، تصبح جزءاً من دورة تصعيد مستمرّة، ما يضع المجتمعات في حالة حرب دائمة، وهذا له آثار ثقافية واجتماعية طويلة الأمد: تأخّر التنمية، تدمير البنية التحتية، التفكّك الاجتماعي، وطول أمد الصراع.

من ناحية الثقافة، هناك تحوّل واضح: المقاومة لم تعد فقط فعلاً سطحياً، بل أصبحت نمطَ حياة، خطاباً، وحتى صناعة إعلامية. وهذا يحمل في طيّاته مخاطرة تبنّي أسلوب «الحرب- رواية» بدلاً من التركيز على الدولة، الاقتصاد، المستقبل، والتعليم.

دلالاتها الثقافية على المدى الطويل: العملية أعادت تأكيد الهوية الفلسطينية على نحو مختلف، ليس فقط كضحايا أو مسلمين، بل كمقاومين، فاعلين، ونهضة محتملة.

«الأقصى» كمكان و«طوفان» كفعل تركا أثراً في الخطاب، أصبحا شعاراً، قصيدة، نشيداً، تطلق في وسائل الإعلام والمقابلات والتحليلات.

باتت هناك ثقافة إنتاج (أغاني، فيديوهات، خطاب إعلامي، شعارات) حول طوفان الأقصى والمقاومة، تجعل الحدث يدخل في بُنى الذاكرة الجماعية.

أما الجغرافيا الثقافية، ليس فقط غزة أو الضفة الغربية، بل امتدّت الدلالات إلى بعض الدول العربية والإسلامية، ما جعل العملية حدثاً إقليمياً، لا محلياً فحسب.

التمثُّل الإعلامي: كيف تُروى القصّة؟ من منطلق قوّة، إذلال، مفاجأة، صراع عدالة؟ الإعلام يلعب دوراً أساسياً في صياغة المعنى. مقالات تحليلية تشير إلى أن المعركة الإعلامية بعد العملية كانت محورية.

الأثر على الأجيال: لدى الناشئة الفلسطينية والعربية، أصبحت «7 أكتوبر / طوفان الأقصى» لحظة فارقة تُدرّس، تُروى، يُستعاد ذكرها كسياق تحدٍّ وانتصار، وهو ما يعني أنها دخلت في سجل الذاكرة الثقافية.

أما لمن ينظر من الخارج أو في السياق العالمي، تُظهر أن الصراعات اليوم ليست فقط عسكرية أو جغرافية بل ثقافية وإعلامية، فساحة الصراع تتوسّع لتشمل الإعلام، الذكريات، التاريخ، الرمزية.

تُجسّد عملية طوفان الأقصى كيف يمكن لحدث عسكري أن يتحول إلى رمز عالمي، وهو ما يعني أن تحليل الصراع لا يكتفي بالميدان بل يتطلّب قراءة في الرموز والثقافة والمجتمع.

تُذكّر بأن المجتمعات المُهمّشة أو المُحتلّة غالباً ما تسعى إلى لحظة تفوّق رمزي أو قلب معادلات حتى إن لم تغيّر الموازين العسكرية بالكامل. بالتالي، فهي قراءة في كيف تُفكّر المجتمعات في مقاومتها، ليس فقط من خلال القوة، بل من خلال المعنى.

من منظور العلاقات الدولية، أظهرت أن الصراع الفلسطيني/ الإسرائيلي لديه القدرة على دفع معادلات أكبر، علاقات تطبيع، ردود إقليمية، تحالفات، إعادة ترتيب أدوار. وهذا يُظهر بعداً ثقافياً سياسيّاً للحدث.

استشراف المستقبل: ما الذي يمكن توقعه؟

من المحتمل أن تُستمر تداعيات طوفان الأقصى لسنوات في الوعي الجمعي الفلسطيني والعربي، كذكرى، رمز، محور خطاب، وربما مادة ثقافية تُنتج عبر الأجيال (أغاني، أفلام، كتب، محاضرات).

سيبقى السؤال: إلى أي مدى ستُحوّل هذه الطاقة الرمزية إلى بناء فعلي للدولة، والمجتمع، والتنمية؟ فالرمز مهمّ، لكنها ليست كافية وحدها.

من جانب المقاومة أو القوى التي أجرت العملية، ستكون هناك موازنة بين فعل المقاومة والوقوف أمام تكاليفها، فعلى المستوى الثقافي ينبغي أن يُفكر في أُفق ما بعد الصدام، في إعادة البناء، في الحوار، في التعليم، في الاقتصاد.

أما بالنسبة للجانب الإسرائيلي، والجانب الدولي، فإن الحدث شكّل جرس إنذار حول هشاشة المجتمعات المؤمنة بقدراتها الأمنية أو السلطوية. قد يؤدي ذلك إلى تغيّرات في النهج الأمني، في الإعلام، وفي العلاقات مع المجتمعات المحيطة.

ثقافياً، يمكن أن تشتد جدالات حول الموقع: هل هي نصر فعلي؟ هل هي مغامرة؟ هل هي انتهاء مرحلة أو بداية مرحلة؟ هذه الجدالات نفسها تُشكّل جزءاً من الثقافة.

ختامًا، تُعدّ عملية طوفان الأقصى أكثر من مجرد حدث عسكري أو لحظة في مسار الصراع؛ إنها ظاهرة ثقافية واجتماعية تحمل دلالات متعدّدة. من ناحية، هي تجسيد لطموح المقاومة والطموح الفلسطيني بأن يُحكّم ذاته ويعيد صياغة واقعه. من ناحية أخرى، هي اختبار للتوازنات الإقليمية والدولية ولمفاهيم الأمن والردع.

في الثقافة، تحوّلت إلى رمز يُستعاد، ويُحتفى به، ويُناقش. لكن في الواقع أيضاً، تحمل تكلفة كبيرة، تداعيات إنسانية، وتساؤلات عن المسار المستقبل. لذا، فإن أي قراءة ثقافية لها لا تكتفي بالتحليل الرمزي فقط، بل تتطلّب نقداً، تساؤلاً، وربّما تفكيراً في كيف يمكن التحوّل من لحظة رمزية إلى بناء مستدام.

الفنان المسرحي الفلسطيني

زيناتي قدسية

رائد المونودراما العربية

جوان جان
كاتب وناقد مسرحي ـ سورية

عندما يُذكَر اسمُ الفنان المسرحي الفلسطيني السوري زيناتي قدسية تتداعى صورٌ وذكريات ومراحل مفصلية من تاريخ المسرح السوري وهو الذي بدأ مسيرَتَه الفنية في مطالع سبعينيات القرن الماضي، وما زالت هذه المسيرة مستمرة حتى يومنا هذا تمثيلاً وإخراجاً، بل وكتابةً عندما يستدعي الأمر ذلك.

ألمع نجوم المسرح

عاصرَ زيناتي قدسية قامات مسرحية كبيرة، وكان أحد ألمع نجوم المسرح في العصر الذهبي للمسرح السوري ومشاركاً دائماً في فعاليات مهرجان دمشق المسرحي على مدى دوراته المتعددة، كما كان وما زال مشاركاً في المهرجانات المسرحية المحلية، وخاصة في مهرجانات المسرح في محافظتَي حمص وحماة.

المحارب

قبل مجيئه إلى سوريا في مطالع سبعينيات القرن الماضي كان زيناتي قدسية مقيماً في مدينة إربد الأردنية، ولم يكن يخطر بباله أنه سيصبح ممثلاً مسرحياً في يوم من الأيام لأن جهوده كانت منصبّة باتجاه فنون الرسمِ والنحت، كما كان مشغولاً بمهام وظيفية في أحد أندية الشباب الاجتماعية في الأردن، إذ كان مسؤولاً عن المكتب الفني في النادي الذي كان يعجّ بالشباب الطامحين إلى تأسيس حركة فنية مسرحية، فكانوا- بحكم اهتمامه بالرسم والنحت والديكور- يلجؤون إليه لتصميم ديكوراتِ أعمالهم المسرحية، وشكّلت حرب حزيران عام 1967 انعطافة مفصلية في حياة قدسية عندما دعاه -فور انتهاء الحرب- أحدُ المخرجين الأردنيين للمشاركة كممثلٍ في عرض مسرحي، لكنه امتنع في البداية مستغرباً هكذا طلب من المخرج الأردني، لكنه وافق فيما بعد فكانت انطلاقة الفنان زيناتي قدسية في عالم المسرح، وبدأ هاجس العمل في المسرح يسيطر على تفكيره وهو الذي لم يفكر يوماً أن يكون ممثلاً مسرحياً، ليكتشف لاحقاً أنه خرج من حرب 67 سالماً ليرى نفسه محارباً في حرب مفتوحة، حرب إثبات نفسه كفنان مسرحي.

من الأردن إلى سورية

بعد مغادرة الفنان زيناتي قدسية الأردن متوجهاً إلى سوريا للإقامة فيها التقى بالكاتب المسرحي السوري ممدوح عدوان صاحب النصوص المسرحية المتميزة كـ «سفر برلك- زيارة الملكة- هاملت يستيقظ متأخراً» وكان لقاءً مثمراً نتج عنه تشكيلُ ثنائي مسرحي بين الرجلين اللذين قدما من خلاله في ثمانينيات القرن الماضي عدداً من عروض المونودراما (مسرح الممثل الواحد) مثل «حال الدنيا- الزبال- القيامة- أكلة لحوم البشر» وكان همّهما الأول في مشروعهما المسرحي المونودرامي هو الإنسان العربي، والفلسطيني على وجه الخصوص.

المونودراما

عندما أطلق الثنائي قدسية وعدوان مشروعهما المسرحيّ المونودرامي لم يضعا نصب أعينهما إطلاق مشروع طويل الأمد بقدر ما وضعا مشروعاً ذا طابع لحظيّ مرتبط بالواقع العربي في الثمانينيات سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.. ومن جانب آخر يمكن القول إن مشروع المونودراما استهواهما لأنه كان مشروعاً قليل التكاليف من الناحية الإنتاجية ولا يحتاج إلا إلى مسرح صغير قد يكون متاحاً أكثر من المسارح كبيرة الحجم والاتساع، وكان قدسية على يقين وقتذاك من أنه وضع نفسه على مفترق طرق، فإما أن يطلقه مشروعُ المونودراما نحو آفاق مسرحية أكثر رحابة أو يجعله ينكفئ على نفسه ويعيد حساباته كفنان مسرحي أصبح له اسمه اللامع في فضاءات المسرح السوري.

تجربة استثنائية

كان زيناتي قدسية مؤمناً أن تجربته في مسرح المونودراما تجربة استثنائية لا في المسرح السوري فحسب بل وفي المسرح العربي أيضاً رغم وجود تجارب عربية مونودرامية محدودة زامنت تجربته كتجربة الفنان المسرحي المغربي عبد الحق الزروالي، ويعود إيمان قدسية بأن تجربته في المونودراما كانت استثنائية إلى كونها افتقدت في ذلك الحين إلى مرجعيات عربية وغربية، وكان يشبّه دخوله هذا العالم بدخول حقل ألغام لا أحد يمكن أن يتكهّن بمصيره فيه، خاصة وأنه وجد نفسه مطالَباً بتقديم رؤى فنية جديدة في المونودراما بعيداً عن أية تجربة عربية قد تكون سبقته، وكان حريصاً مع شريكه الكاتب عدوان على تقديم أعمال مونودرامية تمثل الفكر العربي المعاصر.. يقول قدسية كاشفاً النقاب عن ملابسات إطلاق مشروعه في المونودراما: «في العام 1985 لم يكن لدينا أيّ بحثٍ أو دراسة عربية عن المونودراما، ولم يكن بين أيدينا أية مادة غربية مترجَمة ترصد هذا الموضوع، وكان الكاتب ممدوح عدوان قد قرأ نصوصاً عربية ومترجَمة للممثل الواحد، كما شاهد عروضاً مونودرامية أجنبية، ولم يكن مفتوناً بما قرأ وشاهد في هذا المجال، فأراد أن يقدم مقتَرحاً من زاوية نظر أخرى في الرؤية والموقف الاجتماعي والبعد الجماليّ، معتمداً على خبرته وتجربته المسرحية، فكانت مونودراما «حال الدنيا» الباكورة والمنطلَق.. أما بالنسبة لي وبعد أن أصبح النصّ بين يديّ فقد استندتُ في اشتغالي عليه تمثيلاً وإخراجاً على تجربتي المسرحية العملية التي سبقتْ «حال الدنيا» والتي تمثّلت بعدة أعمال تميزت بأداءات إفرادية أعتقد أنني نجحتُ فيها، فكانت هذه الأعمال بمثابة الإرهاصات الأولى على مستوى الأداء والتقنية التي دفعتني نحو الخطوة الأولى الحاسمة لصناعة عرض مونودراميّ متكامل».

علاقة إبداعية

لم يرتبط زيناتي قدسية إبداعياً بممدوح عدوان في مشروع المونودراما في الثمانينيات فقط بل إن علاقتهما الإبداعية تعود زمنياً إلى السبعينيات عندما شارك قدسية كممثل في عدد كبير من الأعمال التي كتبها عدوان للمسرح الجامعيّ، كما أخرج قدسية لعدوان عام 1974 مسرحيته «كيف تركت السيف» لجامعة بيروت العربية وأخرج له إعداده للمسرحية المترجمة «مع الجميع.. على حدة» للمسرح العمالي عام 1984 لتبدأ رحلتهما المونودرامية عام 1985.

أبو شنار الفلسطيني

بعد توقف تجربة زيناتي قدسية المونودرامية المشتركة مع الكاتب ممدوح عدوان لم ينقطع عن عالم المونودراما فقدم مع الكاتب السوري موفق مسعود أكثر من تجربة في هذا الإطار مثل «غوايات البهاء» ويصف قدسية تجربته مع مسعود بأنها كانت تجربة غنية على مستوى البحث أدت إلى الخروج من دائرة الأفكار والمضامين الضيقة إلى دائرة الفكر الإنساني الأشمل، كما لجأ قدسية بنفسه إلى الكتابة كما في مونودراما «أبو شنار» التي قدمت حكاية رجل عجوز من فلسطين يقوم بفضح ممارسات من تاجروا بالقضية الفلسطينية.

المخرج

ويدافع زيناتي قدسية بحرارة عن قيامه بنفسه بإخراج أعماله المونودرامية دون اللجوء إلى مخرج آخر بقوله بأنه شعر أنه وبعد خمسة عشر عاماً من قيامه بالتمثيل تحت إدارة مخرجين آخرين فقد آن الأوان لأن يقوم بنفسه بعملية الإخراج، فوجد في المونودراما الفسحة التي تتيح له التعبير عن نفسه كمخرج مسرحي دون أن ينسى زملاءه من الفنانين الذين أعانوه على بلورة مشروعه في الإخراج المسرحي: محمود خليلي- يوسف المقبل- عبد الحميد خليفة- عبد الباري أبو الخير- عبد السلام غبور- خالد كريدي.

دون منافس

تلخيصاً لتجربته في المونودراما ولمتابعته لحركة فنّ المونودراما عربياً ينفي الفنان زيناتي قدسية ظهور منافس عربي له في مسرح المونودراما، وهو يعزو السبب في ذلك إلى أن معظم التجارب المونودرامية العربية قصيرة العمر ولا تكاد تبدأ إلا وتنتهي بعد عرض واحد أو عرضين، الأمر الذي يجعل تأثيرها وامتدادها العربي محدوداً. . وبالإضافة إلى مشروعه الإبداعي مع ممدوح عدوان والمسمى «مسرح أحوال» كانت لزيناني قدسية تجارب مع مختلف جهاتِ الإنتاج المسرحي في سورية كالمسرح القومي والمسرحِ الجامعي والمسرح الوطني الفلسطينيِ، وقد شارك ممثلاً في عروض هذه الفرق إلى جانب نجوم المسرح السوري.

المسرح هو الأبقى

يعتبر الفنان زيناتي قدسية استمراره ممثلاً ومخرجاً في المسرح طيلة أكثر من خمسين عاماً ميزة تميزه عن كثير من الفنانين الذين هجروا المسرح وتوجهوا نهائياً نحو التلفزيون، لكن هذا لم يمنعه من المشاركة في بعض الأعمال التلفزيونية النوعية، إلا أنه بقي مخلصاً لقضية المسرح لإيمانه أن المسرح هو الأبقى و بإمكانه أن يصنع نجوماً كما

يفعل التلفزيون، ولا أدلّ على ذلك –حسب وجهة نظره- أكثر من ظهور أسماء سورية وعربية بارزة في مجال المسرح لا تقل نجومية عن نجوم التلفزيون، لذلك لم يشعر يوماً بالندم على اختياره المسرح حياةً ومصيراً، ويعتبر أن استمراره بالعمل في المسرح مضمون طالما هناك قضايا عربية مصيرية يمكن تناولها في المسرح فكرياً وفنياً.

صاحب كلمة يوم المسرح العربي 2016

اختارته الهيئة العربية للمسرح في الشارقة لإلقاء رسالة (اليوم العربي للمسرح) في مهرجان المسرح العربي بدورته الثامنة عام 2016، والتي أقيمت برعاية الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى للهيئة العربية للمسرح، وقد اعتاد المهرجان في كل عام على استقطاب أحد رموز وقامات المسرح في الوطن العربي لإلقاء رسالة (اليوم العربي للمسرح) وفي رده على سؤال سبب هذا الاختيار، قال الأمين العام للهيئة العربية للمسرح الكاتب إسماعيل عبدالله حينها: «إن الأمانة العامة للهيئة قد اختارت الفنان زيناتي قدسية ليكون صاحب الرسالة التاسعة من رسائل اليوم العربي للمسرح كونه فناناً عربياً متميزاً، ورغم كل الظروف التي يمر بها استطاع بوعيه وفكره أن يؤسس مدرسته في مسرح المونودراما، كما أن له إسهامات فكرية وفنية كبيرة من خلال المسرح الوطني الفلسطيني، سواء على مستوى العروض المسرحية التي قدمها أو على مستوى بناء أجيال ملتزمة لفن المسرح، وما زالت عروضه المسرحية تشكل علامات مهمة في مسيرة المسرح الفلسطيني بوجه خاص والعربي بوجه عام. هو صاحب مشروع مسرحي كبير، كما أنه صاحب مواقف وطنية وقومية تؤكد التزامه وجديته نحو هوية للمسرح العربي، في خضم التحديات الكبيرة التي يواجهها هذا المسرح على الصعد كافة»..

وحملت الرسالة عنوان «لم يعد أمامنا خيارات، ولا نملك رفاهية الوقت»، وفيها تحدث قدسية عن قريته: «من رائحة الزيتون والكرمة والزعتر، من العاشق، العائد إلى حيفا مُحمَّلاً ببرقوق نيسان، من روح غسَّان، معلمي الأول، فاتحة وعيي وإدراكي للأشياء والحياة. من «إجزم» قريتي الهاجعة على كتف حيفا وظلال الكرمل كفرخ حمام يستدفئ بجناح أمه، حيث الولادة»..

ويضيف قائلاً أيضاً: «في كل دول العالم هناك دائماً حضور لافت للمسرح المقاوم وإن اختلفت أساليب التعبير عن روح المقاومة من مسرح لآخر. وما دام هناك فاشيون وديكتاتوريون، وقابليات لنشوب حروب ثنائية أو كونية، وما دام على الأرض أربابٌ يتمسكون بربوبيتهم ويعملون على تخريب العالم وتدمير أمنه عبر التاريخ، وما دامت الآفة الإنسانية الماثلة أمامنا و المتمثلة في البعض الذي يرى العالم أضيق من أن يتسع له و للآخرين، ويريد أن يعيش وحده جاعلاً نهج حياته: «هذا كله لي»، ما دام كل هؤلاء يعبثون بحياتنا ومصائرنا، فإن المسرح المقاوم يبقى حيَّاً ويعبر عن حرية الإنسان والشعوب وثقافاتها، وإذا كان للشعوب برلمانات، فإن المسرح هو برلمان الثقافة الشعبية دون منازع. ولكي يتحول المسرح في بلادنا إلى برلمان للثقافة الشعبية حقاً، فإنني أدعوكم للاندفاع بوعي وجرأة وحكمة نحو مسرحنا الجديد والمقاوم، وأن نحوِّل كل المساحات المتاحة، إلى أمكنة للتعبير عن المقاومة التي تبديها الأفكار التنويرية ضد الأفكار الظلامية، وأن نجعل من مسرحنا مدرسة للأخلاق، والحرية، ليس شرطاً أن يكون هناك احتلالاً أو غزواً عسكرياً أو مستعمراً لننشئ مسرحاً مقاوماً. ففي فترات السلم العالمي، تبدو حاجة البشر لمسرح مقاوم ماسَّة وملحة. وكأن هذا الهدوء والاستقرار الظاهري والاسترخاء المريب تختفي وراءه نُذُرُ التفجرات المباغتة والحروب المدمرة. وما سعي الدول المحموم لامتلاك الأسلحة بمختلف أنواعها، والصراع المعلن والخفيّ على حيازة أكثرها فتكاً وتدميراً تحت مسمى التوازن الاستراتيجي، إلا تهيئة واستعداداً لهذه التفجرات المباغتة. و لذلك، فإن المفكرين والمثقفين والعلماء والشعراء ورجال المسرح في مختلف أنحاء العالم، حين يواجهون القبح بالجمال واليأس بالأمل، و حين ينتصرون للإنسان من أجل حريته و كرامته الإنسانية وحقه في الماء و الطعام والمسكن اللائق والصحة و التعليم والحب وإبداء الرأي والدفاع عن حقه في الوجود، حين ينتصرون لكل هذا، إنما هم ينتمون بشكل أو بآخر إلى الثقافة المقاومة، العلوم المقاومة، الشعر المقاوم، والمسرح الجديد الحر المقاوم، البعيد عن التقليدية المتزمتة والمرتهنة لمفاهيم لم تعد قادرة على مواكبة متطلبات العصر، مسرح متحرر من ظلامية الغول الذي ينشب أظفاره ليشد التجربة الإنسانية برمتها إلى الكهوف المظلمة، مسرح جديد حر، نقيض للحداثات المزيفة وغير الأصيلة والطارئة، والتي أحدثت اختراقات مهولة في حياة البشر على كل المستويات».

زيناتي قدسية

من مواليد قرية إجزم، في حيفا عام 1948، قدم عدداً من الأعمال تتناول المأساة الفلسطينية وأخرج مجموعة من الأعمال الجماعية للمسرح القومي بسورية كان أبرزها مسرحيته «رأس الغول» التي زاوج فيها بين أعمال الأديبين محمد الماغوط وزكريا تامر.. عيّن مديراً للمسرح التجريبي، أخرج العديد من الأعمال المسرحية الهامة التي قدمها في كلّ من دمشق وحمص وغيرها من المدن السورية مثل: «أخوة الجنون-غاندي-حال الدنيا-القيامة-غوايات البهاء- كأس سقراط الأخير- أبو شنار- التحقيق- الرأس والذنب- حفلة على الخازوق- إكليل الدم- إعدام- قلب العاشق- إبراهيم وصَفيّة».

في العام 2024 كرّم المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق الفنان زيناتي، تخلل التكريمَ تقديمُ شهادات مسجلة لشخصيات فنية سورية وعربية تحدثت عن تجربة قدسية الإبداعية .

التحولات في الكتابة الإبداعية بعد طوفان الأقصى

د. ثائر يوسف عودة ناقد وأستاذ جامعي فلسطيني - سورية

يُعدّ السابع من أكتوبر 2023، نقطة تحوّل فعليّة في الصراع مع الصهيونية، على المستوى العسكري والمستوى الرمزي، الثقافي والإعلامي، فلم يكن «طوفان الأقصى» حدثاً عابراً بل واقعة أفرزت تداعيات كبيرة في الوعي الشعبي، وفي الخطاب العربي والإسلامي، وفي موازين القوى السياسية والإعلامية وحتى الثقافية. مع هذا، لم تكن الكتابة الإبداعية بمنأى عن هذه التحولات؛ فقد تغيّرت مرجعياتها وأدواتها، وأهدافها، وحتى نمطها اللغويّ والتعبيريّ.

ولكي ندرك عمق التحوّل، من المفيد المقارنة بما كانت عليه الكتابة الإبداعيّة قبل هذا الحدث، فقد كانت الكتابة المقاومة موجودة دائماً في الأدب العربي والفلسطيني، لكنها غالباً ما تُوضع في إطار شعبي أو وطني أو تاريخي بعيد، أو تتداخل مع السياسة، لكن ليس بالدرجة نفسها من التفاصيل المباشرة والصورة العاطفية الحيّة، كما هو الآن. وإن المنصّات الرقمية كانت موجودة، لكن الآن أصبح «الشارع الرقمي» جزءاً فعّالاً من العملية الإبداعية؛ فالمبدع لا ينشئ النص فقط، بل يرى كيف يُستقبل، كيف يُقاطَع، كيف يُعاد نشره، كيف يُعاد تحويره. والقارئ نفسه تغيّر فلم يعد قارئاً سلبيّاً بل مشاركاً، متفاعلاً، ناقلاً ومعدّلاً للنص، يطلب «الأصالة» والصدق، ويربط بين ما يُقرأ وما يُشاهَد وما يُعاش.

التحوّلات في الكتابة الإبداعية:

من أبرز التحوّلات التي يمكن رصدها في هذا السياق، هي:

- التعبير الموضوعي الموحَّد: أصبحت الروايات والقصص والنصوص الأدبية تركز بشكل واضح على موضوعات محددة: المقاومة، الصمود، الانتهاكات، التضحيات، الحصار، العدوان. وهذا يعبّر عن رغبة في توثيق الحدث، في جعل الأدب شاهداً حيّاً؛ أي أن الأدب لا يُكتب من فراغ، بل من مشاركة وجدانية بالمأساة. وهذا يوحّد الموضوع، ويضيق الهوامش الإبداعية من حيث الموضوعات، لكنه يوسعها من حيث التفاصيل واللغة العاطفية والتوثيق الواقعي.
- اللغة والأسلوب: استخدام اللغة العاطفية الشديدة، الصور الرمزية، الاستعارات القوية، البوح، الشعرية التي تمزج الحزن بالأمل، لغة المقاومة. فاللغة تلتقط الصوت الجماعي؛ فيصبح الأسلوب أكثر انفعالية، ولكن مع ذلك تحاول النصوص الحفاظ على وضوح الرسالة: أن الحقّ، الصمود، الكرامة هي مركز أي سرد. كذلك، هناك ميل إلى الواقعية الموصوفة بكل تفاصيلها، وربما تصوير للموت والمعاناة من مسافة قريبة جداً.
- تعدد الأصوات: شهادات يوميات الحرب، نصوص فردية من داخل غزة، نصوص من المنفى، من الخارج، من الإعلام البديل، من وسائل التواصل الاجتماعي. هذا التنوع خلق سرداً أكثر إثراءً؛ فالأدب لا يأتي فقط من الوعاء الرسمي أو الأقلام الكبيرة، بل من كل من عاين، عاش، تألم وكتَب. وهذا يعطي مصداقية، كما يُحفر في الذاكرة الجماعية بصيغ متعددة.
- وظيفة التوثيق والذاكرة: الكتابة أصبح لها دور «توثيقيّ»: حفظ الأحداث، شهادات الناجين، يوميات تحت القصف، يكتبها أهل غزة وغيرهم، وتتضمن مسؤولية: أن لا يُمحى ما وقع، أن تبقى الصورة واضحة أمام الأجيال القادمة، وأن الأدب يصبح وسيلة مقاومة نفسية وثقافية بجانب كونه فناً. كذلك الكتابة كمقاومة للنسيان، للظلم، للمحو.
- التزام أخلاقي وفعل مقاوم بالكلمة: الكثير من الأدباء لا يكتفون بالسرد، بل يتحوّلون إلى نقد، إلى مقاومة فكرية، إلى استنكار، إلى دعوة لإيقاظ الضمير، وأحياناً إلى الفعل الحقيقي: المشاركة، التضامن، النقد. الكتابة هنا ليست تجميلاً أو ترفاً؛ هي جزء من الموقف، والكلمة تصبح بندقية.

- تأثر المنصّات الجديدة ووسائل التواصل: الكتابة على مواقع التواصل الاجتماعي، المحتوى المُصوَّر، الرسوم الكاريكاتيرية، البث الحي، التدوين الرقمي، الصور والفيديو أيضاً كنصوص تُروى. هذه الوسائل تتيح سرعة الانتشار، القدرة على التأثير العابر للحدود، خلق جمهور فوري، تعزيز تأثّر النصوص بصوت الشارع؛ لكنها أيضاً تُدخل تحديات: التفاعل سريع، وربما المضغوط، الأسواق الرقمية تحدد ما يُنشر وما لا يُنشر، وضغط المشاعر قد يؤدي للتكرار أو المبالغة.

- تحديات جديدة أمام المبدعين: الصدمة النفسية، الخوف، التوتر، المراقبة، القصف، الانقطاع، ضياع المقومات المادية للكتابة (مكان آمن، أدوات، هدوء)؛ كما تحدي تقديم نصّ يكون جذابًا ومعبرًا، دون أن يفرّط في الحقيقة أو يختزلها. المبدع يُثقل بمسؤوليات؛ وهناك موازنة بين التعبير الفني والنزعة التوثيقية. كذلك بين التدهور المادي (الدمار، التشريد، الفقد) وتأثيره على قدرة الكتابة وكيان الفرد الذي يكتب.

أولاً: الشعر- عودة القصيدة المقاومة بروح جديدة

لم يعد الشعر في زمن الطوفان يكتفي بالرمز، بل أصبح شهادة حيّة. ففي إحدى قصائد الشاعر الغزّي إياد شماسنة التي نُشرت على وسائل التواصل قال:

تحت الركام
أعدُّ أصابعَ أمّي
واحدٌ اثنانِ ثلاثة
ثم أغني:
نامي حبيبتي
كأنّي أكتب سِفرَ القيامة
من ذاكرةِ الرملِ وحدي.

وفي أحد التسجيلات التي انتشرت على إنستغرام للشاعرة الشهيدة هبة المدهون، نقلت كلماتها وسط القصف:

سأكتب
ولو بظلِّ الحائطِ المتصدّع،
ولو على صفحةِ غبارٍ
أو في هواءٍ رماديّ،
لأنّ الكتابةَ الآن
ليست ترفاً
بل آخرَ شكلٍ من أشكالِ التنفّس.

ثانياً: القصة القصيرة - من البناء الفني إلى «اليومي الحارق»

- قصة «الملجأ رقم « – الكاتبة هبة أبو ندى من غزة (2024)

القصة تروي حياة عائلة في ملجأ مدرسي، بأسلوب بسيط متقطع:

لم أعُد أميزُ بين الليلِ والكهرباءِ،
كلاهما غائب.
أختي الصغيرة تنامُ على حقيبتي المدرسية،
وأبي يتحدثُ عن شجرةِ الزيتون التي احترقتْ.
فقط أمي لا تتحدث.

ربما لأنها صارت هي الأخرى رماداً في القصص.

- القصة الرقمية أو «النص المشتعل»

في أحد المنشورات الفيسبوكية بعنوان «آخر بطارية في هاتفي» كتب الشاب محمد عاشور من خان يونس:

كلّ دقيقةٍ تساوي عمراً.
البطارية 3%.
كتبتُ:
«أنا بخير».
ثمّ انطفأ الهاتف.
لكنني لم أكن بخير أبداً

ثالثاً: اليوميات والشهادات - ولادة أدب «الكتابة تحت القصف»

- من يوميات الطبيب الغزي د. محمود جاد منشور على X في نوفمبر 2023:

كتبتُ بيدي الملطخةِ بالدماء
اسمَ طفلٍ فقدَ ذراعيه على دفترِ المناوبة.
لم يكن لديّ ورقٌ آخر.
وفي الهامش كتبت:
ربما يعود ليكمل رسمَه في الجنة.

- من «دفاتر الناجين» - كتبت هبة زقوت مدونة إلكترونية (2024):

في الليلةِ التي نجونا فيها،
لم نجد خبزاً،
لكننا وجدنا ورقةً لم تحترق،
فكتبنا عليها أسماءَ أصدقائنا الذين لم ينجوا.
ومنذ ذلك اليوم
صارت الكتابةُ طقوسَ دفنٍ أخرى.

رابعاً: الكتابة الرقمية الجديدة - الأدب كصوت جمعي

- من منشورات الإنستغرام الأدبي كتب حسام معروف في تعليق على صورة لطفلة من رفح تبتسم في خيمة:

هي تضحك لأنّ الحكاية لم تنتهِ بعد،
ونحن نكتب لأننا نخاف أن تنتهي الحكاية بدوننا

- من قصيدة مصوّرة – الشاعر الشاب علاء الشرفا

نشرت في مارس 2024 على يوتيوب بعنوان «الكلمة بندقية»

ما عاد الشعرُ ينفعُ كالأمس،
صار الطينُ يكتبُ،
والجدارُ يصرخُ،
والهواءُ يُدوّنُ بأصواتِ المآذنِ:
هنا
لا تموتُ القصيدة،
بل تتكاثرُ مع كلِّ انفجار.

دلالات من هذه الأمثلة:

- التوازن بين الأسماء الشهيرة والصامتين: بعض الكتابات تجمع أسماء قد تكون معروفة (روائيّون، شعراء)، وأخرى تضمّ مساهمات من أصحاب تجربة ميدانيّة، من لم يكن معروفاً من قبل، لكنه يعيش الواقعة ويكتبها. هذا يُعطي مصداقية وثراء لأدب يقاوم الزمن والمكان.

- الوصية كنمط أدبي جديد: يتحوّل النص إلى وصية: فكرة كتابة شيء لا بدّ أن يُبقى إذا لم يبقَ الكاتب. إنها الكتابة في ظلّ احتمال الرحيل — يموت الكاتب لكنه يترك الكلمة، الذكرى، الرسالة.

- اليوميات والمنافي والتوثيق الحي: كثير من الكتابات تستعمل السرد اليوميّ، ما تشعر به الإنسانية من جوع، خوف، انتظار، نزوح، محاولات البقاء. هذه التفاصيل الصغيرة هي التي تجعل النصّ أقوى من التقرير الخبري.

- التوزّع المكاني: الكتابة ليست من مركز واحد فقط، بل من كلّ أجزاء غزة: الأحياء المختلفة، المخيمات، المراكز والمدن. هذا يُظهِر أن التجربة ليست موحدة، بل متعددة التفاصيل والمآزق، ومع ذلك موحّدة بشعور الصمود.

الآثار المحتملة والمستقبلية:

من أبرز الآثار المستقبلية التي يمكن رصدها في هذا السياق، هي:

- إعادة تشكيل الذاكرة الجماعي: الأدب سيلعب دوراً أساسياً في حفظ صورة ما حدث، ومن ثم في بناء سردية تاريخية معاكسة للسرديات التي قد تُعيد صياغة الحقائق أو تنفيها أو تُقلّل منها.

- ولادة نوع أدبي مختلط / هجين: مزيج بين الشعر والوثيقة واليوميات والمقالة والنصوص القصيرة، بل وحتى الميديا المختلطة (فيديو- نص- صورة). النصوص تُزاوج بين الشكل الفني والمضمون الوثائقي.

- تغيير في مواضيع الأمل والمقاومة: من مجرد بنية الرفض للأذى إلى رؤى أملية، مع بعض التنبّؤات بخروج من الظلام، مع أن الأمل لا يعني التجاهل للمعاناة، بل اعتراف بها والعمل من خلالها.

- تأثير ثقافي واسع: اللغة العربية تحوّلت في بعض النصوص إلى سلاح ثقافي، تتصدّى للأعراف المقلّلة، وتستعيد مفردات مثل الكرامة، الحقّ، المقاومة، الشهادة، التضامن بصخب واضح.

- تحديات الاستمرارية: هل سيستمر هذا الحماس الإبداعي بعد أن تهدأ الإثارة أو يقل الزخم الإعلامي؟ هل سيجد الأدب دعماً؛ مادياً وثقافياً؟ هل ستُوثّق النصوص بصورة تحفظها من النسيان أو الرقابة أو التجاهل؟

الإشكالات:

من دون إنكار الجليّ في التحوّلات، هناك مآخذ وإشكالات يُفترض الانتباه إليها:

- خطر الانفعالية المفرطة: قد تُغرق بعض النصوص في المشاهد العاطفية دون أن تقدم رؤى تأملية أو نقدية توازن بين العاطفة والمعنى.

- الرسالة مقابل الجمال الفني: في بعض الأحيان، تُقدّم الرسالة أو الهدف الأخلاقي والسياسي على حساب البناء الفني أو اللغة؛ وقد يصير النص أقرب إلى البيان أو النص الصحفي أو الإعلان.

- الاستسهال في التقليد: بعد أحداث كبيرة، هناك ميل لإعادة إنتاج الصور نفسها (الدمّ، الأشلاء، البكاء، الصمت...)، مما قد يجعل كثيراً من النصوص تبدو مكرّرة أو ذات صيغة متشابهة.

- الضغط الزمني والإعلامي: رغبة في أن تكون النصوص مباشرة، في اللحظة، ربما تُخلّ بعمق التأمل، بفراغ التعبير، بتمهّل اللغة.

- الرقابة الذاتية والخارجية: قد يتعرض الكتّاب للتهديد أو الملاحقة، أو يجدون أنفسهم يُعدّلون من نصوصهم خوفاً على العوائل أو سلامة النفس، أو انسداد لبعض المنابر التي تملك حرية أقل.

- تفاوت الصوت والمكانة: الأصوات ذات الإمكانيات المادية، أو التي تملك منصات قوية، أو التي تتكلم من أماكن خارج الخطر، تكون أكثر وصولاً وانتشاراً من النصوص التي تُكتب من داخل المواجهة مباشرة، أو من داخل غزة مثلاً، حيث الظروف أصعب.

نخلص إلى القول إنّ الكتابة بعد «طوفان الأقصى» ليست كما كانت قبله لا من حيث الشكل، ولا من حيث المضمون، ولا من حيث موقع الكاتب من التجربة ذاتها.

فخ الدولتين لممدوح حبشي

بسام سفر - صحفي وكاتب من سورية

مازالت القضية الفلسطينية تشغل الأوساط السياسية والحزبية والثقافية في العديد من البلدان العربية رغم كل ما يجري في المحيط العربي للكيان الصهيوني، والعدوانية الصهيونية التي سجلت أرقاماً قياسية في حروب الإبادة الطويلة التي قامت بها في غزة.

ومن هذه الأوساط حزب التحالف الشعبي الاشتراكي في مصر الذي يصدر كراسات سياسية وثقافية، ويتضمن الكراس رقم 17، بعنوان (المسألة الفلسطينية2) «فخ الدولتين» للكاتب والباحث ممدوح حبشي.

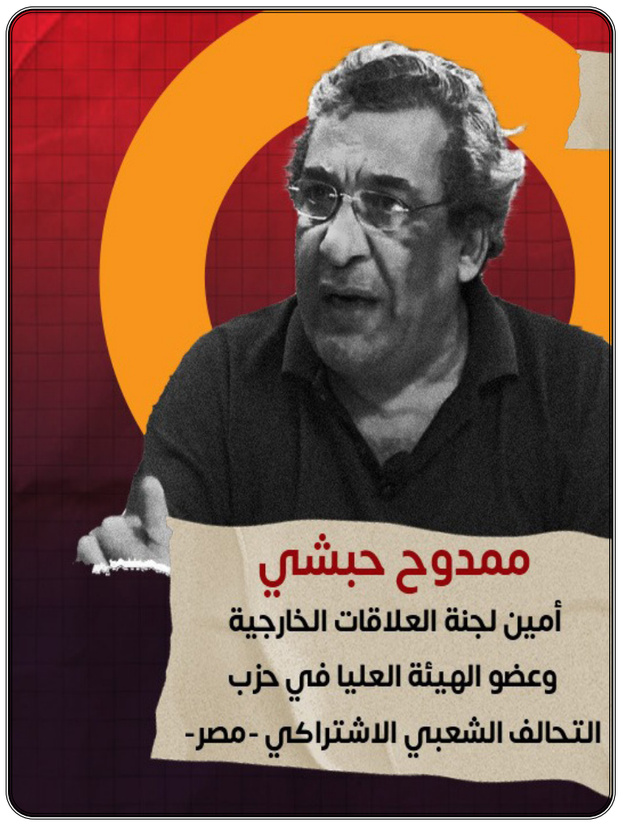

وجاء في مقدمة الكراس أن القانون الدولي رصين وخال من المشاعر، وقد صاغ معاييره للإبادة الجماعية في المادة الثانية من اتفاقية الإبادة الجماعية لعام 1948، والمادة 6 من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام 1998، والمادة 6 من القانون الجنائي الدولي الألماني لعام 2002، وتنص بالإجماع على أن: «الإبادة الجماعية هي أي من الأفعال التالية المرتكبة بقصد التدمير الكلي، أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية بصفتها هذه».

وتشمل هذه الأفعال: «قتل أفراد تلك الجماعة رغم أن العدد ليس مهماً» فضلاً عن «التسبب في ضرر جسدي أو عقلي خطير لأعضاء الجماعة» و»فرض ظروف معيشية على الجماعة عمداً من شأنها أن تؤدي إلى تدميرها الجسدي، كلياً أو جزئياً».

فمن يرى صور أنقاض قطاع غزة ويسمع تقارير أهلها، يدرك أن التقارير النمطية في وسائل الإعلام عن الهجمات الإسرائيلية ضد مواقع حركة حماس، ما هي إلا محاولة غير كفوءة لتبرير الحرب العشوائية ضد جميع السكان في قطاع غزة بأنها حرب دفاعية حقيقية.

إن «حرب الإبادة ضد حماس» هذه تظهر أن حماس ليست طائفة صغيرة، وليست» كارتيلاً»، بل من الواضح أنها منظمة ذات فروع واسعة في المجتمع، والتي يتطلب القضاء عليها الطرد والحرب العشوائية حتى على غير المشاركين، ولا يمكن إلا لمتهكم أن يبرر ذلك باعتباره ضرراً جانبياً في حرب دفاعية لا يمكن تفاديه.

مولد دولة اليهود (أكبر عملية احتيال سياسي):

أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1918) تم وضع حجر الأساس لإقامة دولة لليهود، فقد عقدت اتفاقية سايكس-بيكو في (أيار، مايو) من العام 1916، بين إنجلترا وفرنسا بشأن تقسيم المشرق العثماني بينهما وكانت فلسطين من نصيب إنجلترا، وعلى هذا صدر تصريح بلفور الشهير في الثاني من (تشرين الثاني، نوفمبر) من العام 1917، بشأن عطف بريطانيا على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

وعندما سقطت القدس في أيدي القوات البريطانية في منتصف عام 1917، أثناء الحرب أعلن الجنرال قائد الحملة قيام إدارة عسكرية باسم «الإدارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة»، والعدو هنا تركيا (الدولة العثمانية)، والبلاد هي فلسطين، وفي إطار تلك الإدارة جاء حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية لزيارة القدس في (27 نيسان، أبريل)، بدعوة من الكولونيل ستورز الحاكم العام للقدس، واجتمع بنخبه من رجال القدس وأعيانها، وعدد من رجالات العرب وأوضح لهم أن اليهود يعودون إلى فلسطين ليصلوا الماضي بالحاضر من أجل إعادة خلق مركز فكري وأدبي.

وكان وايزمان قد حصل قبل مجيئه إلى القدس على موافقة اللورد بلفور على وضع حجر أساس للجامعة العبرية على جبل سكوبس في (24تموز، يوليو1918). ومن خلال اتفاقية سايكس- بيكو اختارت إنجلترا هربرت صموئيل، وهو أحد اليهود الإنجليز ليرأس حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين.

وبدأت تعمل على تنفيذ وعد بلفور عبر تأسيس «الوكالة اليهودية»، وكانت تعتبر لندن المركز الرئيسي للحركة الصهيونية زمن الحرب العالمية الأولى انتقل إلى مدينة نيويورك أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي هذه المدينة انعقد أهم مؤتمر في تاريخ الصهيونية عرف باسم الفندق الذي انعقد فيه وهو فندق بلتيمور في شهر (أيار، مايو من العام 1943)، حضره مندوبون من المنظمات الصهيونية في العالم، وأحد عشر عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي بينهم هاري ترومان الذي سيصبح رئيساً لأمريكا. وفي مساء (14أيار، مايو) وليلة (15منه) اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشة وضع فلسطين بعد انسحاب بريطانيا ووضعت فلسطين تحت الوصاية الدولية. اعترفت أمريكا بزعامة ترومان بحكومة إسرائيلية مؤقتة في الجزء المخصص لليهود في قرار التقسيم.

ويدعو حبشي إلى فهم العلاقة العضوية بين الإمبريالية العالمية وإسرائيل لتوضيح خطورة أفكار حل الدولتين على القضية الفلسطينية برمتها، بل على الصراع بين الإمبريالية وقوى التحرر في العالم كله.

ويربط ما بين هزيمة إسرائيل في حرب طوفان الأقصى، والضربة الموجعة للإمبريالية، والشرخ العميق في بنية نظامها العولمي الهادف إلى إخضاع الجنوب العالمي للشمال العالمي في سياق الإبادة في غزة لا يشذ عن سياق الإبادات الاستعمارية المستمرة.

حل الدولتين:

إن فضح فخ حل الدولتين لا بد أن تسهم فيه كافة قوى التحرر في العالم، فمن الطبيعي أن نجد في صفوف مناصري حل الدولة الواحدة الديمقراطية متعددة الأعراق والديانات، أسوة بما حدث في جنوب أفريقيا في العام 1994، بعد صراع استمر أجيالاً، من شعوب الغرب، وأن نجد من أنصار حل الدولتين للقضاء على المسألة الفلسطينية والخضوع للعنصرية والفاشية واستمرار نظام إخضاع الجنوب العالمي للشمال العالمي، من النظم الأكثر تبعية للغرب، لا سيما العربية منها، بل والفلسطينية أيضاً.

إن حل الدولتين برغم ما فيه من غبن للحق الفلسطيني مقابل الباطل الصهيوني، يتطلب درجة عالية من السلم والتعاون وحسن الجيرة، الأمر الذي نراه يتباعد مع الزمن، خصوصاً بعد جرائم الإبادة الجماعية التي تابعها العالم أجمع بالصوت والصورة منذ (7 تشرين الأول، أكتوبر) من العام 2023، فقد أضحى هذا الحل أبعد من أي وقت مضى، فالقادة الصهاينة ليس في الحكومة الحالية فحسب، بل كل من سبقوهم، بدءاً من بن غوريون وغولدا مائير لم يعترفوا بحل الدولتين، وقد دأبوا منذ تأسيس دولة (إسرائيل) في العام 1948، على رفض الاعتراف بقرار الأمم المتحدة 181لعام 1947، الذي قضى بإقامة دولتين وحدد حدودهما بخرائط معترف بها دولياً.

ويستدل على ذلك عندما تقدمت (إسرائيل) بطلب العضوية في هيئة الأمم المتحدة، حيث اشترط عليها لقبول العضوية أن تعود إلى حدود قرار التقسيم رقم 181، لأنها احتلت (24بالمئة) زيادة عن المساحة المخصصة لها في حرب 1948، كما رفضت إعادة اللاجئين، وهم ثلثا الشعب الفلسطيني في العام 1949، الذين اقتلعوا بالقوة من بيوتهم وأراضيهم، فوعد المندوب الصهيوني باسم حكومته بتنفيذ الشرطين.

ويوضح الكاتب حبشي أن نظرة متأنية على دروس تاريخ هذا الصراع تجعلنا نفهم لماذا حل الدولتين كان وما زال ليس حلاً بل فخاً لاستدامة واستكمال المشروع الصهيوني، ليس فقط منذ العام 1948، وبالأخص منذ اتفاقيات أوسلو 1993، في هذه الاتفاقيات وافق المفاوض الفلسطيني، ومازال حتى يومنا هذا، على كل الشروط التي وضعت على الدولة الفلسطينية المقترحة، خصوصاً فيما يتعلق بالأمن، والتنازل عن حق العودة، كما وافق حتى على عدد المستوطنات التي التهمت القدس والضفة الغربية بعد الاتفاقات.

ولتفسير الموقف الصهيوني الرسمي كتب حبشي أن جوهر المشروع الصهيوني على الرغم من كل المناورات السياسية لإخفائه، هو احتلال كل فلسطين وتهجير كل الفلسطينيين، فدولة (إسرائيل) هي الوطن القومي ليهود العالم كله.

وأن الغرب الاستعماري تاريخياً كان ومازال المشروع الصهيوني من الأصل مشروعها الاستعماري جيو-ستراتيجياً، هذا الغرب لم يكن في يوم من الأيام جاداً في حل الدولتين لذلك سمح لإسرائيل أن تنتهك كافة قرارات الأمم المتحدة والقوانين الدولية بلا أدنى محاسبة، إذا استثنينا التصريحات الإعلامية التي كان ومازال الغرب يطلقها بين الحين والآخر لحفظ ماء الوجه، والتي أضحت بعد مجازر الإبادة والتطهير العرقي في قطاع غزة منذ «طوفان الأقصى» الأوضح في نفاقها.

فالولايات المتحدة تطالب إسرائيل بالحفاظ على حياة المدنيين وتدين قصف المستشفيات، وفي الوقت ذاته تورد لها أسلحة وذخائر بمليارات الدولارات، ناهيك عن استخدام الـ « فيتو 18مرة»، ثلاث مرات لوقف قرار مجلس الأمن بإيقاف العدوان.

كل ذلك يفسر بقاء حل الدولتين، ليكون مخدراً لراغبي السلام الحقيقيين ولكن السذج، وليبقى أتون الحروب مشتعلاً، وتبقى إسرائيل في مشروعها الصهيوني تبتلع وتهود قطعة قطعة، وتتهم مقاومة الظلم والاحتلال بالإرهاب.

إن النقاش حول حل التقسيم دائماً ما يؤدي إلى إدامة الصراع وتعميق الغضب عبر الأجيال، والأمثلة عديدة على ذلك، منها الهند وكوريا وفيتنام وقبرص ويوغسلافيا والسودان، فقد أثبت التاريخ فشل صيغة الاستجداء «الأرض مقابل السلام»، التحدي الذي يواجه البشرية كلها اليوم هو فصل السلام عن الأرض، أي الاعتراف بأن أمن الجميع لا يمكن أن يأتي بالاستحواذ على الأرض، بل على التساوي في الحقوق.

إن نهج حل الدولتين للسلام يرتكز على إنشاء دول ذات عرق واحد ومحددة دينياً إسرائيل لليهود، فلسطين للعرب المسلمين والمسيحيين، لكن التفرد الطائفي ليس هو القاعدة في الشرق الأوسط، بل ظاهرة أوروبية.

ويناقش حبشي شعار التحرير القديم (من النهر إلى البحر) مع أو من دون إضافة: فلسطين ستتحرر- اختار البعض وهم مخطئون إلى حد كبير- تفسير هذه المشاعر على أنها دعوة إلى إبادة جماعية ومحو الوجود اليهودي.

ويتضمن حل الدولتين اقتراح تحويل خطوط هدنة العام 1949، إلى حدود دولية، لكن هذه الخطوط تعطي (78 بالمئة) من الأرض لإسرائيل. ومن الناحية العملية، كيف التعامل مع (700) ألف مستوطن إسرائيلي يهودي صهيوني متعصب أقاموا مستوطناتهم في الضفة الغربية وهم مسلحون عدوانيون ويعملون كميليشيات غير رسمية مساعدة للجيش الإسرائيلي. ومن ثم أن حل الدولتين يشمل غزة بالضرورة، وحين كتبت عبارة «الممر الأمن» لمسافة ثلاثين ميلاً التي تفصل غزة عن الضفة الغربية في اتفاقية أوسلو الثانية، دافع الحالمون عن كافة أنواع بناء الجسور والأنفاق والطرق العلوية والسكك الحديدية. ثلاثون عاماً كافية لإثبات أن كل ذلك هراء أو أضغاث أحلام يقظة.

وأكد حبشي أن القانون الدولي يمنح كل من طردوا في العام 1948، حق العودة إلى ديارهم داخل ما يعرف اليوم (إسرائيل)، التي تحرمهم هذا الحق، فحل الدولتين «يشرعن» هذا التعنت والنشاز الإسرائيلي.

وفي موضوع القدس إذ تغاضينا عما يسمى الوصاية الدولية التي قررت ولم تنفذ يوماً من الأيام، فقد وصفها الساسة الإسرائيليون منذ العام 1949، بأنها عاصمتهم الأبدية، ومنذ العام 1978، بأنها غير قابلة للتقسيم.

فخ الدولتين:

يجتاح الدوائر السياسية في العالم شعار (حل الدولتين) رغم فشله التاريخي، فإسرائيل ليست الوحيدة العنصرية في تاريخ البشرية التي حفلت بصراعات بين القوى العنصرية وقوى التحرر من العنصرية.

ويعددها حبشي في ثلاث نماذج، الأول: هو ما انتصرت فيه العنصرية على قيم الإنسانية، فأبادت شعوباً بكاملها، وهذا حل للصراع فيما فعله الأوروبيون في الأمريكيتين وأستراليا. والثاني: هو انتصار جيوش الحلفاء على ألمانيا النازية (العنصرية). والثالث: هو انتصار المؤتمر الوطني الأفريقي في العام 1994 على نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.

ويرى حبشي أن المسألة الفلسطينية لن تحل إلا في سيناريو مشابه لجنوب أفريقيا، فقد أدت الحرب التي اندلعت في 7 أكتوبر 2023، بطوفان الأقصى، إلى نوع جديد من الاستقطاب العالمي، فقد تضامنت غالبية شعوب الأرض مع الفلسطينيين، وتمترست غالبية القوى الاستعمارية بقيادة الولايات المتحدة خلف (إسرائيل).

إنها بداية لتراكم وعي جمعي عالمي جديد بحقيقة عنصرية (إسرائيل)، وبأنها ليست- كما زعمت القوى الاستعمارية دائماً- الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، ببساطة لأن لا ديمقراطية مع العنصرية، اللهم إلا ديمقراطية «الأسياد».

الثالوث الفلسطيني المقدس

(2 من 2)

غرز الدين جازي – ناقد أدبي- سورية

الكوفية :

منذ أن ظهرت المناضلة «ليلى خالد» عضو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالكوفية الفلسطينية، حين حوّلت مسار طائرة تربط بين «لوس أنجلوس» و «تل أبيب» عام 1969 من مطار روما نحو دمشق، واشتُهرت آنذاك بصورتها التي تظهر فيها ملثّمة بالكوفية وتحمل الكلاشنكوف .. منذ ذلك الوقت والكوفية ترتدي نضال الفلسطيني، يتوشحها حلماً للعودة، ورايةً تخفق أملاً في استرجاع حقوقه المغتصبة، لدرجة أن الباعة في ذلك الوقت كانوا يحفّزون على لباس الكوفية والعقال أو «الحطّة» بدل الطربوش، باللهجة الفلسطينية، وينادون «الحطة والعقال بخمس قروش، والنذل لابس طربوش» .

هذه الأيقونة الرمز يعود تاريخ تداولها في فلسطين إلى عام 1936 زمن الاحتلال البريطاني، فقد اتخذها المقاتلون لإخفاء وجوههم، فصارت وسيلة لتفادي الاعتقال من قبل الجيش الإنكليزي، وشاركت النسوة الفلسطينيات في ارتداء هذه الكوفية تضامناً مع المقاتلين، ومنذ ذلك الوقت أضحت الكوفية رمزاً وطنياً للفدائي الفلسطيني مميزاً يوحد جميع الفلسطينيين ويحل محل «الطربوش»، حيث قرر زعماء الثورة الفلسطينية لأسباب رمزية سياسية توحيد لباس الرأس عند الفلسطينيين، وكان قد ارتداها القائد الفلسطيني عبد القادر الحسيني، أحد رموز الحركة الوطنية الفلسطينية التي جابهت الجيش البريطاني والعصابات الصهيونية منذ بدء الثورة الفلسطينية الكبرى 1936 .

اعتُبرت الكوفية بمثابة العلم غير الرسمي لفلسطين بما تمثّله نقوشها من تراث فلسطين وتاريخها، فالأوراق السوداء حول إطارها تمثّل أوراق شجر الزيتون التي تشتهر به فلسطين، وتمثل نقشة شبكة الصيد تاريخ البحارة الفلسطينيين، إذ ترمز للعلاقة بين البحّار الفلسطيني والبحر الأبيض المتوسط، في حين يمثّل الخط العريض الطرق التجارية التي كانت تمر عبر فلسطين ويرمز لتاريخ طويل من التجارة والسفر والتبادل الثقافي كما تقول الكاتبة الفلسطينية سوزان أبو الهوى.

أخذت الكوفية طابعاً عالمياً إبّان ظهور ياسر عرفات وهو يتوشحها عند دخوله مقر الأمم المتحدة، وقد كان يرتديها غالباً على شكل خريطة فلسطين .

أصبحت الكوفية رمزاً للتعبير عن التضامن العالمي مع الفلسطينيين، وشغلت حيّزاً من الذاكرة الجمعية لنضال الشعب الفلسطيني ورمزا للاحتجاج يتوشحها المتظاهرون، وانتشرت ملصقات التضامن مع الشعب الفلسطيني التي قد تكون المناضلة ليلى خالد بوشاح الكوفية الذي ترتديه أشهرها، وفي هذا الصدد يقول «تيد سويدنبرغ» أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة «أركنساس» الأمريكية أن الكوفية تجاوزت العالم العربي وأصبحت لباساً مفضلاً لدى المتظاهرين السياسيين ورمزاً للمقاومة، حيث ارتداها مناهضون للإمبريالية العالمية أيضاً مثل الزعيم الكوبي «فيدل كاسترو» .

لقد عَبرت الكوفية الفلسطينية حدود التاريخ والجغرافيا، فأصبحت جزءاً من الحركة المناهضة للحرب في جميع أنحاء العالم، واليوم رأيناها رمزاً وطنياً يلتحفه المتظاهرون المطالبون بوقف «المقتلة» الغزّاوية تعبيراً عن تضامنهم مع غزّة وأهلها.

المفتاح :

تتعدد الرموز التاريخية لـ «المفتاح»، فهو رمز ثقافي في الأدب كما ورد في الأدب اليوناني الكلاسيكي، واستخدامه رمزاً للسيطرة على العالم المادي والفكري .. كذلك في العالم الإسلامي بما يمثله مفتاح «الكعبة» في مكة من سلطة روحية وإدارية، إضافة إلى ما تمثله رمزية المفتاح لمفاتيح «كنيسة القيامة» التي يحملها الفلسطينيون كجزء من تاريخهم وثقافتهم ومعتقداتهم، وبذلك يكون رمز المفتاح أفقاً لعوالم متعددة تعبّر عن قدرة الإنسان على فتح الأبواب والوصول إلى أسرار الكون .

تمتد رمزية المفتاح لتطال كل إنسان حر يلوذ به ملجأً لبيته وترسيخاً لحقه الطبيعي في الوجود، فهو رابط تاريخي ببعده الإنساني للتفاعل بين الماضي والحاضر، فأضحت «مفاتيح العودة» رمزاً وطنياً يلوّح به المهجرون الفلسطينيون في وجه شعوب العالم ليثبتوا أنهم أصحاب حق وأنهم متمسكون بهذا الحق مهما بلغت التضحيات، وإشارةً إلى ذكرى النكبة بصفته ترسيخاً لثقافة حق العودة لدى جيل ما بعد النكبة .. ثقافة التمسك بحق العودة لدى أولادهم وأحفادهم، فأورثوهم «المفتاح» الذي يحتفظون به لبيوتهم القديمة ثقافة لا تقبل المساومة ولا التنازل، وردّاً على المقولة الإسرائيلية العنصرية «سيموت الكبار وسينسى الصغار» والتي أُطلقت لشطب حق عودة الفلسطينيون إلى ديارهم.

مما لا شك فيه أن صورة المفتاح الفلسطيني بحجمه الكبير وصناعته اليدوية التقليدية، رُسِمَت لتظهر أن وجوده أقدم من وجود الكيان المحتل، وهو رمز مهم وأيقونة ذكرى تُمثّل حق العودة للفلسطينيين واستعادة بيوتهم المغتصبة، ويعبّر عن حق الفلسطيني في بيته الذي هُجّر منه قسراً في عام النكبة، ترقباً وانتظاراً للحظة العودة المرتقبة، فأضحى رفيقاً ملازماً لكل فلسطيني في الشتات، بل وفي الداخل أيضاً، وقد توارثته الأجيال الفلسطينية رمزاً لحق العودة ليصبح أيقونة ثقافية لا تقتصر على اعتباره وسيلة وأداة لفتح الأبواب فقط، بل تأكيداً راسخاً في التشبث المكاني للأرض التي سُلِبت منهم عنوة ، فهو يمثّل رمزاً قوياً للهوية الفلسطينية وحلم حقهم بالعودة إلى البيت الفلسطيني، فنراه في أعناق النساء وجيوب الرجال ليصبح جزءاً أساسياً من مكونات الذات الإنسانية الفلسطينية التي ترفض الهجرة القسرية للبيت الفلسطيني، وتستشرف أمل العودة للأجيال القادمة كي لا تنسى حقّها في أرضها، هذا الأمل الذي لا زال عامراً في قلوب الفلسطينيين ووجدانهم..ولأن الموت وحده يمنع عودتهم، فقد أورثوا مفاتيحهم لأجيالهم يواصلون السير إلى الأبواب الخشبية العتيقة لبيوتهم ، فنرى أن معظم العوائل الفلسطينية حافظت على مفاتيح بيوتها التي هُجّرت منها، وأورثوها لأبنائهم جيلاً بعد جيل إثباتاً لحقهم في الأرض والهوية، ولهذا فقد حفظت الجدّات المفتاح الفلسطيني معلقاً في صدر البيت على الجدار، أو خبّأته في صندوقها الخشبي التراثي مع مقتنياتها الشخصية، أو طرّزته أناملهن على القماش، أو قلادة في أعناقهن لأن المرأة الفلسطينية أحرص من غيرها على حمل مفتاح البيت فهي أكثر أفراد العائلة تشبثاً بالبيت والتصاقاً بذكرياته بحلوها ومُرّها، فآثرت أن تحمله لإثبات ملكية عائلتها له، فهو بمثابة سند قانوني تقاضي به من يغتصبه.

لقد برز المفتاح في الأدب الفلسطيني مكوناً أساسياً في الثقافة الفلسطينية، ورمزاً يمثّل خصوصية وطنية لقضيتهم .. فظهر في أعمال المبدعين الفلسطينيين من فنانين وأدباء وشعراء، وكذلك ظهر في قصص الأطفال، والمسرح، والتصوير الفوتوغرافي، والسينما، والفنون الشعبية، والفن التشكيلي، والنحت، وغيرها من الآداب والفنون ، حيث جُسّد في العديد من الروايات والقصص مثل قصة السيدة أم حلمي التي زيّنت جدران منزلها بثلاثة مفاتيح قديمة لتبقى ذكرى في نفوس أولادها وأحفادها، كما ظهرت اللوحات الفنية التي تصوّر المفتاح رمزاً للتمسك بحق العودة، وكذلك السينما مثل الفيلم الوثائقي «مفاتيح» الذي يحكي قصص اللاجئين المهجرين عنوة من ديارهم عام النكبة ومُنعوا من العودة إليها، فها هو الشاعر «أبو سلمى»: «خرجتُ مع مفتاحي وقصائدي.. وَقَعَت قصائدي في البحر، وظلّ المفتاح لأنني ربطته بخاصرتي»، وبكى.. مات في أمريكا ودفن في دمشق وترك المفتاح لابنه سعيد.

وبذلك تترسخ أيقونة المفتاح ركناً مهماً من الثالوث الفلسطيني الذي يَسِمُ روح المقاومة والنضال لدى الفلسطيني وإصراره على استعادة أراضيه المغتصبة .

البطيخ الأحمر :

بعد النكسة عام 1967، وعندما سيطر جيش الاحتلال على غزّة والضفة الغربية، منعت الحكومة الإسرائيلية رفع العلم الفلسطيني، واعتبرت رفعه جريمة يُعاقب عليها، فظهر حينها البطيخ الأحمر رمزاً فلسطينياً لأول مرة من رموز النضال ضد الاحتلال بسبب تشابه ألوانه مع ألوان العلم الفلسطيني.. وفي ذلك يُشير الكاتب «وسام السيد» إلى أن الفلسطينيين استخدموه لتجاوز ذلك المنع، لأنه عند تقطيعه تظهر ألوان العلم الفلسطيني «الأحمر والأسود والأبيض والأخضر» .

ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد فقط، لكن لارتباط فاكهة البطيخ الأحمر بأرض فلسطين التي اشتهرت بزراعته قبل نكبة 1948، حيث يُشير بعض الباحثين إلى أن المستوطنين جلبوا معهم بذوراً من البطيخ الأحمر مع بدء الاحتلال مختلفة عما هو موجود في فلسطين، وأغرقوا الأسواق ليُخرجوا البطيخ الفلسطيني من المنافسة، لكن المزارع الفلسطيني استطاع التميز بين بطيخ فلسطين وبطيخ المستوطنين، فكانوا يحتفظون بالبطيخ الفلسطيني ويستخدمون الآخر في رمي دبابات الاحتلال .

تعود رمزية البطيخ الأحمر في فلسطين إلى انتشار زراعته بشكل كبير، وبات جزءاً لا يتجزأ من ثقافة وتقاليد شعبها .. ففي أيام الموسم في فصل الصيف الحار لا يغيب البطيخ عن موائد الفلسطينيين الذين يتناولونه مع الجبن وخبز الطابون «فرن طيني لخبز الخبز»، ويعتبر رمزاً للانتعاش والراحة، فيمثل فصل الصيف بقيظه وحرارة شمسه اللاهبة الاحتلال، في حين أن الانتعاش والراحة والبرودة التي يمنحها البطيخ تلافياً للحر يمثل الروح الفلسطينية، مما يعطي انطباع القوة والصمود فيه ويعكسان إرادة البقاء .

ومنذ اندلاع الحرب على غزّة عام 2.23، شهد رمز البطيخ الأحمر انتعاشاً في شعبيته، فكان رمزاً تعبيرياً على منصات التواصل الاجتماعي المختلفة لإظهار الدعم لفلسطين، وتكرر الأمر بعد منع جيش الاحتلال الشعب الفلسطيني من رفع العلم احتفالاً بأسراه المحررين، فظهر على اللافتات والقمصان وضمن منشورات التواصل الاجتماعي، وأصبح رمزاً للتضامن مع القضية الفلسطينية يجمع الناشطين الذين لا يتحدثون نفس اللغة أو ينتمون إلى الثقافة عينها، فها هي الشاعرة الأمريكية «آرا سيليس جيرماي» تقول في قصيدتها «تحية للبطيخ»:

«في فلسطين
حيث التلويح بعلم فلسطين جريمة
تُرفع أنصاف بطيخ أحمر
في وجه القوات الإسرائيلية
كُرمى للون الأحمر والأسود والأبيض

والأخضر
لفلسطين»

أما الصحفي «جون كيفتر» فيقول في الـ «نيويورك تايمز» عن البطيخة :

«في قطاع غزّة، حيث كان يُقبض على الشباب لحملهم شرائح البطيخ إظهاراً لألوان علم فلسطين ذي اللون الأحمر والأسود والأخضر، يقف الجنود متفرجين، بينما تسير المواكب ملوّحة بالعلم الذي كان محظوراً ذات يوم» .

كما أن الفنانة الكوميدية البريطانية «شوميرون نيسا» فقد أنشأت فلاتر للبطيخ على «تيك توك» وشجعت متابعيها على إنتاج مقاطع فيديو باستخدامها، وتعهدت بتقديم جميع العائدات للجمعيات الخيرية التي تدعم غزّة .

ويُطلق الكاتب «مهدي صباغ» المولود في القدس صرخته المدوية: «عندما أرى البطيخ، أفكر في روح شعبنا التي لا تنكسر» .

كما أنتج الفنانون الفلسطينيون بعد الانتفاضة الثانية أعمالاً فنية تصور البطيخ الأحمر كرمز للمقاومة، فقد خلّد الفنان الفلسطيني «خالد حوراني» إرث «مقاومة رفع العلم الفلسطيني» عبر تصميم لوحة لكتاب يحمل عنوان «الأطلس الذاتي لفلسطين» وسرعان ما اشتهرت اللوحة، فتم عرضها في العديد من المعارض الفنية حول العالم.

لقد كان البطيخ الأحمر رمزاً للتمسك بالهوية والأرض، وتجسيد قوة الإرادة، والصمود في وجه التحديات والاحتلال، فرؤيته توحي بالأمل والثبات في ظل الظروف الصعبة، وتعكس رغبة الفلسطينيين في الحرية والعدالة، وإقامة دولتهم المستقلة.

وإننا إذ لا ندرجه في الثالوث الفلسطيني وفق قناعتنا رغم أهميته، فذلك لأنه لا يشكل رمزاً يحمل ثقل ذاكرة السابقين أو الأهمية الثقافية ذاتها، فهو، أي البطيخ، كما الزيتون الفلسطيني والبرتقال اليافاوي، رموز وأيقونات نضالية محرضة ودافعة لاستمرار الوجود الفلسطيني بتراثه وتاريخه وعَلَمه ونشيده الوطني .

برتقال يافا :

اشتُهر البرتقال الفلسطيني باسم «البرتقال اليافاوي» نسبة إلى مدينة يافا الفلسطينية التي تشتهر بزراعته والذي يُعرف بقشرته السميكة وعصارته الكثيرة الزاهية وبطعمه الحلو السكري.

بعد النكبة أصبح اللون البرتقالي عنصراً قوياً لحركات المقاومة الفلسطينية، فظهرت اللوحات التعبيرية التي تمثل امرأة فلسطينية شابة تحمل البرتقال بين البساتين، تُمثّل مشاعر الفخر الفلسطيني على أرضه ورمزاً للانتماء إلى أرض فلسطين وماضيه المتجذر فيها، وكذلك رمزاً قوياً للمقاومة الفلسطينية، وثمرة تبلل عروق النازحين الجوعى وتسد رمقهم في ظل أوضاعهم البائسة .

عدّه بعض الباحثين من أهم الموارد الطبيعية التصاقاً بالذاكرة الفلسطينية في تاريخ مقاومتها ونضالها، فقد بقيت أشجار البرتقال وثماره رمزاً لحنين الفلسطيني لمدنه وقراه التي احتلها الإسرائيلي، وبقيت ماثلة في ذهنه أيقونة لعودته إلى أرضه ومعبراً عن حياتهم قبل النكبة لدرجة أن «جريدة فلسطين» اقترحت عام 1929 أن يكون اللون البرتقالي أحد ألوان العلم الفلسطيني لأهميته وارتباطه بالحياة اليومية الفلسطينية والوعي الفلسطيني وذاكرته.

تناول الفنانون البرتقال الفلسطيني في أدبهم ولوحاتهم الفنية وأغانيهم وأهازيجهم الشعبية رمزاً لاستمرارية التواصل مع روح المقاومة والتواصل مع الأجيال باستخدامه رمزاً وطنياً فلسطينياً زرعه الفلسطينيون على أرضهم .. فاستعرض الأديب الشهيد «غسان كنفاني» في قصته «أرض البرتقال الحزين» ارتباط البرتقال بالذاكرة الفلسطينية مؤكداً عمق الارتباط بين الأرض وبينها المبنية على العلاقة الوطيدة بين المزارع وأرضه ليصبح جزءاً أساسياً من السردية الفلسطينية بما يمثله من الحنين للأرض المشبع بوجع الحسرة .. ويؤكد على فلسطينية البرتقال بعبارته الشهيرة «إن البرتقال يذبل إذا ما تغيّرت اليد التي تتعهده بالماء».

كذلك غرّد محمود درويش: «أحب البرتقال وأكره الميناء»، دلالة عشق الوطن ورفض التهجير الذي أشار له برمز الميناء، ويوضح الشراكة بين الفلسطيني وبين البرتقال: «كان الخريف بمر في لحمي جنازة برتقال» .

إضافة لدلالة البرتقالة التي استخدمها الفنانون في لوحاتهم مثل الفنان «رائد القطناني» الذي صوّر بلوحاته البرتقال الحقيقة والدليل الدامغ على حق الفلسطيني بأرضه مع توارث أجياله، فصوّر الشخصيات في لوحته بشكل ضبابي أما البرتقال فكان واضحاً جليّاً، بإشارة رمزية منه أن الأشخاص تزول وتتجدد أما البرتقال فيبقى راسخاً وحاضراً ومواكباً للأجيال الفلسطينية القادمة، أما الفنان «عبد العزيز إبراهيم» فيصوّر نزيف الدم الفلسطيني بلوحته التي تربط الأسلاك الشائكة بالبرتقال.

الزيتون الفلسطيني :

من منا لا يتذكر علاقة الزيتون بقلب الشاعر محمود درويش وفلسطين في قصيدته «أوراق الزيتون»:

«لو يذكر الزيتون غارسه
لصار الزيت دمعاً».

شجرة الزيتون، ترمز إلى عمق الفلسطيني المتجذّر في تراب وطنه .. هذه الشجرة المعمرة التي تُعطي معنى الصلابة والقوة في المقاومة وفي تجذر التراث الفلسطيني .. هي رمز الوطن، تاريخه، تراثه، حضارته، مقدساته في عقائده الدينية الإسلامية والمسيحية، رمز الخلود والبقاء، رمز السلام والأمن.. وتمثل رمزاً لعمق جذور الفلسطيني في أرضه، ومتانة صموده، وتصميم مقاومته، فاتخذ منها الشعراء الفلسطينيون أيقونة لترسيخ الصمود والمقاومة واستمرار البقاء والحياة والحفاظ على هويتهم الثقافية والوطنية الفلسطينية رغم كل محاولات المحتل الصهيوني اقتلاعها كما التهجير القسري اعتقاداً منه أنه يمحو تاريخاً متأصلاً في التاريخ الفلسطيني وتراثه، إلا أنه لم يُفلح في زعزعة إيمان الفلسطيني برموزه التاريخية الوطنية .

غالباً يُشار إلى شجرة الزيتون في القرى الفلسطينية بـ «شجر الزيتون الروماني» للدلالة على عراقتها في فلسطين، وليمتد ذاك إلى الأغاني الشعبية وما وثّقته من تناقل للأجيال تحقيقاً لحق الفلسطيني في أرضه مثلما صدحت الفنانة «طلال أبو آمنة»:

«يا زيتون الحواري
صبح جدادك ساري
يا زيت اقلب ليمون
اقلب مسخن في الطابون».

حيث تتبدى علاقة الفلاح الفلسطيني بنسيج مطرّز العاطفة مع شجرة الزيتون عبر الأجيال .. ففي عام 5..2 وُضعت شجرة الزيتون على اللائحة الوطنية ضمن موضوع «فلسطين أرض الزيتون والكرامة» مثلما أشار الباحث «حمدان طه» موضحاً جدلية العلاقة بين الإنسان الفلسطيني وشجرة الزيتون، لأنها تشكل جزءاً مهماً من المشهد الثقافي والبصري في فلسطين والتي حفظت في أسماء عشرات البلدات والقرى مثل «بير زيت، زيتا، طور زيتا، جبل الزيتون..» ، وكذلك أسماء الأشخاص والعائلات التي تحمل اسم «زيتون، الزيات ..» ، كما يؤكد الباحث المذكور على إدراجها على لائحة التراث العالمي كجزء من التراث الثقافي للشعب الفلسطيني.

وبذلك تعتبر شجرة الزيتون رمزاً متجذراً أصيلاً يربط الفلسطينيين بأرضهم دلالة على أحقيتهم بأرضهم وأمنهم وسلامهم وتأكيداً على عروبتهم منذ عهد الكنعانيين العرب، ولذا فإن الدفاع عن شجرة الزيتون وزراعة المزيد منها هو شكل من أشكال صمود ومقاومة الشعب الفلسطيني ودفاعه عن أرضه . وهي الرمز الأقوى لتشبثهم بأرضهم .

أخيراً، فإن كل هذه الرموز والأيقونات تعتبر تراثاً حقيقياً متأصلاً في ثقافة ووعي الشعب الفلسطيني، وحقاً لكل منها أن يكون ركيزة أساسية صلبة لا بد منها في أي ثالوث يتم اختياره من أي باحث أو مفكر .

فلسفة العقلانية والتنوير في فكر عبد الله النديم

د. سامي الشّيخ محمّد - أكاديمي فلسطيني - سورية

عقلانيّة التّفكير :

يعتقد عبد الله النّديم* (1844-1896) بضرورة إعمال العقل في الأفكار المتوارثة والجديدة، بحيث يجري القيام بفحصها فحصاً علميّاً دقيقاً يهدف للكشف عن العناصر التّركيبيّة المكوّنة لها الضّارة منها والنّافعة، فيتمّ إقصاء كلّ ما هو ضار والتّمسّك بكلّ ما هو نافع منها. بهذهِ الرّوح النّقديّة يُمكن لشعوب الشّرق الارتقاء بفكرها وأحوالها، والشّروع في تأسيس منظومةٍ معرفيّة علميّة من الأفكار تُشَكّلُ أساساً صالحاً لبناء دولةٍ حداثيّة تستجيب لروح العصر ومتطلّباته، فتتحقّقُ نهضةً حقيقيّة في جوانب الحياة كافّة .

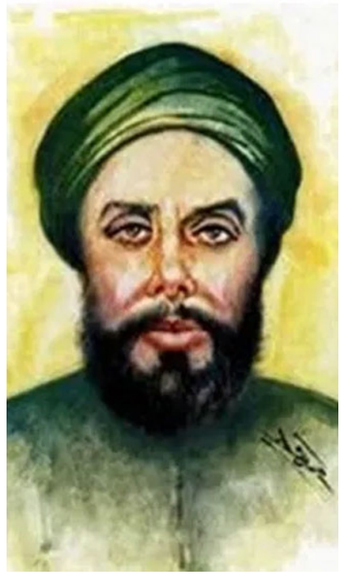

إنَّ آليّة فحص الأفكار الاجتماعيّة والسّياسيّة والثّقافيّة تتحدّد باشتراك مُمثّلي الشّعب على مختلف انتماءاتِهم السّياسيّة والمذهبيّة والعرقيّة، فاختلاف الآراء والأفكار، أداةٌ مُهمّةٌ لكشف الجوانب الخاطئة وغير النّافعة فيها. الأفكار وإن كانت صّادرةً عن إنسانٍ يتّصفُ بسلوكٍ أخلاقيٍّ رفيعٍ وينطلق في رؤيته للأمور من نيّةٍ صادقةٍ وإخلاصٍ غير مشكوكٍ فيه، ينبغي أن تخضع لفحصٍ عقليٍّ دقيق، ذلك أنَّ درب النّوايا الصّادقة مليءٌ بالعَثَرات والأخطار. وبطبيعة الحال لم تصدر دعوة عبد الله نديم للأخذ بأحكام العقل واعتمادهِ مقياساً لقياس الأفكار السّائدة في زمانه، لولا أنّهُ كان على يقين بأنَّ العديد من الأفكار والآراء المتوارثة والسّائدة تنطوي على قدْرٍ ليس بالقليل من الخطأ والضّرر، ناهيك عن توفّر الاعتقاد لديه بأنَّ الأمم الغربيّة النّاهضة ما كان لها أن تنهضَ لولا أنّها نفضت عنها غبار الجهل واتّبعت سبيل النّظر العقليّ في أفكارها تحت تأثير الفلسفات العقليّة النّقديّة فيها: «نحن معاشر الشّرقيّين في حاجةٍ إلى نقد الأفكار وتفتيش الآراء حتّى فيما يصدر منّا في الشّؤون الأهليّة، لنبذ الضّار والأخذ بالنّافع. فقد يصدر الرّأي من إنسان عن الإخلاص ويكون قد تلوّث عليهِ المطالب، فيخرج الرّأي فطيراً يضرّنا الأخذ به وإن كان صاحبهُ لم يقصد الضّرر.. وقد درست الأمم الغربيّة هذهِ المقدّمات.. فاعتمدت على مجالس شوراها لتستخلص من تضارب الأفكار واختلاف الأحزاب قواعد لا تنقضها الحوادث وقوانين تلائم التّابع والمتبوع وتبقى بها دعائم الدّولة قائمة على أساسٍ متين». (الفكر العربي الحديث، ص 202،203). لقد أيقن عبد الله النّديم أنَّ نهضة بلاده وتقدّمها رهنٌ بالقضاء على الجهل والأوهام، وإظهار الاحترام والتّقدير للعلماء بوصفهم رُسل التّنوير الحقيقيّين في المجتمع:» إنَّ «التّنكيت» _ أي الجريدة_ تدين الجهل والأوهام» و»إنَّ إهانة العلماء هي أوَّل علامات انحطاط البلاد. والجهلُ هو سبب كلّ الرّزايا». (الفكر الاجتماعي والسّياسي الحديث [في لبنان وسوريا ومصر]، ص 199) .

الإرادة المنفعلة

لم يبعث الحال العربي أدنى قدْرٍ من التفاؤل والأمل في عقلِ ونفس عبدِ الله نديم، فبينما أطلعت المجتمعات الغربيّة في النّهوض والتّقدّم في حقول الحياة المختلفة، لم تتمكّن المجتمعات العربيّة من تجاوز حالة الكسل والجهل والتّخلّف والانحطاط الّتي تُسيطر عليها. وأسباب ذلك: هجرةُ العقول للعلم وأهلِه، وانكفاء الإرادة عن العمل، والتّقاعس والنّهاون واللاّمبالاة حيال المصالح الوطنيّة المختلفة. فلا وجود للإرادة الفاعلة في الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة المختلف، في ظلّ جهل العوام تحت مظلّة الاستبداد السّياسيّ وفساد السّلطان وجوره». توالت الأعوام والجرائدُ تنقلُ لنا معاشر الشّرقيّين، أخبار أولئك الفائزين وتشرح لنا من أعمالِهم الّتي حيّرت الأفكار وأدهشت العقول ما ساعدهم عليه تمحيص الرّأي وتوحيد الكلمة وتمحيص المتشاورين. ونحن قعودٌ على قارعة الكسل والنّهاون نكتفي بالتفرّج على الأمم العاملة ونفرحُ بما نراه من فوزها ونغضب إذا تأخّر فريقٌ منها. وقد انصرفنا عن مصالح أوطاننا وعمينا عن طريق تقدّمنا وحيل بيننا وبين مجاراة هؤلاء العقلاء بسور الأنفة من استشارة الفقراء. ومفاوضة الضّعفاء، وإن كانوا قد امتلأوا علماً وكسبوا نباهة». (الفكر العربي الحديث ص 203).

يأخذُ النّديم على سكّان الشّرق الّذي ينتمي إليه، وعلى المحتلّين الإنكليز والنّخبة المصريّة، مسؤوليّة التّخلّف والجهل والانحطاط والمعاناة الّتي يُكابدها الشّعب، ويدعو إلى تهيئة العقول والنّفوس قبل القيام بأيّ ثورةٍ مسلّحة، حتّى لا تنحرف عن أهدافِها وتنقلب إلى وبالٍ يُكلّف الشّعب ثمناً باهظاً: «إنَّ سُكّان الشّرق عبيد: إنَّهُم يزرعون ويحصدون ويُبدِعون، لكي يُغذّوا التّجارة الأوروبيّة، ويزيدوا ثراء أوروبّا.. كما لو كانوا قد خُلِقوا لِخدمَتِها.. ما دام الشّعبُ خاضعاً للجهلِ ويعوزُهُ الاستعداد للنّضال، فإنَّهُ لن يتمكّن من التّوصّل إلى أيّ شيء.. إنَّ الانتفاضة لن تجلب النّجاح إذا لم يحُز الشّعب على المعارف وإذا ما انصرفَ النّاسُ عن المشروعات الصّناعيّة، وإذا لم يعرفوا كيفَ يستعملونَ التّقنيّة». (الفكر الاجتماعي والسّياسي الحديث [في لبنان وسوريا ومصر]، ص 199، ص 200). وفي السّياق ذاتهِ يأخذ عبد الله النّديم على تهميش دَور الخطابة في الحياة الاجتماعيّة والشّؤون العامّة للبلاد، من خلالِ قصرها على خُطب المساجد الدّينيّة دون الالتفات للمشكلات الواقعيّة الّتي يحتاج إليها السّكّان في حياتِهم اليوميّة والمصيريّة، ولا غرو في ذلك إذا عرفنا أنَّ النّديم مارس الخطابة في أكثر من ميدان، كخطيبٍ اجتماعيٍّ وسياسيٍّ وتربويٍّ، استطاعَ بخطبهِ الحماسيّة البلاغيّة التّأثير في المشاعر الوطنيّة والقوميّة بشكلٍ لافتٍ وكبير. لذا يقترح أن يعتلي منابر المساجد خطباءٌ أكفاء، حتّى يكونوا قادرين على التّأثير الحيّ والمُباشر في النّاس، بالإضافة إلى ضرورة طبع خُطب المساجد وتداوُلِها بين النّاس:».. من أهمّ أسباب غفلة الشّرق ضعف الخطابة، واقتصارها _ تقريباً _ على خُطَب المساجِد، وهي خُطبٌ لا تمسُّ الحياة الواقعة بحالٍ من الأحوال، وإنّما هي عباراتٌ دينيّةٌ محفوظة، ومعانٍ مُتكرّرةٍ مألوفة، لا تُحرّك قلباً ولا تضيء حياة». (أمين، أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكاتب العربي، بيروت، 1979، ص 218)، وقد أبدى استعدادٌ للاشتراكِ في إعدادِها ،بحيث تتضمّن الدّعوة لـ «..المُحافظة على حقوق البلاد، والنّهي عن الظّلم والغي، والدّعوة إلى الائتلاف لمواجهة الأخطار الّتي تظهرُ دلائلها في الأفق والاتّحاد مع المواطنين من غير نظر إلى اختلاف الدّين ، والتّذكير بمجد مصر السّابق .. والتّحذير من تمكين الأجنبي من وضع يدهِ على سياسةِ البلاد.. ومعاملة الأجانب بالحُسنى، من حِفظِ حقوق تجارَتِهم، وعدم الإساءةِ إليهِم». (المرجع نفسه، ص218) .

موقف العوام من السّلطان :

ينتقد عبد الله النّديم عوام الشّعب انتقاداً لاذِعاً، نتيجة تمكّن الجهل منهم: «العوام هم قوت المستبدّ وقوته، بهم عليهم يصول وبهم على غيرهم يطول، يأسرهم فيتهلّلون لشوكته، ويغصب أموالهم فيحمدونه على إبقاء الحياة، ويهينهم فيثنون على رفعته، ويغري بعضهم على بعض فيفتخرون بسياسته، وإذا أسرف بأموالهم يقولون عنه أنّهُ كريم، وإذا قُتِلَ ولم يمثّل يعتبرونه رحيماً، ويسوقهم إلى خطر الموت فيطيعونه حذر التّأديب، وإن نقم عليه منهم بعض الأباة قاتلوهم كأنَّهُم بغاة. والحاصل أنَّ العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل، فإذا ارتفع الجهل زال الخوف وانقلب الوضع أيّ: انقلب المستبدّ رغم طبعه إلى وكيلٍ أمين يهاب الحساب ورئيس عادل يخشى الانتقام وأب حليم يتلذّذ بالتّحابب». (الفكر العربي الحديث 208).

عبد الله النّديم
(1896-1844)

أديبٌ اجتماعيٌّ منوّرٌ وخطيبٌ مصريٌّ مرموق، انضمّ إلى جماعة «مصر الفتاة السّريّة في العام، 1879، شارك في تأسيس أوّل جمعيّة تنويريّة في مصر «الجمعيّة الخيريّة الإسلاميّة» بهدف نشر التّعليم وتعزيز روح التّضامن الإسلامي بين الشّعب، وغرس المشاعر الوطنيّة بين الجماهير الشّعبيّة، أصدر ثلاثة صُحُف: صحيفة «التّنكيت والتّبكيت» سنة 1881، صحيفة «الطّائف» أثناء انتفاضة أحمد عرابي، وصحيفة «الأستاذ» الأسبوعيّة بعد اختفائهِ عشر سنوات إثرَ هزيمة العرابيّين، وصدور عفوَ الخديوي عبّاس الثّاني سنة 1892». (ز. ل. ليفين، الفكر الاجتماعي والسّياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر، ترجمة بشير السّباعي، دار ابن خلدون، بيروت ،1978». (ز. ل. ليفين، الفكر الاجتماعي والسّياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر، ترجمة بشير السّباعي، دار ابن خلدون، بيروت ،1978، ص199، ص200).

مطالعة في كتاب

«السياسة الثقافية الثالثة»

د. سمير عبد الرحمن الشميري ـ باحث وأكاديمي من اليمن

مدخل:

خرج إلى النور كتاب الدكتور/ حاتم الجوهري الموسوم بـ» السياسة الثقافية الثالثة إعادة التأسيس لمصر والعرب في القرن ٢١» (سبتمبر ٢٠٢٥) في إصدار خاص عن «مشروع المشترك الثقافي العربي»، في زمن غير حميد سقط فيه المجد والشرف وتذبح فيه الأمة من الوريد إلى الوريد ويتعرض الشعب الفلسطيني في غزة والضفة الغربية للتطهير العرقي، ولمجازر شنيعة وعنصرية مقيته تهدف إلى إقتلاعه وتهجيره من أرضه لصالح إسرائيل وإقامة الدولة اليهودية العنصرية الكبرى من النيل إلى الفرات وضمن سياسة « الشرق الأوسط الجديد «، الذي تتبناه الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية .

الكتاب بزغ في لحظة تاريخية فارقة ليقول:

توقفوا عن التطبيع والتبعية العمياء ..استيقظوا من سباتكم ..لابد أن يكون لكم وجود فاعل ملئ السمع والبصر في صُنع الحضارة وترصين الثقافة والهوية والذاكرة الجمعية ..لابد من نهضة الروح الوطنية والقومية وحماية وترقية الوجدان العربي والمشاعر القومية..لابد من سياسات مستقلة زاخرة بالمشاعر الوطنية والإنسانية ومعاكسة للتبعية والمواقف الزئبقية والمراهقة الفكرية والوجدانية والتموجات السطحية التي تفضي إلى تصدع الكينونة الداخلية وإلى تشققات وتبرعمات.

أولا : الهيكل التنظيمي للكتاب :

أعتقد في سريرتي، أن الكتاب الذي سطر في ٢٩٠ صفحة يحمل في دفتيه عمق ومضمون السياسية الثقافية الثالثة، يقدم غذاء فكريا ووجدانيا للطامحين إلى نور العقل ونور الفهم، ويمتزج باللباقة العقلية والدقة العلمية وبقلق السؤال الفكري والاتقان والتجويد، ويصحح الأغلاط وتصويب الأخطاء العالقة بمناخ الرداءة الثقافية والسياسية الذي تحركه الأهواء المتضاربة، والرواسب الفكرية والنفسية وميكانيكيات الاقصاء والأزمات الوجودية الكبرى التي تخلخل الثقافة والإجماع الوطني والقومي وصور المغالبة والاستلاب.

كثيرا ما طفق المثقفون خارج مفهوم المثقف ولم يسلطوا عدسة الضوء على السياسة الثقافية المصرية والتمايز والصعود الثقافي، فتصدى د.حاتم الجوهري في الباب الأول من الكتاب (الذي يحتوي على ثلاثة فصول)، لقضايا ملحاحة، ليوضح تمثلات الشمولية، والتمرد والتلقي العربي لمفاهيم المثقف بين الشمولية والشمولية المضادة، ويرسم لنا التصور الثقافي لمصر الحديثة ماقبل

١٩٥٢م، وما بعد ٢٠١١م.

وفي الباب الثاني (الذي يحتوي على ثلاثة فصول)، يمشي د.حاتم الجوهري بخطوات عريضة ويضع يده بانبساط على تمثلات السياسة الثقافية الثالثة، وصور الذات عند الآخر والترجمة ومحددات تغيير الصورة النمطية العربية وجدل الذات والترجمة للآخر من اللغوي إلى الخطاب والتلقي وتطبيقاتها، والبطل المضاد والعنف ودراما المهرجانات والصورة البديلة للبطل الشعبي.

لقد دأب الكتاب في تقديم تصور للسياسة الثقافية الثالثة ومابعد الثنائيات الحدية وإعادة إنتاج الثنائيات الثقافية وكشفها في القرن الـ٢١ . الكتاب يفتح نافذة للسجال ولتحريك الأقلام والعقول الناعسة ويرفض الصمت بأسلوب لايخلو من التشويق : بمنهج فلسفة البدائل والاستشراف العلمي القائم على نمط التحليل التاريخي للظاهرة (١).

د.حاتم الجوهري كسر قوقعة الصمت وشرنقة الجمود والترهل، ومضى في عمق وتجاويف الكتاب يبسط ويساجل ويحلل وينتقد بصوت يخترق سكوننا ووجداننا بعمق ونطاسة، ينير العقل ويفتح القلب ويشع بالإغراءات والفتون للخروج من شرنقة الأوضاع وتغيير جغرافية العقل وعلاقات القوة ومعالجة القضايا الموجعة المهمورة بالشقاء والمعاناة. لم يتورط د.حاتم الجوهري في تحليل مجافي للواقع ولم يقع في مصيدة التعميم ولم يرقم أفكارا بسطحية سريعة الاندراس. ولسوف يجد القارئ أن الكتاب تنبجس منه رائحة الجدية والصدق والدقة والملاحظة وحرارة التعبير، ويحتوي على دقة النظر وجزالة الأسلوب ومهارة العرض والوصف والنقد والتحليل للسوسيولوجي ويقدم نمطا ثقافيا بديلا تحت مسمى «السياسة الثقافية الثالثة».

ولا نجافي الصواب إن قلنا، إن الكتاب متنوع المقامات والضروب وخليق بالقراءة والدرس من الصعب الإحاطة بكل تفاصيله، ليس فيه نزق ولا شطحات، مترع بحس الاجتهاد والمكادحة الفكرية وروح الشموخ الوطني والقومي، والعمق والتجويد يملأ الفم ويقرع الأذن ومغموس بالإشعاع الفكري يتجاوز القشور السطحية والأطر القديمة في التفكير، ويغوص في جغرافيا العقل والثقافة ولم يركب صهوة السهولة. يحرك العقل ويزخر بالمعاني الجليلة ويسهم في إعادة بناء الذات الثقافية العربية بشيء من الثراء والعمق، على ضؤ سبعة مرتكزات نظرية كما يبسطها الكتاب وهي على النحو التالي(٢):

1. تمايز العلاقة مع الهوية المصرية ومستودعها متراكم الطبقات المتعايشة بطريقتها الخاصة، عبر التاريخ والأزمنة المتعاقبة ، وقدرة هذا النموذج على الإلهام الإنساني.

2. الاعتماد على النموذج الحضاري المصري وطبيعته المصالحة مع الذات ومع الآخر

3. تجاوز موضوع الصدام الحضاري والحضارة المطلقة...، والترويج لنموذج الحضارات المتصالحة مع الذات والآخر .

4. الربط بين الثقافة وبين الجغرافيا في بُعد استراتيجي جديد (بُعد الجغرافيا الثقافية).

5. علاقة جديدة بين الذات والآخر تحت مسمى (ما بعد مرحلتي التحرر والسلام).

6. الإشارة للمثقف الجديد الذي تسميه الدراسة «مثقف الكتلة الجامعة» وعلاقته بمستودع هوية البلاد ومشتركاته الجامعة

7. توصيف وظيفي جديد وفلسفة جديدة لحقيبة الثقافة ودورها إجمالا ، لتعمل باعتبارها منصة مشتركة للجماعة المصرية والذات العربية، تقوم على التأكيد على المشترك الممكن وتجاوز التناقضات والاستقطابات، في لحظة تاريخية تفجرت فيها معظم السرديات السياسية والأيديولوحية ، مع اختبار هذا التوصيف على تحويل السياسة الثقافية الجديدة إلى لحظة تاريخية مفصلية ممكنة، تنتج دافعا جماعيا لبناء تراكم حضاري جديد.

ثانياً: المثقف وتبعيته للآخر:

أتشاطأ مع الدكتور /حاتم الجوهري الذي انتقد النظريات الشمولية والأطروحات النظرية للمفكرين الغربيين وأبرزهم: صومائل هنتجتون، فوكوياما، برنارد لويس. وواصل مشواره النقدي الحصيف لمفهوم الحضارة المطلقة المقدسة، والنظرية الأوراسية الجديدة، وسردية الحزام والطريق .

كما أعجبت بتوضيحه اللبيب لمفاهيم: الثقافة - المثقف - المثاقفة - السياسة الثقافية - الدبلوماسية الثقافية.

ولا أخفي غبطتي في تسليطه عدسة الضؤ على السياسة الثقافية المصرية، التي تميزت في عهد الرئيس جمال عبدالناصر بالاستقلالية والتحرر، وفي العهد الذي يليه بحالة السلام والمهادنة، وفي مرحلة مابعد 2011م التي سماها الكتاب بمرحلة ارتباك السياسة الثقافية.

ولربما كان من المفيد القول، إن الدكتور/ حاتم الجوهري تسلح بأسلوب سلس لا غموض فيه وكان جوادا في مقارنته اللبيبة بين رفاعة رافع الطهطاوي وطه حسين، حيث كان الأول حريصا على الانفتاح على الحضارة الغربية والتعايش مع الآخر بهدوء وعقلانية مع الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية، وهذا ما نلمسه في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ١٨٣٤م، بينما الآخر اندفع بقوة ثوب الالتحام بالحضارة الغربية قلبا وقالبا، وأكد في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر):

بأن مصر كانت دائما جزءا من أوروبا، وفي كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على إختلاف فروعها(٣). ولابد أن: نسير سيرة الأوروبيين ونسلك لنكون لهم أندادا ولتكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره(٤).

وعلى نفس المسرب سار بعض المثقفين الذين رفضوا الثقافة العربية والأدب العربي، كما فعل المفكر المصري سلامه موسى في كتابه (البلاغة العصرية واللغة العربية)، ونادى أرهاط من المثقفين باستبدال الحروف العربية باللاتينية ومن جملة هؤلاء: سلامة موسى، عبدالعزيز فهمي، سعيد عقل.

وفي نفس السياق، قال سلامة موسى:

الواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة إلى المستقبل لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مقام تركيا التي أغلق عليها الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها.. حين نصطنع الخط اللاتيني يزول هذا الانفصال النفسي الذي أحدثته هاتان الكلمتان المشؤمتات «شرق وغرب» فلا نتغير من أن نعيش المعيشة العصرية(٥).

وفي سياق متصل، ضمن إطار تحقير اللغة العربية والثقافة والعزة الوطنية والقومية، كتب ذات يوم الدكتور/ جابر عصفور أن:

«بعض المذيعين والمذيعات أوصلوا اللغة العربية إلى مايمكن تسميته نوعا من (التخنث) ـ أو الدلال في استخدام اللغة العربية عند المذيعات اللائي لا يحسن النطق، ويتخيلن أن الخطأ في النطق نوع من الرقة والدلال الذي ينبغي أن يحرصن عليه.. والإسراف في استخدام الكلمات الأجنبية ادعاء العصرية، والاندفاع إلى المسميات الأجنبية استخفافا باللغة القومية، فذلك البديل نوع من الإتباع الثقافي الجديد الذي تلازمه التبعية السياسية والاقتصادية بأسوأ معانيها وآثاره الضارة على الهوية لا تقل خطرا عن آثاره التي تهدد استقلال الوعي وقدرات الإبداع الذاتي(٦).

وهناك ثلة من الأدباء وأرباب المعارف وحملة الأقلام ربما أهملوا اللغة العربية وأتقنوا اللسان الأجنبي، لكن تعتبر إبداعاتهم الأدبية والثقافية انتصارا للقيم الحضارية والثقافية والمثاقفة وجزءا من التلاقح الحضاري المفيد الذي يصب لصالح الثقافة العالمية وجسرا من جسور التقارب بين الشعوب، ونعتز كثيرا بأعمالهم السنية والقيمة مثل:

مولود فرعون، أدمون عمران، كاتب ياسين، عبدالكريم الخطيبي، محمد ديب، آسيا جبار، ألبير قصير، الطاهر وطار، عبدالوهاب المؤيد، مالك شبل، ياسمينة خضر، إدوارد سعيد، جورج شحاذة، أمين معلوف، أمين الزاوي... إلا أننا نعيب على نزر منهم عدم إجادتهم للغة العربية بصورة سليمة وعدم قدرة البعض الكتابة باللغة الأم، ما يفقدهم جزءا مهما من مقومات الهوية(٧).

من الواجب على المثقف أن يكون مستقلا ومن أهل الفطنة والتدبير، يضيء الطريق ، ويزرع شتلات المعرفة في مضائق الأذهان، ويحارب الأوهام والخرافات والتلزيقات وجرثومة الوعي المنكسر، والتشوش والضبابية، ويمتلك ناصية اللغة والفكر ويطرح الأفكار ويعمق الأسئلة، ويوطد مداميك ثقافة العقل والحرية والاستقلال، ويرفض التبعية بكل أشكالها وألوانها ، وهذا ما أكد عليه الدكتور/حاتم الجوهري في كتابه: «السياسة الثقافية الثالثة».

خلاصة:

يطيب لي أن أعلن، أن مايحمد للكتاب أنه أجاب على أسئلة محورية وملحاحة نهشت عقولنا وقرعت رؤوسنا في قلب الليل وخبيص النهار، ونحت مفهوما جديدا سماه «مثقف الكتلة الجامعة».

وما يعاب على الكتاب التطويل الزائد في المقدمة والتشابه الشديد بين المقدمة والخاتمة وكأنهما وجهان لمسكوكة واحدة ، وتكرار الأفكار في المتن.

وأشد ما أبهجني، في الكتاب الإجادة والإحسان وصفاء البصيرة والحس، وروح الإنتماء الوطني والقومي العربي، وعدم غموض المنهج العلمي، وقوة التبويب المنهجي المرتوق بالتحليل والتسلسل المنطقي للأفكار، ورصانة البناء الهيكلي الكتاب، ودعوته الصادقة بوحدة الثقافة العربية واللغة والبيئة العقلية والتاريخ.

د.حاتم الجوهري لم يكن أسيرا للشطحات اللفظية والفكرية ، ولم يتحرك بنزق وبقبقة في مسرب وعي زائف ومغلوط. لقد حاول اختراق الجدران السميكة بأسلوب حصيف وبلغة طيعة، وسبح عكس تيار التحجر والنمطية الصلدة والضجيج الأرعن، الذي يركز على البهرجات والعنتريات والخطب الرنانة ويهمل المنطق والعقل وقسطاس الحكمة والتبصر .

تحية من سوداء القلب للدكتور/حاتم الجوهري الذي كتب بمداد عليم ولم يرضع من ثدي فكري ضامر، وقاوم الغباء والزعرة والشطط، وضغط على جرس الإنذار لإيقاظ العامة، وفتح بابا واسعا للتنوير، ورسم ملامحا سوية لطريق ثالث في السياسية الثقافية بعيدا عن الاستعمار الثقافي والتبعية العمياء، ليعيد المجد والعزة والشرف لهذه الأمة التي تعيش في جوف الاحترابات والانقسامات والفحش الأخلاقي، والمؤامرات الكبرى والوجودية على فلسطين ومصر وكامل التراب العربي من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي، والتي تهدف إلى مزيد من التصدع والإنكسارات وتشتيت بوصلة الإجماع العربي والتدمير العمدي لنسيج المجتمعات العربية، لخلق هويات متناشزة مفككة العرى مقطعة الأوصال ولكسر رقبة التضامن العربي وتدمير الهوية والثقافة والخلال المحمودة .

الهوامش:

١- حاتم الجوهري ، السياسة الثقافية الثالثة إعادة التأسيس لمصر والعرب في القرن ال٢١، إصدار مشروع المشترك الثقافي العربي، ط1، 2025م، نسخة الكترونية، ص١٧ .

٢- المصدر السابق ، ص ١٨-١٩ .

٣- طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر (القاهرة : مطبعة المعارف ومكتبتها ، ١٩٣٨)، ص١٤.

٤- المصدر السابق ، ص٤٥ .

٥- طيب تيزيني ، من التراث إلى الثورة ، حول نظرية مقترحة في التراث العربي ، الجزء الأول (بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٧٦)، ص١٢١ .

٦- جابر عصفور (أزمة اللغة العربية ..السياسة والإعلام والتعليم ..أين الخلل ؟)، العربي (الكويت)، العدد ٥٩٣ ، (إبريل ٢٠٠٨) ، ص٧٨ ، ٧٩ .

٧- سمير عبدالرحمن الشميري ، الثورة والهجرة والهوية في مجتمع متشظ ،(أبوظبي : ثقافة للنشر والتوزيع ، مايو ٢٠٢٠)، ص١٩٥ .

عامان على طوفان الأقصى قرن على طوفان الوعي

أحمد علي هلال ناقد أدبي فلسطيني - سورية

لم يكن طوفان الأقصى معركة خارج السياق التاريخي منذ اندلعت شرارة الاحتكاك الأولى مع الكيان الغاصب، ومن قبله الانتداب البريطاني على أرض فلسطين، ففي غمرة التحولات المصيرية بتراكم طبقاتها عبر التاريخ البعيد والقريب، كان الطوفان في ظلال دلالاته الحاكمة أبعد من حدث ليصبح تاريخاً بعينه يُبنى عليه وتُشتق من دلالاته ومعانيه وأبعاده قيم التحول في مضمار الوعي والمعركة الوجودية، وبهذا المعنى، أي بتتبع الأبعاد الكبرى لدلالة الطوفان، سنقف على جملة من الحقائق واليقينيات، وليس المسلمات فحسب: إنها ثورة شعب كافح بطلائع مقاوميه وقوافل شهدائه وآلام أسراه، غزوة صهيونية إحلالية ليس من السهل اعتبارها آخر احتلال في العالم لأرض عربية الجذور والهوية، وهذا يعني بكل تأكيد أن طوفان الأقصى في أقصى الدلالات البعيدة هو طوفان الوعي وتثبيت الهوية وانتزاع الحقوق والصمود في الأرض، وبهذه السياقات الكفاحية التاريخية المديدة يمكن فهم تأثير الطوفان بوصفه تعبيراً شاملاً على أنه معركة من تلك المعارك الطويلة التي يخوضها شعبنا وطلائع مقاوميه، بل إن تأثيرها سيعيد تشكيل الذاكرة الجمعية والوعي الجمعي المتجدد لتكون النتائج أبعد من نصر ومعركة في حيز بعينه، لأنها جدلية الصراع المفتوح والتي ستجهر بآثارها على مجمل الحياة الفلسطينية وستتعداها إلى الإنسانية قاطبة، وهذا ما يعني أيضاً تحرير الوعي آلية وتفكيراً وأدوات بصياغة دلالة الطوفان على مستوى الأفكار والمصطلحات والمفاهيم وأنساق الثقافة قاطبة.

تُرى هل فرضت هذه الدلالة هذا التغير الذي طاول أنساق التفكير، بوصفه متكاملاً ستطاول جبهة الثقافة وتعبيراتها المتسقة والمندغمة بما يجري على أرض الميدان، أي غزة وأنحاء فلسطين، حتى تجهر منظومة فكرية جديدة بدلالات إضافية غايتها تحرير المعنى واشتقاق ما يعادله على مستويات الخطاب الإعلامي والإبداعي والثقافي، مع إدراك وفهم تلك المتغيرات التي طاولت بنى التفكير والتعبير في تلك الخطابات، تماماً كما حررت في الوعي دلالة كلمة انتفاضة وأصبحت المفتاح لفهم توق الشعب الفلسطيني للتحرر والانعتاق وتعبير الحرية، وذلك ما يضيف لدلالة الطوفان الجديدة أبعاداً أخرى على جبهة المصطلحات والاشتقاقات المعرفية، التي تشي بجوهر المقاومة وسيرورتها داخل حقول الثقافة، ولتتجدد معها تعبيرات المقاومة الثقافية إلى جانب إنجازات المقاومين، لكن تأمل المشهد العالمي بعيداً عن التأثير العاطفي والوجداني، والاسقاطات السريعة وصولاً إلى القراءات الموضوعية المنصفة لسيرورة الوعي والتحولات التي جعلت من القضية الفلسطينية حجر الرحى ومهماز الدلالة في قيامة شعب في وجه صلف العدوان واستعلاءاته الاستعمارية، وهذا ما يحدد بالتأكيد أولوية أن يكون اصطلاح طوفان الأقصى مفتاحاً لتأمل حركة التاريخ في قلب التراجيديا الفلسطينية، كما تواتر لفظة المقاومة على اختلاف مستوياتها داخل أنساق الثقافة والوعي الإنساني، وبذلك نقف على تأسيس جديد لحركة الشعب الفلسطيني داخل التاريخ لا خارجه، وداخل الجغرافيا الفلسطينية الملتهبة لا خارجها، كل ذلك لمزيد من القراءات الفاحصة لدلالة سوف تلتحم بالمزيد من الدلالات والتي تتجاوز في مداها الزمني إلى المستقبل حيث تشكيل الرؤى والأفكار والقناعات بجدوى المقاومة بوصفها البوصلة والدليل، ومن جهة أخرى سنقف بالدلالة الحاكمة على دلالة الطوفان في مستواه الإنساني والفكري والمعرفي، حينما يحدث الفارق النوعي في أنساق التفكير وتحريك الساكن الذي اعتور المشهد الفلسطيني، لكنه كان الملتهب تحت الرماد، رماد الوقت والأسئلة، ولتتواتر كل اليقينيات ذات الدلالة والمحتوى التاريخي من أمثال (مسافة الصفر، وفي اليوم التالي، وعائد إلى غزة... وغيرها) على المستوى الإعلامي وأبعد قليلاً على المستوى الثقافي الذي يعيد تشكيل بنية التصورات والرؤى والأفكار والسلوكيات، التي تبلور فهماً دقيقاً لتحولات الصراع والقضية، وتأصيل الفهم لحقيقة العدوان، وبالمقابل أصالة المقاومة النوعية باستعاراتها الثقافية والإعلامية والفكرية، ما حدث إذن ليس لحظة تاريخية عابرة في مسار طويل ومركب، بل تاريخ استأنف تاريخاً، مشبعاً بلحظات فارقة تراكمت لتأخذ في معنى الصيرورة قوى الجذب والانتباه والثبات، أجل دلالة الطوفان، هي دلالة عابرة للأزمنة والأمكنة والثقافات، لتشتق لغتها الجديدة بزخم مفرداتها الجديدة الملهمة للتاريخ وحكاياته الأثيرة، وما يحدث في غزة من حكايات غير مسبوقة سيعيد قراءة الحدث من أولياته إلى غده، بمعنى أن تكون فلسطينياً يعني أن تكون كونياً، فالضرورة الموضوعية هنا حينما يرسم الخطاب الثقافي المنشود احداثياته الجديدة مستلهماً تصوراته النظرية والعملية من واقع ما بعينه، سيعني دلالة هذا الفارق النوعي انعكاساً على الإبداع وصنوفه المختلفة، من الشعر إلى الرواية إلى المسرح وليس انتهاءً لغة الصحافة، ما يعني تغيراً بنيوياً ووظيفياً يقتضي براعة الأدوات التي تستقرئ ويقتضي أيضاً تحرير الرؤيا بما حدث في غزة -مثالاً- بوصفها أنموذجاً أسهم في جعل المتغيرات واقعاً جديداً لا بد من قراءته وتمحيصه بعين فاحصة، فطبيعة هذا المتغير هي طبيعة معرفية في الجوهر، لأنها ستكون الحامل الموضوعي لخطاب ثقافي مغاير يتجاوز ويؤسس ويستشرف، لكنه لا يكتفي بانتهاء شوط من هذه الحرب، بل يذهب مستقرئاً ما حدث في البنية المجتمعية كما الأفكار بأنساقها الثقافية الجديدة.

فضاء مختلف لثقافة جديدة

ما سبق من تمهيد وتوطئة سيمهد على الأرجح إلى الحاجة إلى تشكيل منظومات ثقافية جديدة، تتبنى إستراتيجيات مختلفة تقرأ دالة الطوفان في زمن آخر، ولا تقفز عن زخم اللحظة الكثيف في الوعي العربي والإنساني والعالمي، لكن جبهة الثقافة والإعلام هما في المقدمة أبداً، لتستمر المعركة في سياقاتها المعرفية والفكرية دفاعاً عن الكينونة والهوية الفلسطينية، وبأدوات جديدة ستأخذ فيها الصورة حيز الإشهار، حيث خلف الدمار وتشظي البيوت عناوين لحيوات كانت هنا ومازالت، وخلف خطى العائدين لغزة طريق سوف يمتد إلى فلسطين قدراً ومصيراً، إذن كيف سنكتب وبمَ نفكر تلك هي الكيفية المنشودة في تأمل حدث الطوفان وتاريخه، السطر الأبهى في مدونة الملحمة المستمرة.

فعاليات أكاديمية دار الثقافة في بيروت ودمشق

طوفان المعنى عن الإبادة الثقافية ونجاة المعنى في مرحلة الطوفان طوفان الأقصى: أسباب ونتائج والحرب لم تتوقف بل مستمرة على السرديات

• بيروت

نظّمت أكاديمية دار الثقافة في بيروت عدة فعاليات واسعة ضمن فعاليات أيام طوفان الأقصى في مخيم مار الياس، اشتملت على جلسة ثقافية وفنية بعنوان «لا بد أن يعود» لتسليط الضوء على فكر القائد المناضل والأديب الفلسطيني ماجد أبو شرار، بحضور الإعلامية سماء أبو شرار، والفنانة المسرحية رائدة طه، والفنان التشكيلي محمد الشاعر.

قدّمت سماء أبو شرار لمحة عن شخصية والدها، مستعرضةً جوانب إنسانيته كأب ومثقف وعلاقاته المحبة مع المرأة والطفولة. وكذلك استحضرت رائدة طه الروابط الروحية بينها وبين الشهيد ماجد، وشارك محمد الشاعر بدوره ذكريات الزمن الجميل، حيث كان ماجد راعيًا للفن والثقافة والفكر الثوري.

إلى جانب فعاليات فنية في مهرجان تأبين الشهداء في نهر البارد وعلى مسرح كنعان، حيث تألقت الشابة تالا الشبلي في أداء شعري لقراءاتها حوارًا مع الشهيدين نضال وعماد وتم الإعلان عن انطلاق فرقة «القادمون للأغنية الوطنية الملتزمة» في أكاديمية دار الثقافة خلال فعالية إحياء ذكرى الشهيد نضال عبد العال، مؤكدين أن الأغنية ثقافة وفكر وفن ونضال. وإطلاق كتاب «نضال واستثناءاته» في احتفال ثقافي في ملتقى السفير – بيروت.

• دمشق

أقامت أكاديمية دار الثقافة في دمشق العديد من الندوات الفكرية والتفاعلية بالتعاون مع منتدى الشهيد غسان كنفاني الثقافي في ركن الدين تحت عنوان «طوفان الأقصى ومعانيه ودلالاته»، شارك فيها الباحث إبراهيم أبو ليل، ود. محمد عياش، والأستاذ محمد أبو شريفة مدير تحرير مجلة الهدف،

تطرقت الندوة إلى أبعاد وانعكاسات الطوفان على المشهد الفلسطيني والعربي والعالمي، وطبيعة العلاقة العضوية بين أمريكا وإسرائيل، وهندسة الوعي التراكمي عند شعبنا الفلسطيني.

كما نُظّمت ندوة في الأكاديمية بمخيم اليرموك عن شهداء الحقيقة / الإعلام الفلسطيني وطوفان الأقصى»، بمشاركة الإعلاميين إياد خلف ونعيم إبراهيم، استعرض فيها الباحثان وقائع ما جرى من استهداف مستمر للصحفيين والإعلاميين الفلسطينيين بهدف اغتيال الصوت والصورة والحقيقة والذاكرة.

وجرى التأكيد على ضرورة قيام استراتيجية إعلامية وطنية فلسطينية موحدة، وعقد مؤتمرات لحماية الإعلاميين والصحفيين الفلسطينيين أثناء الحروب وكل أشكال العدوان.

كذلك أقيمت ندوة في مخيم جرمانا بمشاركة د. ثائر عودة، ود. حسن حميد، و أ. أحمد علي هلال، تناولت الحديث عن أسئلة الثقافة الوطنية الفلسطينية واستحقاقات الثقافة المشتبكة والمضادة. والحرب لم تتوقف بل مستمرة على السرديات

كذلك أقامت الأكاديمية ندوة جماهيرية في مخيم خان الشيح، حيث ألقى المناضل أبو علي حسن محاضرة بعنوان «طوفان الأقصى: أسباب ونتائج»، تحدث خلالها عن طوفان الأقصى كعملية عسكرية دفاعية اخذت شكل الهجوم والاقتحام، مما ميزها عن غيرها من مواجهات المقاومة ضد الكيان المحتل، لكنها اكتسبت مشروعيتها كونها حدث أمني في سياق حرب تاريخية ضد الشعب الفلسطيني منذ ثمانين عامًا.

واستعرض الباحث أبو علي حسن تلك الاعتداءات التي مارسها الكيان على غزة، مؤكدًا أن عملية طوفان الأقصى ليست معزولة عن السياق العام للمقاومة، وأن أي محاولة لفصلها عنه قراءة خاطئة وجاهلة للعقل الإسرائيلي ورؤيته الاستراتيجية بأنه يخوض حربًا منذ 1948 تحت مسمى حرب وجود.

ولا يجوز لفلسطيني أو عربي أن يتساوق مع الاحتلال بالقول إن ما حدث في غزة سببه المقاومة، ولا يجوز تبرئة الاحتلال من مسؤوليته عن جرائمه في التطهير والإبادة والتدمير، مشدداً

على أننا اليوم أمام حرب الرواية والسرديات، فإما أن تنتصر سرديتنا أو سرديتهم. ولفت أبو علي حسن إلى أهمية الوحدة الوطنية وبناء منظمة التحرير الفلسطينية على أسس وطنية، وعلى قاعدة أن إسرائيل هي دولة احتلال، وأن المقاومة مشروعة وطنيًا وقانونيًا.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
Popular Front for the Liberation of Palestine

وداعاً اسكندر حبش

غزة لا غزّتان

مروان عبد العال

هنا غزّة: في السابع من أكتوبر، تكلّم الفلسطيني بلسان النار، وفي 17 أكتوبر الفلسطيني يقاتل باسم الثأر، هكذا تنقسم غزّة إلى اثنتين: غزّة التي تقاتل، وغزّة التي تكتب بدمها معنى القتال، لتجعل من الفشل العالمي كوميديا سوداء، وصمودها هو المشهد الأكثر تهكّماً.

في كريات غات يتحدّث عن "غزّة ترمب" ذات الأبراج الذهبية، غزّة مصقولة بالوهم، تُطلّ على البحر المحجوب، حيث يُعاد إعمار الذاكرة بالإسمنت، وتُطلَى النكبة بلون الاستثمار. "غزة ترامب" هكذا تسمى لهندسة جديدة، لتكون غزّتَين يفصل بينهما خطّ أصفر يسمّونه إنجازاً ترامبياً تحت عنوان "اليوم التالي"، فالقضية أعمق من خرائطهم، وأبرد من بياناتهم، وأرفع من ابتذالهم، إنهم يحاولون ابتكار غزّة بلا روح، مفرغة من ذاكرتها، محرومة من دفء ترابها، وصمتت أصوات أطفالها الذين يزرعون الحياة بين الركام.

لكن غزّة التي تُقصف وتذبح وتحرق هي ذاتها التي كتبت مجد تاريخ الثورة المقاوم، وتواصل كتابة الغد بدمها، لا بسخافة وثائقهم، ومسلسل الكوميديا الفاشلة، وتعيد رسم المعنى في العالم: من تكون الضحية؟ ومن المتحضّر؟ وما معنى الإنسان في زمنٍ يعتاد الدم كأنه نشرةُ طقسٍ يومية؟

لو شاهد أحد من الغزّيين الظرفاء الرئيس البرتقالي يرفع عرفه كالطاووس ويتشدّق عن غزة، لتفلت من بين أسنانه متهكّمًا: «غزّة وغزّتين، إن شاء الله» بعيون اليانكي، عند هذا الحدّ الأصفر، حيث كان القول الشعبي القديم يتردد في اللطم: «عزا وعزيين، إن شاء الله»، يأتي صدى جديد من الغزّي الظريف، يمنح القول معنىً آخر؛ صدىً يعبّر عن غزة العزة، غزة مفردات اللغة التي تتحرّر من الوثن، لتعلن أن في كلّ قصفٍ يولد معنى جديد، وفي كلّ خرابٍ تنبض غزّتان.. واحدة على الأرض وأخرى في القلب.

تغرس غزّة في الصامتين قلقًا يشبه الحبّ الأخير، ويغدو السؤال عن نوم الأطفال بيانًا أخلاقيًا في وجه الوحش، فالحرب لم تعد حدثًا عابرًا، بل امتحانًا لإنسانيتنا، وفضيحةً لحضارةٍ تدّعي التقدّم وهي تتغذّى على الدماء، لقد صار العالم مسرحًا من المهرّجين والوحوش، تتلاشى فيه الحدود بين الضحية والجلاد، بين الصوت والصمت، بين الحقيقة والفرجة.

"غزة وغزتان إن شاء الله" بمعنى المغزوّة تَغزو، المفارقة أن من أُريد له أن يُباد صار هو من يوقظ الضمير الإنساني، تُقصف المدينة لتُمحى، لكنها تذكّر بأن الأرض لا تنسى أبناءها، وأن الدم إذا سال دفاعًا عن المعنى لا يجفّ. في قلب الوحش تولد من جديد، وفي قلوبنا تغزونا كلّ يوم كضميرٍ يأبى أن يصمت.

الوحش ليس فقط في الطائرات الحربية التي تمطر نارًا، والدبابات التي تدوس على النازحين، بل في النوايا الباردة التي تبرّر الإبادة، تحت مسمى "الانتقام"، في العيون التي ترى وتلتزم الصمت، وفي خطاب "الواقعية السياسية" الذي يدعو إلى القتل باسم التسريع في عملية "السلام" والإخضاع والتبعية للغرب تحت مسمى التقدّم. إنه هناك، في الدمار، لكنه أيضًا في هشاشتنا، في خدرنا، في قابليتنا لأن نعتاد الرعب ونُعيد تدويره في لغةٍ محايدة.

إنها حرب على المعنى قبل أن تكون على الجسد. في كلّ مرة نبرّر أو نصمت، نخسر قطعة من إنسانيتنا، حتى يصير الركام مرآةً لداخلنا. ومع ذلك، يبقى السؤال البسيط يهزّ البلاغة كلّها: هل نام الأطفال؟ سؤال لا ينتظر جوابًا، لأنه الجواب نفسه صرخةُ الإنسان في وجه الوحش، والعقل في وجه تبريراته.

بين غزّة الأرض وغزّة القلب، يتجلّى سرّ الوجود الإنساني: أن تظلّ تحبّ كي لا تُهزم، وأن تقاوم كي لا تُمحى من المعنى. فالحبّ رغم الجحيم أسمى أشكال المقاومة، والعناق الذي لا ينتهي صلاة الذاكرة ضدّ النسيان، ووعد الإنسان أن يبقى جديرًا بإنسانيته ولو على حافة القيامة.

غزّة لا غزّتان.. واحدة في الألم والأمل معًا، تنبض بنا كما ننزف بها، وتذكّرنا أن المعنى لا يُقسَم، لأن الإنسان لا يُقسّم.

الهدف AL-HADAF